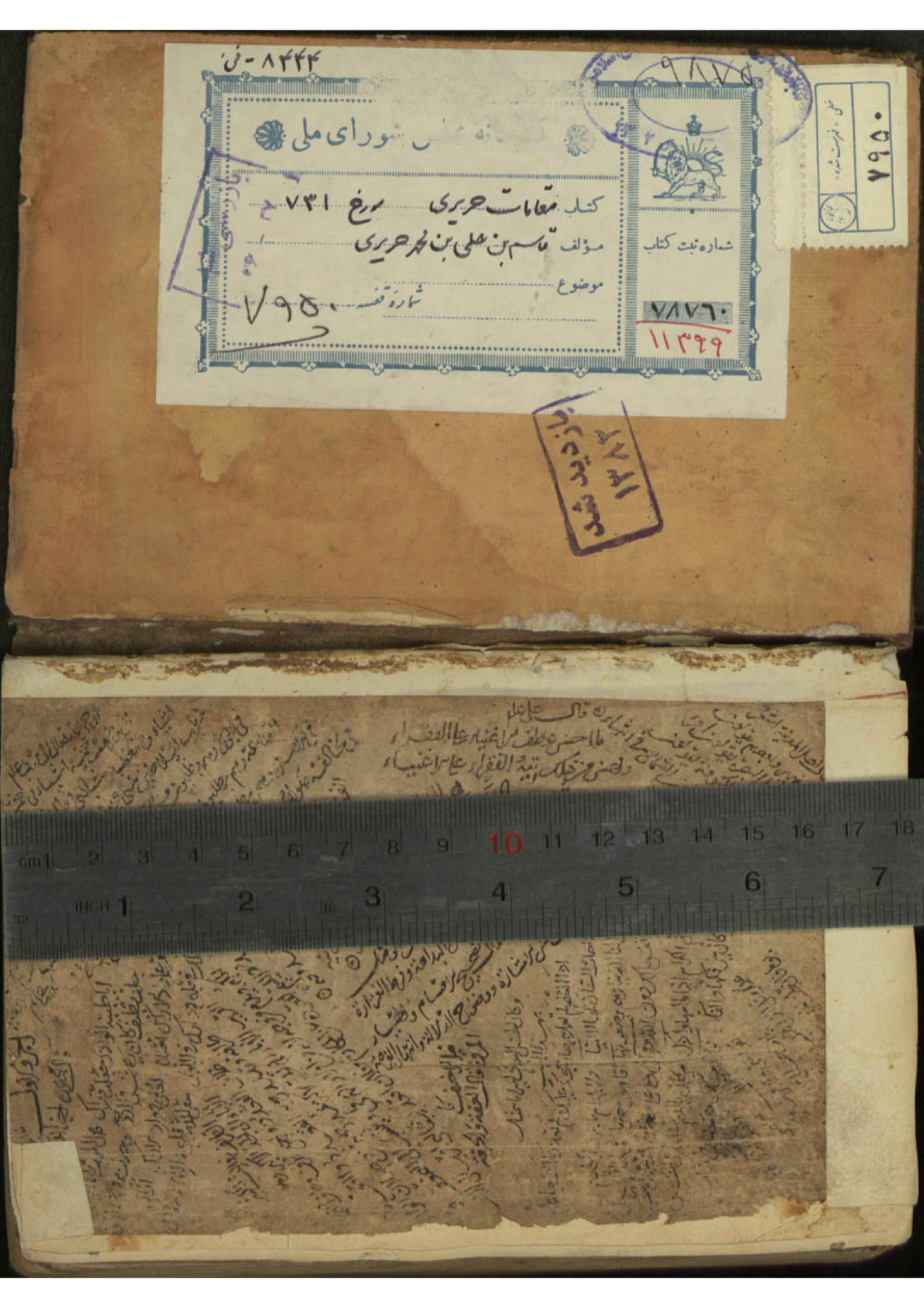
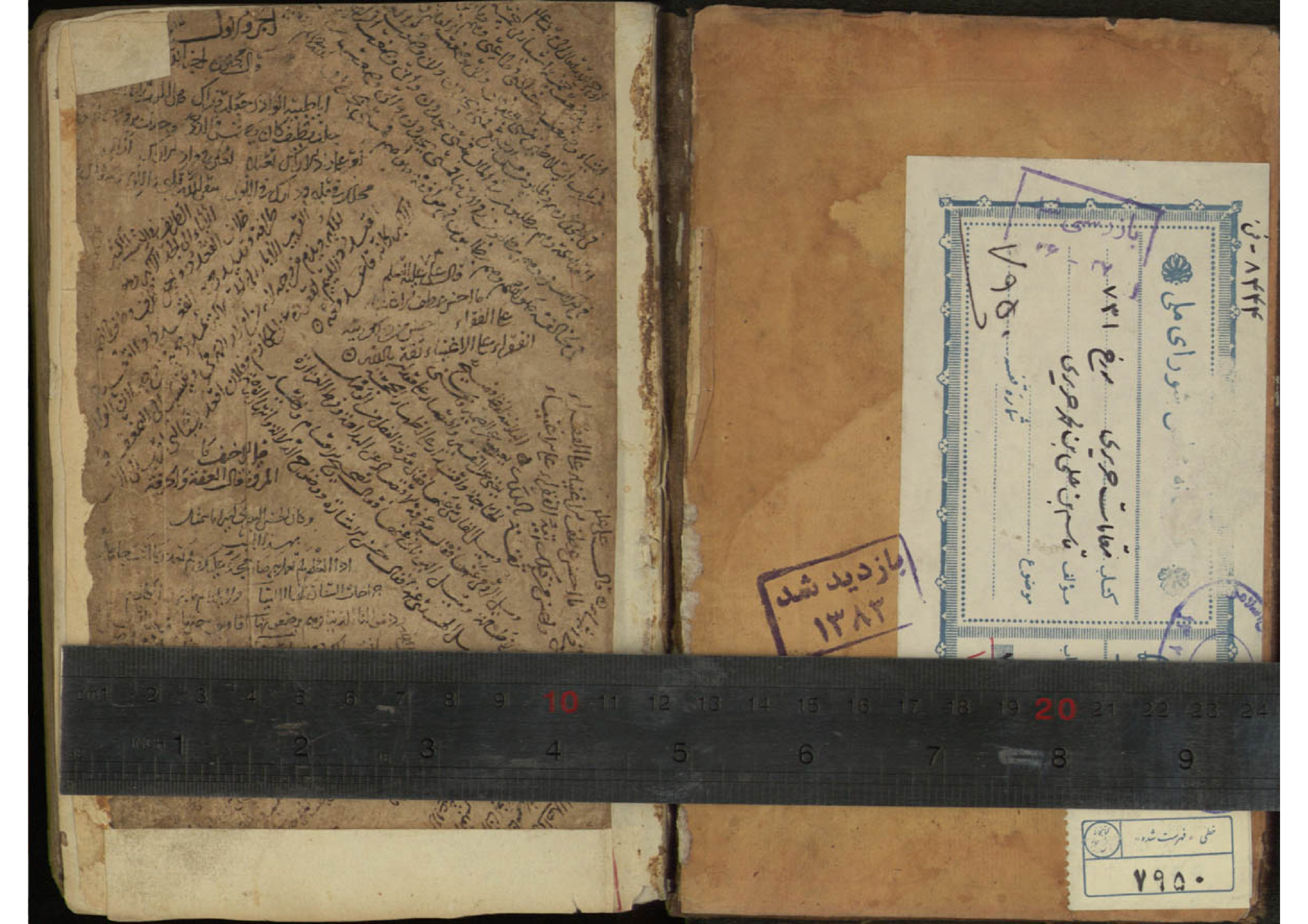
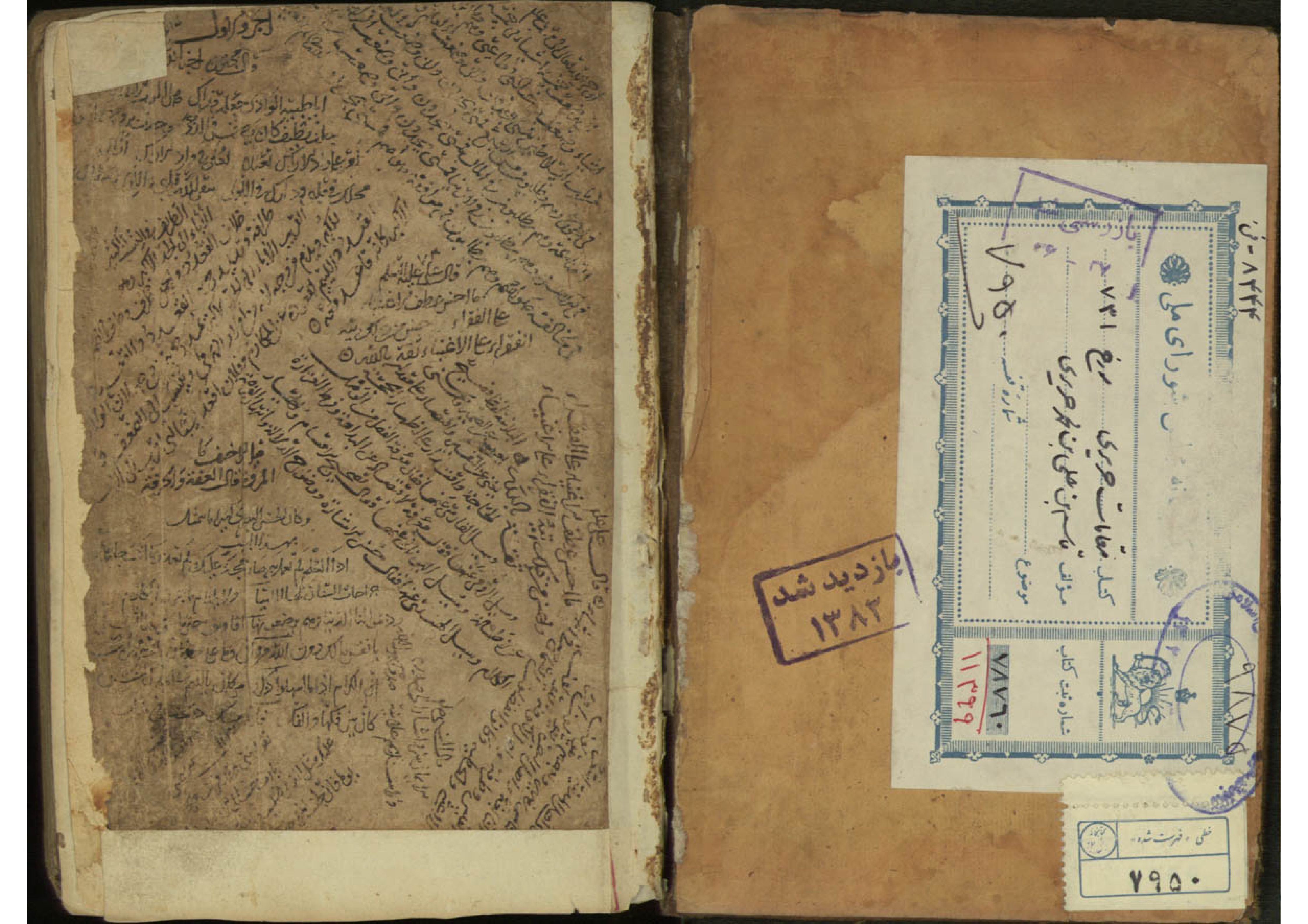

۸۴۴۴ - ن
... شورای ملی
کتاب مقامات حریری مورخ ۷۳۱
مؤلف قاسم بن علی بن محمد حریری
موضوع
شماره قفسه ۷۹۵۰
شماره ثبت کتاب
۷۸۷۶۰
۱۱۳۴۹
بازدید شد
خطی - فهرست شده
۷۹۵۰



بازدید شد
۱۳۸۳
خطی - فهرست شده
۷۹۵۰



۸۳۴۴-ن
کتاب مقامات حریری نمره ۷۳۱
مؤلف قاسم بن علی بن محمد حریری
شماره ثبت کتاب ۷۸۷۶۰
بازدید شد ۱۳۸۳
خطی - فهرست شده
۷۹۵۰



هذا الكتاب مقامات الحريري

حسين بن محمد

افضاله وطول عمره الف سنة

بسم الله الرحمن الرحيم

وعليه توكلت

اللهم انا نحمدك على ما علمت من البيان والهمت من التبيان
كما نحمدك على ما اسبغت من العطاء واسبلت من الغطاء ونعوذ
بك من شرة اللسن وفضول الهذر كما نعوذ بك من معرة اللكن
وفضوح الحصر ونستكفي بك من الافتتان باطراء
المادح واغضاء المسامح كما نستكفي بك من الانتصاب
لازراء القادح وهتك الفاضح ونستغفرك من سوق
الشهوات الى سوق الشبهات كما نستغفرك من نقل
الخطوات الى خطط الخطيئات ونستوهب منك توفيقا
قائدا الى الرشد وقلبا متقلبا مع الحق ولسانا

متحليا

متحليا بالصدق ونطقا مؤيدا بالحجة واصابة ذائدة عن
الزيغ وعزيمة قاهرة هوى النفس وبصيرة ندرك بها عرفان
القدر وان تسعدنا بالهداية الى الدراية وتعضدنا بالاعانة
على الابانة وتعصمنا من الغواية في الرواية وتصرفنا عن
السفاهة في الفكاهة حتى نامن حصائد الالسنة ونكفى غوائل
الزخرفة فلا نرد مورد مأثمة ولا نقف موقف مندمة ولا
نرهق بتبعة ومعتبة ولا نلجأ الى معذرة عن بادرة
اللهم فحقق لنا هذه المنية وانلنا هذه البغية
ولا تنضنا عن ظلك السابغ ولا تجعلنا مضغة للماضغ فقد
مددنا اليك يد المسألة وبخعنا لك بالاستكانة والمسكنة
واستنزلنا كرمك الجم وفضلك الذي عم بضراعة الطلب
وبضاعة الامل ثم بالتوسل بمحمد سيد البشر والشفيع
المشفع في المحشر الذي ختمت به النبيين واعليت درجه

في عليين ووصفه في كتابك المبين فقلت وانت اصدق القائلين

وما ارسلناك الا رحمة للعالمين اللهم فصل عليه وعلى

آله الهادين واصحابه الذين شادوا الدين واجعلنا لهديهم

وهديهم متبعين وانفعنا بمحبته ومحبتهم اجمعين انك

على كل شي قدير وبالاجابة جدير وبعد فانه جرى في

بعض اندية الادب الذي ركدت في هذا العصر ريحه وخبت

مصابيحه ذكر المقامات التي ابتدعها بديع الزمان وعلامة

همذان رحمه الله وعزا الى ابي الفتح الاسكندري نشأتها

والى عيسى بن هشام روايتها وكلاهما مجهول لا يعرف ونكرة

لا تتعرف فاشار من اشارته حكم وطاعته غنم الى

ان انشئ مقامات اتلو فيها تلو البديع وان لم يدرك الظالع

شأو الضليع فذاكرته بما قيل فيمن الف بين كلمتين ونظم

بيتا او بيتين واستقلت من هذا المقام الذي يحار الفهم

ويفرط

ويفرط الوهم ويسبر غور العقل وتتبين فيه قيمة المرء ويضطر

صاحبه الى ان يكون كحاطب ليل او جالب رجل وخيل وقلما

يسلم مكثار او اقيل له عثار فلما لم يسعف بالاقالة ولا

اعفي عن المقالة لبيت دعوته تلبية المطيع وبذلت

في مطاوعته جهد المستطيع وانشأت على ما اعانيه من

قريحة جامدة وفطنة خامدة وروية ناضبة وهموم

ناصبة خمسين مقامة تحتوي على جد القول وهزله

ورقيق اللفظ وجزله وغرر البيان ودرره وملح الادب

ونوادره الى ما وشحتها به من الآيات ومحاسن الكنايات

ورصعته فيها من الامثال العربية واللطائف الادبية

والاحاجي النحوية والفتاوى اللغوية والرسائل المبتكرة

والخطب المحبرة والمواعظ المبكية والاضاحيك

الملهية مما امليت جميعه على لسان ابي زيد السروجي

وأسندت روايته إلى الحارث بن همام البصري وما قصدت
بالإحماض فيه إلا تنشيط قارئيه وتكثير سواد طالبيه ولم
أودعه من الأشعار الأجنبية إلا بيتين فذين أسست
عليهما بنية الحلوانية وآخرين توأمين ضمنتهما المقامة
الكرجية وما عدا ذلك فخاطري أبو عذره ومقتضب حلوه
ومره هذا مع اعترافي بأن البديع رحمه الله سباق غايات
وصاحب آيات وأن المتصدي بعده لإنشاء مقامة
ولو أوتي بلاغة قدامة لا يغترف إلا من فضالته ولا يسري
ذلك المسرى إلا بدلالته ولله القائل
فلو قبل مبكاها بكيت صبابة ۞ بسعدى شفيت النفس قبل التندم
ولكن بكت قبلي فهيج لي البكا ۞ بكاها فقلت الفضل للمتقدم
وأرجو أن لا أكون في هذا الهذر الذي أوردته والمورد
الذي توردته كالباحث عن حتفه بظلفه والجادع

مارن

مارن أنفه بكفه فألحق بالأخسرين أعمالا الذين
ضل سعيهم في الحيوة الدنيا وهم يحسبون أنهم يحسنون
صنعا على أني وإن أغمض لي الفطن المتغابي ونضح
عني المحب المحابي لا أكاد أخلص من غمر جاهل
أو ذي غمر متجاهل يضع مني لهذا الوضع ويندد بأنه
من مناهي الشرع ومن نقد الأشياء بعين المعقول
وأنعم النظر في مباني الأصول نظم هذه المقامات
في سلك الإفادات وسلكها مسلك الموضوعات عن
العجماوات والجمادات ولم يسمع بمن نبا سمعه عن تلك
الحكايات أو أثم رواتها في وقت من الأوقات ثم إذا
كانت الأعمال بالنيات وبها انعقاد العقود الدينيات
فأي حرج على من أنشأ ملحا للتنبيه لا للتمويه ونحا
بها منحى التهذيب لا الأكاذيب وهل هو في ذلك

الا لمنزلة من انتدب لتعليم او هدى الى صراط مستقيم
على انني راض بان احمل الهوى واخلص منه لا علي ولا ليا
وبالله اعتضد فيما اعتمد واعتصم مما يصم واسترشد
الى ما يرشد فما المفزع الا اليه ولا الاستعانة الا به
ولا التوفيق الا منه ولا الموئل الا هو عليه توكلت واليه انيب

المقامة الاولى

حدث الحارث بن همام قال لما اقتعدت غارب الاغتراب
وانأتني المتربة عن الاتراب طوحت بي طوائح الزمن
الى صنعاء اليمن فدخلتها خاوي الوفاض بادي الانفاض
ولا املك بلغة ولا اجد في جرابي مضغة فطفقت
اجوب طرقاتها مثل الهائم واجول في حوماتها جولان
الحائم وارود في مسارح لمحاتي ومسايح غدواتي وروحاتي

كريما

كريما اخلق له ديباجتي وابوح اليه بحاجتي او اديبا
تفرج رؤيته غمتي وتروي روايته غلتي حتى ادتني
خاتمة المطاف وهدتني فاتحة الالطاف الى ناد رحيب
محتو على زحام ونحيب فولجت غابة الجمع لابلو مجلبة
الدمع فرايت في بهرة الحلقة شخصا شخت الخلقة
عليه اهبة السياحة وله رنة النياحة وهو يطبع
الاسجاع بجواهر لفظه ويقرع الاسماع بزواجر وعظه
وقد احاطت به اخلاط الزمر احاطة الهالة بالقمر
والاكمام بالثمر فدلفت اليه لاقتبس من فوائده والتقط
بعض فرائده فسمعته يقول حين خب في مجاله
وهدرت شقاشق ارتجاله ايها السادر في غلوائه
السادل ثوب خيلائه الجامح في جهالاته الجانح الى
خزعبلاته الام تستمر على غيك وتستمرئ مرعى بغيك

وحتام تتناهى في زهوك ولا تنتهي عن لهوك تبارز
بمعصيتك مالك ناصيتك وتجترئ بقبح سيرتك على
عالم سريرتك وتتوارى عن قريبك وانت بمرأى رقيبك
وتستخفي من مملوكك وما تخفى خافية على مليكك أتظن
أن ستنفعك حالك إذا آن ارتحالك أو ينقذك
مالك حين توبقك أعمالك أو يغني عنك ندمك إذا
زلت بك قدمك أو يعطف عليك معشرك يوم يضمك محشرك
هلا انتهجت محجة اهتدائك وعجلت معالجة دائك
وفللت شباة اعتدائك وقدعت نفسك فهي أكبر
أعدائك أما الحمام ميعادك فما إعدادك وبالمشيب
إنذارك فما إعذارك وفي اللحد مقيلك فما قيلك وإلى
الله مصيرك فمن نصيرك طالما أيقظك الدهر
فتناعست وجذبك الوعظ فتقاعست وتجلت لك

العبر

العبر فتعاميت وحصحص لك الحق فتماريت وأذكرك
الموت فتناسيت وأمكنك أن تواسي فما آسيت تؤثر فلسا
توعيه على ذكر تعيه وتختار قصرا تعليه على بر توليه
وترغب عن هاد تستهديه إلى زاد تستهديه وتغلب
حب ثوب تشتهيه على ثواب تشتريه يواقيت الصلات
أعلق بقلبك من مواقيت الصلوة ومغالاة الصدقات
آثر عندك من موالاة الصدقات وصحاف الألوان أشهى
إليك من صحائف الأديان ودعابة الأقران آنس لك
من تلاوة القرآن تأمر بالمعروف وتنتهك حماه وتحمي
عن المنكر ولا تتحاماه وتزحزح عن الظلم ثم تغشاه
وتخشى الناس والله أحق أن تخشاه ثم أنشد

تبا لطالب دنيا ثنى إليها انصبابه ما يستفيق غراما بها وفرط صبابه
ولو درى لكفاه مما يروم صبابه

وغيض مجاجته واعتضد شكوته وتأبط هراوته فلما
رنت الجماعة الى تحفزه ورأت تأهبه لمزايلة مركزه ادخل
كل منهم يده في جيبه فافعم له سجلا من سيبه وقال
اصرف هذا في نفقتك او فرقه على رفقتك فقبله منهم
مغضيا وانثنى عنهم مثنيا وجعل يودع من يشيعه
ليخفى عليهم مهيعه ويسرب من يتبعه لكي يجهل مربعه
قال الحارث بن همام فاتبعته مواريا عنه عياني
وقفوت اثره من حيث لا يراني حتى انتهى الى مغارة فانساب
فيها على غرارة فامهلته ريثما خلع نعليه وغسل رجليه ثم
هجمت عليه فوجدته مثافنا لتلميذ على خبز سميذ و
جدي حنيذ وقبالتهما خابية نبيذ فقلت له يا هذا
ايكون ذاك خبرك وهذا مخبرك فزفر زفرة القيظ
وكاد يتميز من الغيظ ولم يزل يحملق الي حتى خفت

ان يسطوا

ان يسطو علي فلما ان خبت ناره وتوارى اواره انشد

لبست الخميصة ابغي الخبيصه ... وانشبت شصي في كل شيصه
وصيرت وعظي احبولة ... اريغ القنيص بها والقنيصه
والجأني الدهر حتى ولجت ... بلطف احتيالي على الليث عيصه
على اني لم اهب صرفه ... ولا نبض لي منه فريصه
ولا شرعت بي على مورد ... يدنس عرضي نفس حريصه
ولو انصف الدهر في حكمه ... لما ملك الحكم اهل النقيصه

ثم قال لي ادن فكل وان شئت فقم وقل
فالتفت الى تلميذه وقلت له عزمت عليك بمن تستدفع
به الاذى لتخبرني من ذا فقال هذا ابو زيد السروجي
سراج الغرباء وتاج الادباء فانصرفت من حيث اتيت
وقضيت العجب مما رأيت

المقامة الثانية الحلوانية

حكى الحارث بن همام قال كلفت مذ ميطت عني التمائم و
نيطت بي العمائم بأن أغشى معان الأدب وأنضي إليه ركاب
الطلب لأعلق منه بما يكون لي زينة بين الأنام ومزنة عند
الأوام وكنت لفرط اللهج باقتباسه والطمع في
تقمص لباسه أباحث كل من جل وقل وأستسقي الوبل
و[الطل] وأتعلل بعسى ولعل فلما حللت حلوان وقد
[بلوت ال]إخوان وسبرت الأوزان وخبرت ما زان وما شان
[ألفيت بها أ]با زيد السروجي يتقلب في قوالب الانتساب
و[يخبط في أساليب] الاكتساب فيدعي تارة أنه من آل ساسان
ويعتزي مرة إلى أقيال غسان ومونيرة من قبه الدرر وتحلية
بكنيسا الدرر ويبرز طورا في شعار الشعراء ويلبس حينا
كبر الكبراء على أنه مع تلون حاله وتبين محاله يتحلى
برواء ورواية ومداراة ودراية وبلاغة رائعة وبديهة

مطاوعة

مطاوعة وآداب بارعة وقدم في أعلام العلوم فارعة فكان
لمحاسن آلاته يلبس على علاته ولسعة روايته يصبى إلى
رؤيته ولخلابة عارضته يرغب عن معارضته ولعذوبة
إيراده يسعف بمراده فتعلقت بأهدابه لخصائص آدابه
ونافست في مصافاته لنفائس صفاته شعر

فكنت به أجلو همومي وأجتلي زماني طلق الوجه ملتمع الضيا
أرى قربه قربى ومغناه غنية ورؤيته ريا ومحياه لي حيا

ولبثنا على ذلك برهة ينشئ لي كل يوم نزهة ويذرأ عن
قلبي شبهة إلى أن جدحت له يد الإملاق كأس الفراق
وأغراه عدم العراق إلى مطالع العراق ولفظته معاوز
الإرفاق إلى مفاوز الآفاق ونظمه في سلك الرفاق
خفوق رايات الإخفاق فشحذ للرحلة غرار عزمه وظعن
يغتادي القلب بأزمة شعر

فما راقني من لاقني بعد بُعده ولا شاقني من ساقني بوصاله

ولا لاح لي مذ نأى نِدٌّ لفضله ولا لاذ وخلال حاز مثل خلاله

واستسرّ عني حيناً لا أعرف لِعرينه ولا أجد عنه مُنبئاً

فلما أبتُ من غربتي إلى منبت شعبتي حضرت دار كتبها

التي هي منتدى المتأدبين وملتقى القاطنين منهم

والمتغربين فدخل ذو لحية كثّة وهيئة رثّة فسلّم على

الجلّاس وجلس في أخريات الناس ثم أخذ يبدي ما في وطابه

ويعجب الحاضرين من فصل خطابه فقال لمن يليه ما الكتاب

الذي تنظر فيه فقال ديوان أبي عبادة المشهود له بالإجادة

فقال هل عثرت له فيما لمحته على بديع استملحته فقال نعم

باتت نديماً لي حتى الصباح أغيد مجدول مكان الوشاح

كأنما يبسم عن لؤلؤ منضّد أو بَرَدٍ أو أقاح

فإنه أبدع في التشبيه المودع فيه فقال له يا للعجب

ولضيعة

ولضيعة الأدب لقد استسمنت يا هذا ذا ورم ونفخت

في غير ضرم أين أنت عن البيت النادر الجامع مشبّهات الثغر

وأنشد

نفسي الفداء لثغر راق مبسمه وزانه شنب ناهيك من شنب

يفترّ عن لؤلؤ رطب وعن برد وعن أقاح وعن طلع وعن حبب

فاستجاده من حضر واستحلاه واستعاده منه واستملاه

وسئل لمن هذا البيت وهل حيّ قائله أم ميت فقال أيم الله

للحق أحق أن يُتّبع وللصدق حقيق بأن يستمع

إنه والله يا قوم لنجيّكم هذا اليوم قال فكأن الجماعة

ارتابت بعزوته وأبت تصديق دعوته فتوجّس ما هجس

في أفكارهم وفطن لما بطن من استنكارهم وحاذر أن

يفرط إليه البذاء فقرأ إن بعض الظن إثم ثم قال يا رواة

القريض وأساة القول المريض إن خلاصة الجوهر تظهر

بالسبك ويد الحق تصدع رداء الشك وقد قيل فيما غبر

فيا غيرة من الزمان عند امتحان كرم الأديبان وكانا قد
عرضت خبيئتي للاختبار وعرضت حقيبتي على الاعتبار
فابتدر احد من حضر وقال اعرف بيتا لم ينسج على
منواله ولا سمحت قريحة بمثاله فان آثرتم اجتلاب القلوب
فانظموا على هذا الاسلوب   وانشد
فامطرت لؤلؤا من نرجس وسقت   وردا وعضت على العناب بالبرد
فلم يكن الا كلمح البصر او هو اقرب حتى انشد واغرب
سألتها حين زارت نضو برقعها الـ   ـقاني وايداع سمعي اطيب الخبر
فزحزحت شفقا غشى سنا قمر   وساقطت لؤلؤا من خاتم عطر
فحار الحاضرون لبداهته واعترفوا بنزاهته فلما آنس
ائتناسهم بكلامه وانصبابهم الى شعب اكرامه اطرق
كطرفة العين ثم قال ودونكم بيتين اخرين وانشد
واقبلت يوم جد البين في حلل   سود تعض بنان النادم الحصر

فلاح ليل

فلاح ليل على صبح اقلهما   غصن وضرست البلور بالدرر
فحينئذ استسنى القوم قيمته واستغزروا ديمته واجملوا
عشرته وجملوا قشرته قال المخبر بهذه الحكاية فلما
رأيت تلهب جذوته وتألق جلوته امعنت النظر في توسمه
وسرحت الطرف في ميسمه فاذا هو شيخنا السروجي وقد
اقمر ليله الدجوجي فهنأت نفسي بمورده وابتدرت
استلام يده وقلت له ما الذي احال صفتك حتى جهلت
معرفتك واي شيء شيب لحيتك حتى انكرت حليتك
فانشا يقول
وقع الشوائب شيب   والدهر بالناس قلب   ان دان يوما لشخص
ففي غد يتغلب   فلا تثق بوميض   من برقه فهو خلب
واصبر اذا هو اضرى   بك الخطوب وألب   فما على التبر عار   في النار حين يقلب
ثم نهض مفارقا موضعه ومستصحبا القلوب معه

المقامة الثالثة روى الحرث بن همام قال

نظمني واخدانا لي نادٍ لم يخب فيه منادٍ ولا كبا قدح
زناد ولا ذكت نار عناد فبينا نحن نتجاذب اطراف
الاناشيد ونتوارد طرف الاسانيد اذ وقف بنا شخص عليه
سمل وفي مشيته قزل فقال يا اخاير الذخاير وبشاير
العشاير عموا صباحا وانعموا اصطباحا وانظروا
الى من كان ذا ندي وندى وجدة وجدى وعقار
وقرى ومقار وقرى فما زال به قطوب الخطوب وحروب
الكروب وشرر شر الحسود وانتياب النوب السود
حتى صفرت الراحة وقرعت الساحة وغار المنبع ونبا
المربع واقوى المجمع واقض المضجع واستحالت
الحال واعول العيال وخلت المرابط ورحم الغابط واودى

الناطق

الناطق والصامت ورثى لنا الحاسد والشامت وآل بنا
الدهر الموقع والفقر المدقع الى ان احتذينا الوجى
واغتذينا الشجى واستبطنا الجوى وطوينا الاحشاء
على الطوى واكتحلنا السهاد واستوطنا الوهاد وا
ستوطأنا القتاد وتناسينا الاقتاد واستطبنا الحين
المجتاح فهل من حر آس او سمح مواس فوالذي استخرجني
من قيلة لقد امسيت اخا عيلة لا املك بيت ليلة
قال الحرث بن همام فاويت لمفاقرة ولويت الى استنباط
فقره فابرزت له دينارا وقلت له اختبارا ان مدحته
نظما فهو لك حتما فانبرى ينشد في الحال من غير انتحال

اكرم به اصفر راقت صفرته ... جواب آفاق ترامت سفرته
مأثورة سمعته وشهرته ... قد اودعت سر الغنى اسرته
وقارنت نجح المساعي خطرته ... وحببت الى الانام غرته

كانما من القلوب نقرته · به يصول من حوته صرته

ولن تفانت او توانت غيبته · يا حبذا نضاره ونضرته

وحبذا مغناته ونصرته · كم آمر به استتبت امرته

ومترف لولاه دامت حسرته · وجيش هم هزمته كرته

وبدر تم انزلته بدرته · وكم اسير اسلمته اسرته

انقذه حتى صفت مسرته · وحق مولى ابدعته فطرته

لولا التقى لقلت جلت قدرته · ثم بسط يده

بعدما انشد وقال · انجز حر ما وعد وسح خال

اذا رعد فنبذت الدينار اليه وقلت له خذه غير ماسوف

عليه فوضعه في فيه وقال بارك اللهم فيه ثم شمر للانثناء

بعد توفية الثناء فنشات لي من فكاهته نشوة

غرام سهلت علي ابتياع اغترام فجردت له دينارا آخر

وقلت له هل لك في ان تذمه ثم تضمه فانشا مرتجلا

وشدا عجلا

تبا له من

تبا له من خادع مماذق · اصفر ذي وجهين كالمنافق

يبدو بوصفين لعين الرامق · زينة معشوق ولون عاشق

وحبه عند ذوي الحقائق · يدعو الى ارتكاب سخط الخالق

لولاه لم تقطع يمين سارق · ولا بدت مظلمة من فاسق

ولا اشمأز باخل من طارق · ولا اشتكى المماطل مطل العائق

ولا استعيذ من حسود راشق · وشر ما فيه من الخلائق

ان ليس يغني عنك في المضايق · الا اذا فر فرار الآبق

واها لمن يقذفه من حالق · ومن اذا ناجاه نجوى الوامق

قال له قول المحق الصادق · لا راي في وصلك لي ففارق

فقلت له ما اسكب ما اغزر وبلك فقال والشرط املك

فنفحته بالدينار الثاني وقلت له عوذهما بالمثاني

فالقاه في فمه وقرنه بتوامه وانكفا يحمد مغداه

ويمدح النادي ونداه وقال الحارث بن همام فناجاني

قلبي بانه ابو زيد ولم تعد ان جد لكيده فاستعديته وقلت له
قد عرفت بوشيك فاستقم في مشيك فقال ان كنت ابن همام فحييت
باكرام وحييت بين كرام فقلت انا الحرث فكيف حالك
والحوادث فقال اتقلب في حالين بؤس ورخاء وانقلب
مع الريحين زعزع ورخاء فقلت كيف ادعيت
القزل وما مثلك من هزل فاستسر بشره الذي كان
تجلى ثم انشد حين ولى

تعارجت لا رغبة في العرج ولكن لاقرع باب الفرج
والقي حبلي على غاربي واسلك مسلك من قد مرج
فان لامني القوم قلت اعذروا فليس على اعرج من حرج

المقامة الرابعة اخبر الحرث بن همام

قال ظعنت الى دمياط عام هياط ومياط وانا يومئذ
مرموق الرخاء موموق الاخاء اسحب مطارف الثراء
واجتلي معارف السراء فرافقت صحبا قد شقوا
عصا الشقاق وارتضعوا افاويق الوفاق حتى لاحوا
كاسنان المشط في الاستواء وكالنفس الواحدة في التئام
الاهواء وكنا مع ذلك نسير النجاء ولا نرحل الا كل
هوجاء واذا نزلنا منزلا او وردنا منهلا اختلسنا
اللبث ولم نطل المكث فعن لنا اعمال الركاب في ليلة
فتية الشباب غدافية الاهاب فاسرينا الى ان نضا
الليل شبابه وسلت الصبح خضابه فحين مللنا السرى
وملنا الى الكرى صادفنا ارضا مخضلة الربى معتلة
الصبا فتخيرناها مناخا للعيس ومحطا للتعريس فلما
حلها الخليط وهدا بها الاطيط والغطيط سمعت
صيتا من الرجال يقول لسميره في الرحال كيف حكم سيرتك

مع جبلك على جبنك فقال أدعي الجار ولو جار وأبذل الوصال
لمن صال وأحتمل الخليط ولو أبدى التخليط وأود الحميم
ولو جرعني الحميم وأفضل الشفيق على الشقيق وأفي
للعشير ولو لم يكافني بالعشير وأستقل الجزيل للنزيل
وأغمر الزميل بالجميل وأنزل سميري منزلة أميري
وأحل أنيسي محل رئيسي وأودع معارفي عوارفي وأولي
مرافقي مرافقي وألين مقالي للقالي وأديم تسآلي عن
السالي وأرضى من الوفاء باللفاء وأقنع من الجزاء
بأقل الأجزاء ولا أتظلم حين أظلم ولا أنقم ولو
لدغني الأرقم فقال له صاحبه ويلك يا بني
إنما يضن بالضنين وينافس في الثمين لكن أنا لا آتي
غير المواتي ولا أسيم الحاني مع العاني ولا أصافي من يأبى إنصافي
ولا أواخي من يلغي الأواخي ولا أمالي من يخيب آمالي

ولا أبالي

ولا أبالي بمن صرم حبالي ولا أداري من جهل مقداري
ولا أعطي زمامي من يخفر ذمامي ولا أبذل ودادي
لأضدادي ولا أدع إيعادي للمعادي ولا أغرس أيادي
في أرض الأعادي ولا أسمح بمواساتي لمن يفرح بمساءتي
ولا أرى التفاتي إلى من يشمت بوفاتي ولا أخص بحبائي
إلا أحبائي ولا أستطب لدائي غير أودائي ولا أملك
خلتي من لا يسد خلتي ولا أصفي نيتي لمن يتمنى منيتي
ولا أخلص دعائي لمن لا يفعم وعائي ولا أفرغ ثنائي
على من يفرغ إنائي ومن حكم بأن أبذل وتخزن وألين
وتخشن وأذوب وتجمد وأذكو وتخمد لا والله بل
نتوازن في المقال وزن المثقال ونتحاذى في الفعال
حذو النعال بالنعال حتى نأمن التغابن ونكفي التضاغن
وإلا فلم أعلك وتعلني وأقلك وتستقلني وأجرح

لكن تجرّني واسرح اليك سرحي وكيف يجتلب انصاف
بضيم واني تنزّق عيش مع غيم ومني اصحب ودّ
يعسف واي حرّ رضي بخطّة خسف ولله ابوك
اذ يقول: جزيت من اعلق بي ودّه ۞ جزاء من يبني على اسّه
وكلت للخلّ كما كال لي ۞ على وفاء الكيل او بخسه
ولم اخسّره وشرّ الورى ۞ من يومه اخسر من امسه
وكل من يطلب عندي جنى ۞ فما له الا جنى غرسه
لا ابتغي الغبن ولا انثني ۞ بصفقة المغبون في حسّه
ولست بالموجب حقا لمن ۞ لا يوجب الحق على نفسه
وربّ مذق الهوى خالني ۞ اصدقه الودّ على لبسه
وما درى من جهله انني ۞ اقضي غريم الدين من جنسه
فاهجر من استغباك هجر القلى ۞ وهبه كالملحود في رمسه
والبس لمن في وصله لبسة ۞ لباس من يرغب عن انسه
ولا ترجّ الودّ ممن يرى ۞ انك محتاج الى فلسه

قال الحارث بن همام

قال الحارث بن همام فلما وعيت ما دار بينهما تقت الى
ان اعرف عينيهما فلما لاح ابن ذكاء والحف الجوّ الضياء
غدوت قبل استقلال الركاب ولا اغتداء الغراب
وجعلت استقري صوب الصوت الليلي واتوسّم الوجوه
بالنظر الجلي الى ان لمحت ابا زيد وابنه يتجاذبان
وعليهما بردان رثّان فعلمت انهما نجيّا ليلتي وصاحبا
دوايتي فقصدتهما قصد كلف بدماثتهما راث
لرثاثتهما وانحيتهما التحوّل الى رحلي والتحكّم في كلماتي
وقلي وطفقت اسير بين السيارة فضلهما واهزّ لاعواد
الميرة لهما الى ان غمرا بالنحل واتخذا امّع الخلل
وكنا بمعرّس يتشعّب منه بنيان الطرق ويتشعب منه
ابدان الرفقى فلما راى ابو زيد امتلا كيسه وانجلا
بوسه قال لي ان بدني قد اتسخ ودرني قد رسخ

أتأذن في قصد قرية لأنتجع وأقضي هذا المهم
فقلت إذا شئت ذاك فالسرعة السرعة والرجعة
الرجعة فقال ستجدني مطلعي عليك أسرع من ارتداد
طرفك إليك ثم استن استنان الجواد في المضمار
وقال لابنه بدار بدار ولم نخل أنه غر وطلب
المفر فلبثنا نرقبه رقبة الأهلة للأعياد ونستطلعه
بالطلائع والرواد إلى أن هرم النهار وكاد
جرف اليوم ينهار فلما طال أمد انتظاره ولاحت
الشمس في الأطمار قلت لأصحابي قد تناهينا
في المهلة وتمادينا في الرحلة إلى أن أضعنا الزمان
وبان لنا أن الرجل مان فتأهبوا للظعن ولا تلووا
على خضراء الدمن ونهضت لأحدج راحلتي وأتحمل
لرحلتي فوجدت أبا زيد قد كتب على القتب بخط

يا من غدا لي ساعدا وساعدا من البشر
لا تحسبن أني نأيتك عن ملال أو أشر
لكنني مذ لم أزل ممن إذا طعم انتشر
قال فأقرأت الجماعة القتب ليعذره من كان عتب
فأعجبوا بخرافته وتعوذوا من آفته ثم إنا ظعنا

المقامة الخامسة

حكى الحارث بن همام قال سمرت بالكوفة
في ليلة أديمها ذو لونين وقمرها كتعويذ من لجين
مع رفقة غذوا بلبان البيان وسحبوا على سحبان ذيل
النسيان ما فيهم إلا من يحفظ عنه ولا يتحفظ
منه ويميل الرفيق إليه ولا يميل عنه فاستهوانا
السمر إلى أن غرب القمر وغلب السهر فلما روق

الليل البهيم ولم يبق الا النموم سمعنا من الباب
نبأة مستنبح ثم تلتها صكة مستفتح فقلنا
من الملم في الليل المدلهم فقال

يا اهل ذا المغنى وقيتم شرا ۞ ولا لقيتم ما بقيتم ضرا
قد دفع الليل الذي اكفهرا ۞ الى ذراكم شعثا مغبرا
اخا سفار طال واسبطرا ۞ حتى انثنى محقوقفا مصفرا
مثل هلال الافق حين افترا ۞ وقد عرا فناءكم معترا
وامكم دون الانام طرا ۞ يبغي قرى منكم ومستقرا
فدونكم ضيفا قنوعا حرا ۞ يرضى بما احلولى وما امرا
وينثني عنكم ينث البرا ۞

قال الحارث بن همام
فلما خلبنا بعذوبة نطقه وعلمنا ما وراء برقه ابتدرنا
فتح الباب وتلقيناه بالترحاب وقلنا للغلام
هيا هيا وهلم ما تهيا فقال الضيف والذي

احلني ذراكم

احلني ذراكم لا تلمظت بقراكم او تضمنوا لي الا
تتخذوني كلا ولا تجشموا لاجلي اكلا فرب
اكلة هاضت الآكل وحرمته مآكل وشر الاضياف
من سام التكليف وآذى المضيف وخصوصا اذى
يتعلق بالاجسام ويفضي الى الاسقام وما قيل في
المثل الذي سار سائره خير العشاء سوافره الا
ليعجل التعشي ويجتنب اكل الليل الذي يعشي
اللهم الا ان تقدنا نار الجوع وتحول دون الهجوع
قال فكانه اطلع على ارادتنا فرمى عن قوس
عقيدتنا لا جرم انا آنسناه بالتزام الشرط و
اثنينا على خلقه السبط ولما احضر الغلام ما راج
واذكى بيننا السراج تاملته فاذا هو ابو زيد فقلت
لصحبي ليهنكم الضيف الوارد بل المغنم البارد

فان يكن قد افل قمر الشعرى فقد طلع قمر الشعرا او
استسر بدر النثرة فقد تبلج بدر النثر فسرت
حميا المسرة فيهم وطارت السنة عن ماقيهم ورفضوا
الدعة التي كانوا نووها وثابوا الى نشر الفكاهة بعد
ما طووها وابو زيد مكب على اعمال يده حتى اذا استرفع
المائدة فقلت له اطرفنا بغريبة من غرائب اسمارك
او عجيبة من عجائب اسفارك فقال لقد بلوت من العجائب
ما لم يره الراؤون ولا رواه الراوون وان من اعجبها ما عاينته
الليلة قبيل انتيابكم ومصيري الى بابكم فاستخبرناه
عن طرفة مرآه في مسرح مسراه فقال ان مرامي الغربة
لفظتني الى هذه التربة وانا ذو مجاعة وبؤسى وجراب كفؤاد
ام موسى فنهضت حين سجى الدجى على ما بي من الوجى لارتاد
مضيفا او اقتنص رغيفا فساقني حادي السغب والقضا المكنى

ابا العجب الى ان وقفت على باب دار فقلت على بدار

حييتم يا اهل هذا المنزل ... وعشتم في خفض عيش خضل
ما عندكم لابن سبيل مرمل ... نضو سرى خابط ليل اليل
جوي الحشى على الطوى مشتمل ... ما ذاق مذ يومان طعم ماكل
ولا له في ارضكم من موئل ... وقد دجا جنح الظلام المسبل
وهو من الحيرة في تململ ... فهل بهذا الربع عذب المنهل
يقول لي الق عصاك وادخل ... وابشر ببشر وقرى معجل

قال فبرز الي جؤذر عليه شوذر فقال

وحرمة الشيخ الذي سن القرى ... واسس المحجوج في ام القرى
ما عندنا لطارق اذا عرى ... سوى الحديث والمناخ في الذرى
وكيف يقري من نفى عنه الكرى ... طوى برى اعظمه لما انبرى

فقلت ما اصنع بمنزل قفر ومنزل حلف فقر ولكن يا فتى
ما اسمك فقد فتنني فهمك فقال اسمي زيد ومنشاي فيد

وورد الى هذه المدرسة امس مع اخوالي من بني عبس فقلت
له زدني ايضاحا ازدك اسبا فصاحا عشت ونعشت
فقال اخبرتني اني برة وهي كاسمها برة انها نكحت عام
الغارة بماوان رجلا من سراة سروج وغسان فلما آنس
منها الاثقال وكان باقعة على ما يقال ظعن عنها سرا
وهلم جرا فما يعرف احي هو فيتوقع ام اودع اللحد
البلقع قال ابو زيد فعلمت بصحة العلامات انه ولدي
وصدفني عن التعرف اليه صفر يدي ففصلت عنه بكبد
مرضوضة ودموع مفضوضة فهل سمعتم يا اولي الالباب
باعجب من هذا العجاب فقلنا لا ومن عنده علم الكتاب
فقال اثبتوها في عجائب الاتفاق وخلدوها بطون الاوراق
فما سير مثلها في الآفاق فاحضرنا الدواة واساودها
ورقشنا الحكاية على ما سردها ثم استنبطناه عن مراده

في استضمام

في استضمام فتاه فقال اذا ثقل ردني خف علي ان
اكفل ابني فقلنا ان كان يكفيك نصاب من المال الغناه لك
في الحال فقال وكيف لا يقنعني نصاب وهل يحتقر
قدره الا مصاب قال الراوي فالتزم منهم كل منا
قسطا وكتب له به قطا فشكر عند ذلك الصنع
واستنفد في الثناء الوسع حتى انا استبطأنا القول
واستقللنا الطول ثم انه نشر من وشي السمر ما ازرى
بالحبر الى ان اظل التنوير وحشر الصبح المنير فقضينا
ليلة غابت شوائبها الى ان شابت ذوائبها وكمل سعدها
الى ان انفطر عمودها ولما ذر قرن الغزالة طمر طمور
الغزالة وقال انهض بنا لنقبض الصلات و
نستنض الحوالات فقد استطارت صدوع كبدي من
الحنين الى ولدي فوصلت جناحه حتى ستنبت نجاحه فحين

أحرز العين في صرته برقت أسارير مسرته وقال لي
جزيت خيراً من خطي فقد ميّز الله خليقتي عليك فقلت
أبدلني أن تتكلم لأشاهد ولدك النجيب وأنا فيه لكي يجيب
فنظر إلى نظرة الخادع إلى المخدوع وضحك حتى تغرغرت
مقلتاه بالدموع ثم أنشد

يا من تظنى السراب ماءً … لما رويت الذي رويت
ما خلت أن يستسر مكري … ولن تخال التي عنيت
والله ما برة بعرسي … ولا لي ابن به اكتنيت
وإنما لي فنون سحر … أبدعت فيها وما اقتديت
لم يحكها الأصمعي فيما حكى … ولا حاكها الكميت
تخذتها وصلة إلى ما … يجتنيه كفي متى اشتهيت
ولو تعاففتها لحالت … حالي ولم أحو ما حويت
فمهد العذر أو فسامح … إن كنت أجرمت أو جنيت

وقال الحارث بن همام ثم إنه ودعني ومضى وأودع قلبي جمر الغضا

المقامة السادسة تعرف بالخيفاء

روى الحارث بن همام قال حضرت ديوان النظر بالمراغة وقد
جرى به ذكر البلاغة فأجمع من حضر من فرسان البراعة
وأرباب البراعة على أنه لم يبق من ينقح الإنشاء ويتصرف
فيه كيف شاء ولا خلف بعد السلف من يبتدع طريقة
غراء أو يفترع رسالة عذراء وأن المفلق من كتاب
هذا الأوان المتمكن من أزمة البيان كالعيال على
الأوائل ولو ملك فصاحة سحبان وائل وكان بالمجلس
كهل جالس في الحاشية عند مواقف الحاشية فكان كلما
شط القوم في شوطهم ونثروا العجرة والبجرة من نوطهم
ينبي تخازر طرفه وتشامخ أنفه أنه مخرنبق لينباع

ومجرٍّ ترسيفه الباع ونابض يبري النبال ورائض يغني النصال
فلما تلت الكنائن وفارق السكائن وركدت الزعازع
وكف المنازع أقبل على الجماعة وقال لقد جئتم شيئاً إدّا
وجرتم عن القصد جداً إذ عظمتم العظام الرفات
وأفنيتم في الميل إلى من فات وغمصتم جيلكم الذين فيهم
نبتت لكم اللِّدات ومعهم انعقدت المودّات أنسيتم
يا جهابذة النقد وموابذة الحل والعقد ما أبرزته
طوارف القرائح وبرّز فيه الجذع على القارح من العبارات
المهذبة والاستعارات المستعذبة والرسائل الموشّحة
والأساجيع المستملحة وهل للقدماء إذا أنعم النظر
من حضر غير المعاني المطروقة المورد المعقولة الشوارد
المأثورة عنهم لتقادم المولد لا لتقدّم الصادر عن
الوارد وإني لأعرف الآن من إذا أنشأ وشّى وإذا عبّر

حبّر وإذا أسهب أذهب وإذا أوجز أعجز وإن بده شده
ومتى اخترع خرع فقال له ناظر الديوان وعين
أولئك الأعيان من قارع هذه الصفاة وقريع هذه الصفات
فقال إنه قرن مجالك وقرين جدالك وإذا شئت فرض نفسه
نجيّا وادع مجيبا لترى عجبا فقال له يا هذا إن البغاث
بأرضنا لا يستنسر والتمييز عندنا بين الفضة والقضة
متيسّر وقلّ من استهدف للنضال فخلص من الداء
العضال أو استثار نقع الامتحان فلم يقذ بالامتهان
فلا تعرّض عرضك للمفاضح ولا تعرض عن نصاحة الناصح
فقال كل امرئ أعرف بوسم قدحه وسينبئ الليل
عن صبحه فتناجت الجماعة فيما يسبر به قليبه
ويعجم فيه تقليبه فقال أحدهم ذروه في حصّتي من أدبه
لنجز فصّتي فإنها عضلة العقد ومحكّ المنتقد فقلّدوه

فبهذا الامر الزعامة تقليد الخوارج ابا نعامة فاقبل
على الكهل وقال اعلم اني اوالي هذا الوالي وارخي حالي
بالبيان الحالي ولست استعين على تقويم اودي في بلدي
بسعة ذات يدي مع قلة عددي فلما ثقل حاذي
ونفد زادي امتطيت من ارجاء بي جابيي وداعيته اعاذة
رواحي وارواحي فنهض للوفادة وارتاح وغدا بالا
فادة وراح فلما استاذنته في المراح الى المراح على
كاهل المراح قال قد اذنت الآن ورد ل ثنايا ولا
اجمع لك شتايا او تنشي لي امام ارتحالك رسالة
تودع عما شرح حالك حروف واحدى كلمتيها يعمها
النقط وحروف الاخرى لم يعجم قط وقد استانيت بياني
حولا فما احار قولا وبهت فلم سنة فما ازكاه الاسنة
واستعنت بقاطبة الكتاب فكل منهم قطب وتاب فان كنت

صدقت عن وصفك بالنعت فات بابه لم كنت من الصادقين
فقال له لقد استسعيت يعقوبا واستنقيت اسكوبا
واعطيت القوس باريها واسكنت الدار بانيها ثم فكر
ريثما ليجم قريحته واستدر لقحته وقال له الق
دواتك وخذ اداة كتبك واكتب الكرم ثبت الله جيش سعودك
يزين واللوم غض الدهر جفن حسودك يشين والاروع
يثيب والمعور يخيب والحلاحل يضيف والماحل يخيف
والسمح يغذي والمحك يقذي والعطايا تنجع والمطال
يشجي والدعاء يقي والمدح ينقي والحر يجزي والطاح
يخزي واطراح ذوي الحرمة غي ومحرمة بني الامال بغي
وما ظن الا غبين ولا غبن الا ضنين ولا حزن الا شحيح
ولا قبض راحة تقي وما فتى وحدك بقى وارداوك
بشغي وهلا لكن بقضي وحلمك بغضي والاول يغني

مقاهدك

واعداؤك شتى وسوددك يبني وحباؤك يغني ومواصلك
يجتني ومادحك يقتني وسماحك يخبت وسماؤك تغيث
ودرك يفيض ودركك يغيض ومؤملك شيخ حكاه
فيء ولم يبق له شيء املك بظن حرصه يثب ومدحه
يخب مهورها يجب ومرامه يحب اواصره نشف
واطرافه بجنب وملامه بجنب وزاده ضفف
ومسهم شظف وحصصهم جزف وعمهم قشف ويوفي
دمع يجيب ولهيب يذيب وهم تضيف وكد نشف ماء
وخبت امامك شيبة وعدو ينب وحزن تغيب ولم يزغ
ود فيغضب ولا خبث عوده فيقتضب ولا اذنب صدره
فينقص ولا نشز وصله فيبغض وما يقتضي كرمك
نبذ حرمه فبيض امله بتخفيف المه بقيت حمدك ثني
عالمه بقيت لاماطة شجب واعطاء نشب ومداواة شجب

ودم اعادها

ومراعاة يغر موضع لا يخفض وسرور غيض ما غشي معهد
غني او خشي ونم غبي والسلم فلما فرغ من املاء
رسالته وجلى في حلبة البلاغة عن بسالته ارضته الجماعة
فعلا وقولا واوسعته حفاوة وطولا ثم سئل من اي
الشعوب نجاره وفي اي الشعاب وجاره فقال

غسان اسرتي الصميمة ... وسروج تربتي القديمة
فالبيت مثل الشمس اشراقا ومنزلة جسيمة
والربع كالفردوس مطيبة ومنزهة وقيمة
واها لعيش كان لي فيها ولذات عميمة
ايام اسحب مطرفي في روضها ماضي العزيمة
اختال في برد الشباب واجتلي النعم الوسيمة
لا اتقي نوب الزمان ولا حوادثه المليمة
فلو ان كربا متلفا لتلفت من كربي المقيمة

ويُقيلني عيشٌ مضى لِقدرته مما جنى الكِبَرَه
فالموتُ خيرٌ للفتى من عيشه عيشَ البهيمه
تقتاده بُرةُ الصَّغار الى العظيمة والهضيمه
وترى السباع تنوشُها أيدي الضباع المُنتضيه
والذنبُ للأيام لولا شؤمُها لم تَنبُ شيمه
ولو استقامت كانت الأحوالُ فيها مستقيمه ثم لن يرجع الى الوالي

فلما فاه باللآلي وسامه لن ينضوها الى أحشائه وبلي ديوان إنشائه فأحسبه الحِباء وطلقه عن الولاية فرأباه قال الراوي وكنتُ عرفتُ عودَ شجرته قبل إيناع ثمرته وكدتُ أُنبّه على علوّ قدره قبل استنارة بدره فأوحى اليّ بإيماض جفنه ألّا أُجرّد عضبه من جفنه فلما خرج بطين الحرج وفصل فائز الفلج شيّعتُه قاضيًا حقّ الرعاية ولاحيًا له على رفض الولاية فأعرض متبسّمًا

وأنشد مترنّمًا

وأنشد مترنّمًا

لَجوبُ البلاد مع المَتربه أحبُّ إليّ من المرتبه
لأنّ الولاة لهم نبوةٌ ومعتبةٌ يا لها معتبه
وما فيهم من يربّ الصنيع ولا من يُشيّد ما رتّبه
فلا يخدعنّك لموعُ السراب ولا تأتِ أمرًا إذا ما اشتبه
فكم حالمٍ سرّه حلمُه وأدركه الروع لمّا انتبه

المقامة السابعة حكى الحارث بن همام قال

أزمعتُ الشخوص من برقعيد وقد شِمتُ برقَ عيد فكرهتُ الرحلة عن تلك المدينة أو أشهدَ بها يوم الزينة فلما أظلّ بفرضه ونفله وأجلب بخيله ورجله اتّبعتُ السنّة في لبس الجديد وبرزتُ مع من برز للتعييد وحين التأم جمعُ المصلّى وانتظم وأخذ الزحامُ بالكظم طلع شيخ

في تمليين مجحب المقلتين وقد اعتضد شبه المخلاة واستقل للعجوز كالسعلاة فوقف وقفة متهافت وحيا تحية خافت ولما فرغ من دعائه أجال خمسه في وعائه فأبرز منه رقاعا قد كتبن بالوان الاصباغ في أوان الفراغ فناولهن عجوزه الحيزبون وأمرها بأن تتوسم الزبون فمن أنست نداه ألقت ورقة بين يديه فأتاح لي القدر المعتوب رقعة فيها مكتوب

لقد أصبحت موقوذا بأوجاع وأوجال ... وممنوا بمختال ومحتال ومغتال
وخوّان من الخوّان قال لي لإقلالي ... وإعمال من العمال في تضليع أعمالي
فكم أصلى بإذحال وإمحال وزلزال ... وكم أخطر في بال ولا أخطر في بال
فليت الدهر لما جار أطفالي أطفى لي ... فلولا أن أشبالي أغلالي وأغلالي
لما جهزت آمالي إلى آل ولا والي ... ولا جررت أذيالي على مسحب إذلال
فمحرابي أحرى بي وأسمالي أسمى لي ... فهل حر يرى تخفيف أثقالي بمثقال
ويطفي حر بلبالي بسربال وسروال

قال الحارث بن همام فلما استعرضت حلية الأبيات تقت إلى معرفة ملحمها وراقم علمها فناجاني الفكر بأن الوصلة إليه العجوز وأنبأني بأن حلوان المعرّف يجوز فرصدتها وهي تستقري الصفوف صفا صفا وتستوكف الأكف كفا فكفا وما إن تنجح لها عناء ولا يترشح على يديها إناء فلما أكدى استعطافها وكدّها مطافها عاذت بالاسترجاع ومالت إلى ارتجاع الرقاع فأنساها الشيطان ذكر رقعتي فلم تعج إلى بقعتي وآبت إلى الشيخ باكية للحرمان شاكية تحامل الزمان فقال إنا لله وأفوض أمري إلى الله ولا حول ولا قوة إلا بالله

لم يبق صاف ولا مصاف ... ولا معين ولا معين
وفي المساوي بدا التساوي ... فلا أمين ولا أمين

ثم قال لها مني النفس وعديها واجمعي الرقاع وعديها فقالت لقد عددتها لما استعدتها فوجدت يدا

الضياع فقد غالت بعضي الرقاع فقلت تعسا لك يا لكاع
أتجرم وتلك القبض والحبالة والقبص والذبالة إنها
لضغث على إبالة فانصاعت تقبض مدرجها وتنشد
مدرجها فلما دانتني رنت بالرقعة درهما وقطعة
وقلت لها إن رغبت في المشوف المعلم وأشرت إلى
الدرهم فبوحي بالسر المبهم وإن أبيت أن تشرحي
فخذ القطعة واسرحي فمالت إلى استخلاص البدر التم
والبلج الهم وقالت دع جدالك وسل عما بدا لك
فاستطلعتها طلع الشيخ وبلدته والشعر
وناسج بردته فقالت إن الشيخ من أهل سروج
وهو الذي وشى الشعر المنسوج ثم خطفت الدرهم
خطفة الباشق ومرقت مروق السهم الراشق فخالج
قلبي أن أبا زيد هو المشار إليه وتأجج كربي لمصابه

بناظريه وآثرت أن أكاثره وأنا جهد الأعجم عوض فراستي
فيه وما كنت أصل إليه إلا بتخطي رقاب الجمع المنهي
عنه في الشرع وعفت أن يتأذى بي قوم أو يتبرى إلي لوم
فسددت مكاني وجعلت شخصه قيد عياني إلى أن انقضت
الخطبة وحقت الوثبة فخففت إليه وتوسمته على التحام
جفنيه فإذا المعني المعنى ابن عباس وفراستي فراسة
إياس فعرفته حينئذ شخصي وآثرته بالحد فحصي وأهبت
به إلى قرصي ممن يتخافي وعرفاني ولبى دعوة رغفاني
وانطلق وبيدي زمامه وظلي أمامه والعجوز ثالثة
الأثافي والرقيب الذي لا يخفى عليه الخافي ولما استحلسني
وكنني ولخضرة عجالة مكنتني قال يا جارة أمعنا ثالث
فقلت لبرأة العجوز فقال ما دونها سر محجوز ثم
فتح كريمتيه ورأى ثوا أخيه فإذا أسر لها وجهه تتهلل

كأنما الغرقدان فابتحثت بالسلامة ما دعاك إلى التعامي

مع سيرك في الموامي وجوبك الموامي وإيغالك في المرامي

فتظاهر باللكنة وتشاغل باللعنة حتى إذا قضى وطره

أثار إلي نظره وأنشد من الطويل

ولما تعامى الدهر وهو أبو الورى عن الرشد في أنحائه ومقاصده

تعاميت حتى قيل إني أخو عمى ولا غرو أن يحذو الفتى حذو والده

ثم قال لي انهض إلى المخدع فأتني بغسول يروق

الطرف وينقي الكف وينعم البشرة ويعطر النكهة

ويشد اللثة ويقوي المعدة وليكن نظيف الظرف

أريج العرف فتي الدق ناعم السحق يحسبه اللامس

ذروراً وتخاله الناشق كافوراً واقرن به خلالة نقية

الأصل محبوبة الوصل أنيقة الشكل مدعاة إلى

الأكل لها نحافة الصب وصقال العضب وآلة الحرب

ولدونة

ولدونة الغصن الرطب قال فنهضت فيما أمر الأدراء

عنه العجم ولم أهتد إلى كنه فقصد لمن يخدع بإدخالي

المخدع ولا تلبثت أنه تحرز من الوسول في استدعاء الخلال

والغسول فلما عدت بالملتمس في أقرب من رجع النفس وجدت

الجو قد خلا والشيخ والشيخة قد أجفلا فاستشطت

من مكره غضباً وأوغلت في إثره طلباً فكان كمن قمص في الماء

أو عرج به إلى عنان السماء

المقامة الثامنة

أخبر الحارث بن همام قال رأيت في أعاجيب الزمان أن

تقدم خصمان إلى قاضي معرة النعمان أحدهما قد ذهب منه

الأطيبان والآخر كأنه قضيب البان فقال الشيخ

أيد الله القاضي كما أيد به المتقاضي إنه كانت لي مملوكة

رشيقة القد أسيلة الخد صبور على الكد تخب

أحياناً كالنهد وترقد أطواراً في المهد وتجد في تموز

مسَّ البردِ ذاتُ عقلٍ وعنانٍ وحدٍّ وسنانٍ وكفٍّ بنانٍ
وفمٍ بلا أسنانٍ يلدغُ بلسانٍ نضناضٍ ويرفلُ
في ذيلٍ فضفاضٍ ويجلى في سوادٍ وبياضٍ ويسقى ولكن
من غيرِ حياضٍ ناصحةٌ خدعةٌ خبأةٌ طلعةٌ مطبوعةٌ
على المنفعةِ مطاوعةٌ في الضيقِ والسعةِ إذا
قطعتْ وصلتْ ومتى فصلتها عنك انفصلتْ وطالما
خدمتكَ فجمّلتْ وربما جنتْ عليكَ فآلمتْ وأملّتْ
ولكنَّ هذا الفتى استخدمها للغرضِ فأخدمتهُ إياها
بلا عوضٍ على أن يجتني نفعها ولا يكلّفها إلا وسعها
لم يجعلها اصمعي فيما يحكي ولا حاكها الكميت تحديثها وصلة الملاحة [illegible]
ولو تعاقبها الحال حالي ولم احوجني   فأولجَ فيها متاعهُ
وأطالَ بها استمتاعهُ ثمّ أعادها إليَّ وقد أفضاها وبذلَ
عنها قيمةً لا أرضاها فقال الحدثُ أما الشيخُ فأصدقُ

من القطا

من القطا وأما الإفضاءُ ففرطَ عن خطاءٍ وقد رهنتهُ
على أرشِ ما أوهنتهُ مملوكاً لي مناسبَ الطرفينِ منتسباً
إلى القينِ يغشى بغيابهِ الدرنُ والشينُ يفارقُ مكحلةً سوادَ
العينِ يعشي للعيانِ ويبشّرُ باستحسانٍ ويغذي
الإنسانَ ويتحامى اللسانَ إن سوّدَ جادَ أو وشمَ أجادَ
وإذا زوّدَ وهبَ الزادَ ومتى استزيدَ زادَ لا يستقرُّ
بمغنى وقلّما ينكحُ إلا مثنى يسخو بموجودهِ ويسمو عند
جودهِ وينقادُ مع قرينتهِ وإن لم تكن من طينتهِ و
يستمتعُ بزينتهِ وإن لم يطمعْ في لينتهِ فقال لهما
القاضي إما أن تبينا وإلا فبينا فبدرَ الغلامُ وقال

أعارني إبرةً لأرفوَ أطماراً   عفاها البلى وسوّدها
فانخرمتْ في يدي على خطإٍ   مني لما جذبتُ مِسْوَدَها
فلم يرَ الشيخُ أن يسامحني   بأرشها إذ رأى تأوّدها

بل قال كان ابن ثمالتها او فيه بعد لن تجود كما
واعتاق ميلي رهنا لديه وناهيك بها شيمة تزهد كما
فالحين مرهي لرهنه ويدي تقصر عن فكه وقد كما
فاستبر بذا الشرح عن حقيقتي وارث لمن لم يكن يعدكما

فاقبل القاضي على الشيخ وقال ايه بغير تمويه فقال

أقسمت بالمشعر الحرام ومن ضمّ من الناسكين خيف منى
لو ساعفتني الأيام لم ترني مرتهنا ميله لتي رهنا
ولا تصدّيت أبتغي بدلا من ابن غالٍ بها ولا ثمنا
لكن قوس الخطوب ترشقني بنبلها عن هنا وها هنا
وخبر حالي كخبر حالته ضرا وبؤسا وغربة وضنى
قد عدل الدهر بيننا فأنا نظيره في الشقاء وهو أنا
لا هو يسطيع فك مرتهن لما اغتدى في يدي مرتهنا
ولا مجالي لضيق ذات يدي فيه اتساع للعفو حين جنى

ومن

فهذه قصتي وقصته فانظر الينا وبيننا ولنا

فلما وعى القاضي قصصهما وتبين خصاصتهما وخصاصهما
ابرز لهما دينارا من تحت مصلاه وقال لهما اقطعا به
الخصام وافصلاه فتلقفه الشيخ دون الحدث
وليس خاصمه على وجه الجد لا العبث وقال للحدث
نصفه لي بسهم مبرتي وسهمك لي عن ارث ابوتي ولست
على الحق ابيل فقم وخذ الميل فعرى الحدث لما حدث
اكتئاب بحيث لم يرد عليه جواب ووجم له القاضي
وهيج اسفه على الدينار الماضي الا انه جبر بال الفتى
وبلباله بدريهمات رضخ بها له وقال لهما اجتنبا
المعاملات اللتين درا المخاصمات ولا تحضراني في المحاكمات
فما عندي كيس الغرامات فنهضا من عنده فرحين برفده
مفصحين في حمده والقاضي ما يخبو تضجره مذ بض حجره

ولا ينصل كمن مذ شح حلمه حتى اذا افاق من غشيته
اقبل على غاشيته وقال قد اشرب حسي وتبين
حدسي انهما صاحبا ذكاء لا خصما ادعاء فكيف السبيل
الى سبر علمهما واستنباط سرهما فقال له نحرير زمرته و
شرارة جمرته انه لن يتم لاستخراج خبئهما الا بهما فقفاهما
عونا بل جمعهما اليه فلما مثلا بين يديه قال لهما
اصدقاني سن بكركما ولكما الامان من تبعة مكركما فاحجم
الحدث وتقى واستقال واقدم الشيخ وقال

انا السروجي وهذا ولدي * والشبل في المخبر مثل الاسد
وما تعدت يده ولا يدي * في ابرة يوما ولا في مرود
وانما الدهر المسيء المعتدي * مال بنا حتى غدونا نجتدي
كل ندي الراحة عذب المورد * وكل جعد الكف مغلول اليد
بكل فن وبكل مقصد * بالجد ان اجدى والا بالدد
نجتلب الرشح الى الحظ الصدي * وننفد العمر بعيش انكد
والموت من بعد لنا بالمرصد * ان لم يفاجي اليوم فاجي في غد

فقال له القاضي لله درك فما اعذب نفثات فيك
وواها لك لولا الخداع فيك واني لك من المنذرين
وعليك من المحذرين فلا تماكرن بعدها الحاكمين واتق
سطوة المتحكمين فما كل مسيطر يقيل ولا كل آوان
يسمع القيل فعاهده الشيخ على اتباع مشورته و
الارتداع عن تلبيس صورته وفصل عن حضرته والخزي
يلمع من جبهته قال الحرث بن همام فلم ار اعجب
منها في تصاريف اسفاري ولا قرات مثلها في تضاعيف اسفاري

المقامة التاسعة حكى الحرث

بن همام قال طحا بي مرح الشباب وهوى الاكتساب الى

وَغانَة

انْ جُبْتُ ما بين فرغانة اخوض الغمار لاجني الثمار واقتحم

الاخطار لكي ادرك الاوطار وكنت لقفت من افواه

العلماء وثقفت في وصايا الحكماء انه يلزم الاديب الاريب

اذا دخل البلد الغريب ان يستميل قاضيه ويستخلص

مراضيه ليشتد ظهره عند الخصام ويامن في الغربة

جور الحكام فاتخذت هذا الادب اماما وجعلته

لمصالحي زماما فما دخلت مدينة ولا اولجت عرينة الا

مازجت حاكمها امتزاج الماء بالراح وتقويت

بعنايته تقوي الاجساد بالارواح فبينما انا عند حاكم

الاسكندرية في عشية عرية وقد احضر مال الصدقات

ليفضه على ذوي الفاقات اذ دخل شيخ عفرية

تعتله امراة مصبية فقالت ايد الله القاضي وادام

به التراضي اني امراة من اكرم جرثومة واطهر ارومة

واشرف خؤولة وعمومة ميسمي الصون وشيمتي الهون وخلقي

نعم العون وبيني وبين جاراتي بون وكان ابي اذا خطبني

بناة المجد وارباب الجد سكتهم وبكتهم وعاف وصلتهم

وصلتهم واحتج بانه عاهد الله تعالى بحلفة الا يصاهر

غير ذي حرفة فقيض القدر لنصبي ووصبي ان حضر

هذا الخدعة نادي ابي فاقسم بين رهطه انه وفق

شرطه وادعى انه طالما نظم درة الى درة فباعهما

ببدرة فاغتر ابي بزخرفة محاله وزوجنيه قبل اختبار

حاله فلما استخرجني من كناسي ورحلني عن اناسي

ونقلني الى كسره وحصلني تحت اسره وجدته قعدة

جثمة والفيته ضجعة نومة وكنت صحبته برياش وزي

واثاث وري فما برح يبيعه في سوق الهضم ويتلف

ثمنه في القضم والخضم الى ان مزق ما لي باسره وانفق

مالي في عسره

فلما آنسني طعم الراحة . وغادرني انقى من الراحة فقلت
له يا هذا انه لا مخبأ بعد بوس ولا عطر بعد عروس فانهض
للاكتساب بصناعتك واجن ثمرة براعتك فزعم ان صناعته
قد رميت بالكساد لما ظهر في الارض من الفساد ولي
منه سلالة كانها خلالة وكلانا ما يناله معه شبعة
ولا ترقا له من الطوى دمعة فقد قدته اليك والمعرفة
لديك لتعجم عود دعواه وتحكم بيننا بما أراك الله فاقبل
القاضي عليه وقال له قد وعيت قصص عرسك
فبرهن عن نفسك والا كشفت عن لبسك وأمرت
بحبسك فاطرق اطراق الافعوان ثم شمر للحرب العوان
على سبيل البيان وقال اسمع حديثي فانه عجب يضحك من شرحه وينتحب
انا امرؤ ليس في خصائصي عيب ولا في فخاري ريب
سروج داري ولكن اين بها وأين من غسان حين انتسب

وشغلي الدرس

وشغلي الدرس والتبحر في العلم طلابي وحبذا الطلب
ورأس مالي سحر الكلام الذي منه يصاغ القريض والخطب
أغوص في لجة البيان فاختار اللآلي منها وانتخب
وأجتني اليانع الجني من القول وغيري للعود محتطب
وآخذ اللفظ فضة فاذا ما صغته قيل انه ذهب
وكنت من قبل امتري نشبا بالادب المقتنى واحتلب
ويمتطي اخمصي لحرمته مراتبا ليس فوقها رتب
وطالما زفت الصلات الى ربعي فلم ارض كل من يهب
فاليوم من يعلق الرجاء به اكسد شيء في سوقه الادب
لا عرض ابنائه يصان ولا يرقب فيهم إل ولا نسب
كأنهم في عراصهم جيف يبعد من نتنها ويجتنب
فحار لبي لما منيت به من الليالي وصرفها عجب
وضاق ذرعي لضيق ذات يدي وساورتني الهموم والكرب

وقادني دهري المليم إلى سلوك ما يشينه الحسب
فبعت حتى لم يبق لي لبد ولا بتات إليه أنقلب
وادّنت حتى أثقلت سالفتي بحمل دين من دونه العطب
ثم طويت الحشى على سغب خمسًا فلما أمضّني السغب
لم أر إلا جهازها عرضًا أركض في بيعه وأضطرب
فجلت فيه والنفس كارهة والعين عبرى والقلب مكتئب
وما تجاوزت إذ عبثت به حدّ التراضي فيحدث الغضب
فإن يكن غاظها توهّمها أنّ بناني بالنظم تكتسب
أو أنني إذ عزمت خطبتها زخرفت قولي لينجح الأرب
فوالذي سارت الرفاق إلى كعبته تستحثها النجب
ما المكر بالمحصنات من خلقي ولا شعاري التمويه والكذب
ولا بناني مذ نشأت نيط بها إلا مواضي اليراع والكتب
بل فكرتي تنظم القلائد لا كفّي وشعري المنظوم لا السخب

وهذه الحرفة

وهذه الحرفة المشار إليها كنت أهوى بها وأجتلب
فأذن لشرحي كما أذنت لها ولا تراقب واحكم بما يجب
قال فلما أحكم ما شاده وأكمل إنشاده عطف القاضي
إلى الفتاة بعد أن شغف بالأبيات وقال أما إنه قد ثبت
عند جميع الحكام وولاة الأحكام انقراض جيل الكرام
وميل الأيام إلى اللئام وإني لأخال بعلك صدوقًا
في الكلام بريئًا من الملام وها هو قد اعترف لك
بالقرض وصرّح عن المحض وبيّن مصداق النظم
وتبيّن أنه معروق العظم وإعنات المعذر ملامة و
حبس المعسر مأثمة وكتمان الفقر زهادة وانتظار الفرج
بالصبر عبادة فارجعي إلى خدرك واعذري أبا عذرك
ونهنهي من غربك وسلّمي لقضاء ربك ثم إنه فرض لهما في
الصدقات حصة وناولهما من دراهمها قبضة وقال

نعللا بهذه العلالة وتنديا بهذه البلالة واصبرا
على كيد الزمان وكره فعسى الله ان ياتي بالفتح او امر
من عنده فنهضا وللشيخ فرحة المطلق من الاسار
وهزة الموسر بعد الاعسار قال الراوي وكنت
عرفت انه ابو زيد ساعة بزغت شمسه ونزغت
عرسه فكدت افصح عن افتنانه واثمار افنانه ثم
اشفقت من عثور القاضي على بهتانه وتزوير لسانه
فلا يرى عند عرفانه ان يحشه باحسانه فاحجمت
عن وصفه احجام المرتاب وطويت ذكره كطي السجل
للكتاب الا اني قلت بعدما فصل ووصل الى ما
وصل لو ان لنا من ينطلق في اثره لاتانا بفص خبره
وما ينشر من حبره فاتبعه القاضي احد امنائه وامره
بالتجسس على انبائه فما لبث ان رجع متدهدها و[illegible]

مقهقها فقال له القاضي مهيم يا ابا مريم فقال
لقد عاينت عجبا وسمعت ما انشأ لي طربا فقال له ماذا
رأيت وما وعيت قال لم يزل الشيخ مذ خرج يصفق بيديه
ويخالف بين رجليه ويغرد بملء شدقيه ويقول

كدت اصلى بلية من وقاح شتمه
وازور البحر لولا حاكم الاسكندرية

فضحك القاضي حتى هوت دنيته وذوت سكينته فلما فاء
الى الوقار وعقب الاستغراب بالاستغفار قال اللهم
بحرمة عبادك المقربين حرم حبسي على المتادبين
ثم قال لذلك الامين علي به فانطلق مجدا في طلبه
ثم عاد بعد لأي مخبرا بنأيه فقال القاضي
اما انه لو حضر لكفي الحذر ثم لاوليته ما هو به اولى
ولأريته ان الآخرة خير له من الاولى قال الحارث بن همام
فلما رأيت صغو القاضي اليه وفوت ترح التنبيه عليه



عشيني ندامة الفرزدق حين ابان النوار والكسعي لما استبان النهار

المقامة العاشرة

حكى الحرث بن همام قال هتف بي داعي الشوق الى رحبة مالك
بن طوق فلبيته ممتطيا شملة ومنتضيا عزمة مشمعلة
فلما القيت بها المراسي وشددت امراسي وبرزت من الحمام
بعد سبت راسي رايت غلاما افرغ في قالب الجمال
والبس من الحسن حلة الكمال وقد اعتلق شيخ بردنه
يدعي انه فتك بابنه والغلام ينكر عرفته ويكبر قرفته و
الخصام بينهما مستطير الشرار والزحام عليهما يجمع
بين الاخيار والاشرار الى ان تراضيا بعد اشتطاط
اللدد بالتنافر الى والي البلد وكان ممن يظن بالهناة
ويغلب حب البنين على البنات فاسرعا الى ندوته



عشيتني ندامة الفرزدق حين ابان النوار والكسعي لما ابصر النهار

المقامة العاشرة

حكى الحرث بن همام قال هتف بي داعي الشوق الى رحبة مالك
بن طوق فلبيته ممتطيا شملة ومنتضيا عزمة مشمعلة
فلما القيت بها المراسي وشددت امراسي وبرزت من الحمام
بعد سبت راسي رايت غلاما افرغ في قالب الجمال
والبس من الحسن حلة الكمال وقد اعتلق شيخ بردنه
يدعي انه فتك بابنه والغلام ينكر عرفته ويكبر قرفته و
الخصام بينهما متطاير الشرار والزحام عليهما كجمع
بين الاخيار والاشرار الى ان تراضيا بعد اشتطاط
اللدد بالتنافر الى والي البلد وكان ممن يظن بالهنات
ويغلب حب البنين على البنات فاسرعا الى ندوته

كالسلك

غشيتني ندامة الفرزدق حين ابان النوار والكسعي لما استبان النهار

المقامة العاشرة

حكى الحرث بن همام قال هتف بي داعي الشوق الى رحبة مالك بن طوق فلبيته ممتطيا شملة ومنتضيا عزمة مشمعلة فلما القيت بها المراسي وشددت امراسي وبرزت من الحمام بعد سبت راسي رايت غلاما افرغ في قالب الجمال والبس من الحسن حلة الكمال وقد اعتلق شيخ بردنه يدعي انه فتك بابنه والغلام ينكر عرفته ويكبر قرفته والخصام بينهما متطاير الشرار والزحام عليهما يجمع بين الاخيار والاشرار الى ان تراضيا بعد اشتطاط اللدد بالتنافر الى والي البلد وكان ممن يظن بالهنات ويغلب حب البنين على البنات فاسرعا الى ندوته

كالسلك

كالسليك في عدوته فلما حضراه جدد الشيخ دعواه واستعدى على عدواه فاستنطق الغلام والان له الكلام وقد فتنه بمحاسن غرته وطر عقله بتصفيف طرته فقال انها افيكة افاك على غير سفاك وعضيهة محتال على من ليس بمغتال فقال الوالي للشيخ ان يشهد لك عدلان من المسلمين والا فاستوف منه اليمين فقال الشيخ انه جدله خاليا وافاح دمه خاليا فاني لي شاهد ولم يكن ثم مشاهد ولكن ولني تلقينه اليمين ليبين لك ايصدق ام يمين فقال له انت المالك لذلك مع وجدك المتهالك على ابنك الهالك فقال الشيخ للغلام قل والذي زين الجباه بالطرر والعيون بالحور والحواجب بالبلج والمباسم بالفلج والجفون بالسقم والانوف بالشمم والخدود باللهب والثغور بالشنب

والبنان بالترف والخصور بالهيف انني ما قتلت ابنك
سهوا ولا عمدا ولا جعلت هامته لسيفي غمدا والا فرمى
الله جفني بالعمش وخدي بالنمش وطرتي بالجلح وطلعي
بالبلح ووردي بالبهار ومسكي بالبخار وبدري بالمحاق
وفضتي بالاحتراق وشعاعي بالاظلام ودواتي بالاقلام
فقال الغلام الاصطلاء ولا الابلاء بهذه الالية
والانقياد للقود ولا الحلف بما لم يحلف به احد فابى الشيخ
الا تجريعه اليمين التي ابتدعها وامر له جرعها ولم
يزل التلاحي بينهما يستعر ومحجة التراضي تتوعر
والغلام في ضمن تأبيه يتخلب قلب الوالي بتلويه ويطمعه
في ان يليه الى ان ران هواه على قلبه والبت بلبه وسول
له الوجد الذي تيمه والطمع الذي توهمه ان
يخلص الغلام ويستخلصه وينقذه من حبالة الشيخ

ثم يقتنصه

ثم يقتنصه فقال الوالي للشيخ هل لك فيما هو اليق
بالتقوى واقرب للتقوى فقال الام تشير لاقفيه ولا
اقف لك فيه قال ارى ان تقصر عن الفتك والفلك و
تقتصر منه على مائة مثقال اتحمل منها بعضا واجبي
لك الباقي عرضا فقال الشيخ ليس مني خلاف ولكن
لو عدل لخلاف فنقده الوالي عشرين ووزع على وزعته
تكملة خمسين ورنق تغور الاصيل وانقطع لاجله صوب
التحصيل فقال له خذ ما راج ودع اللجاج وعلي
في غد ان اتوصل الى ان ينض لك الباقي وتحصل فقال
الشيخ اقبل منك ذاك على ان الازمه ليلتي وترعاه انسان
مقلتي حتى اذا اعفى بعد اسفار الصبح بما بقي من مال
الصلح تخلصت قايبة من قوب وبري براة الذيب
من دم ابن يعقوب فقال له الوالي ما اراك سمت شططا

وارزت فرطا فقال الحارث بن همام فلما رايت تحجج
الشيخ كالحجج السريجية علمت انه علم السروجية فلبثت
الى ان انبرت عقود الزحام وزهرت نجوم الظلام
ثم قصدت فنا الوالي فاذا الشيخ للفتى كالي فنشدته
الله أانت ابو زيد فقال اي وحلال الصيد فقلت
من هذا الغلام الذي هفت له الاحلام فقال هو في
النسب فرخي وفي المكتسب فخي فقلت له هلا
اكتفيت بمحاسن فطرته وكفيت الوالي الافتتان
بطرته فقال لو لم تبرز جبهته السين لما افتنست
الخمسين ثم قال بت الليلة عندي لنطفي نار الجوى
ونديل الهوى من النوى فقد اجمعت على ان
انسل بسحرة واصلي قلب الوالي نار حسرة قال
فقضيت الليلة معه في سمر انق من حديقة زهر

وخيلة شجر حتى اذا لالا الافق ذنب السرحان وآن
ابتلاج الفجر وحان ركب متن الطريق واذاق الوالي
عذاب الحريق وسلم الي ساعة الفراق رقعة محكمة
الالصاق وقال ادفعها الى الوالي اذا استلب القرار وتحقق
منا الفرار ففضضتها فعل المتلمس من مثل صحيفة
المتلمس فاذا فيها مكتوب

قل لوال غادرته بعد بيني نادما سادما يعض اليدين
سلب الشيخ ماله وفتاه لبه فاصطلى لظى حسرتين
جاد بالعين حين اعمى هواه عينه فانثنى بلا عينين
خفض الحزن يا معني فما يجدي طلاب الآثار من بعد عين
ولئن جل ما عراك كما جل لدى المسلمين رزء الحسين
فقد اعتضت منه فهما وحزما والاديب اللبيب يبغي ذين
فاعص من بعدها المطامع واعلم ان صيد الظباء ليس بهين
لا ولا كل طائر يلج الفخ ولو كان محرقا بالحبين
وكم من سعى ليصطاد فاصطيد ولم يلق غير خفي حنين

فتبصر ولا تشم كل برق رب برق فيه صواعق حين

واغضض الطرف تسترح من غرام تكتسي فيه ثوب ذل وشين

فبلاء الفتى اتباع هوى النفس وبدء الهوى طموح العين

قال الراوي فمزقت رقعته شذر مذر ولم ابال اعذل ام عذر

المقامة الحادية عشر حدث الحارث بن همام قال

آنست من قلبي القساوة حين حللت بساوة فاخذت بالخبر المأثور في مداواتها بزيارة القبور فلما صرت الى محلة الاموات وكفات الرفات رأيت جمعا على قبر يحفر ومجنوز يقبر فانحزت اليهم متفكرا في المآل ومتذكرا من درج من الآل فلما الحدوا الميت وفات قول ليت اشرف شيخ من رباوة متخصرا بهراوة وقد لفع وجهه بردائه ونكر شخصه لدهائه فقال لمثل هذا

فليعمل العاملون فاذكروا ايها الغافلون وشمروا ايها المقصرون واحسنوا النظر ايها المتبصرون ما لكم لا يحزنكم دفن الاتراب ولا يهولكم هيل التراب ولا تعبأون بنوازل الاحداث ولا تستعدون لنزول الاجداث ولا تستعبرون لعين تدمع ولا تعتبرون بنعي يسمع ولا ترتاعون لالف يفقد ولا تلتاعون لمناحة تعقد يشيع احدكم نعش الميت وقلبه تلقاء البيت ويشهد مواراة نسيبه وفكره في استخلاص نصيبه ويخلي بين وعوده ولدوده ثم يخلو بمرحه وعوده طالما اسيتم على انثلام الحبة وتناسيتم لاغتنام الحبة واستكنتم لاعتراض العسرة واستهنتم بانقراض الاسرة وضحكتم عند الدفن ولا ضحكتكم ساعة الزفن وتبخترتم خلف الجنائز ولا تبختركم يوم قبض الجوائز واعرضتم عن تعديد النوادب الى اعداد المآدب وعن تحرق الثواكل الى التأنق في المآكل لا تبالون بمن هو بال ولا تخطرون

ولا تخطرون ذكر الموت ببالكم حتى كأنكم قد علمتم من الحمام بذمام
او حصلتم من الزمان على امان او وثقتم بسلامة الذات او تحققتم
مسالمة هادم اللذات كلا سا ما تتوهمون ثم كلا سوف تعلمون

ايا من يدعي الفهم ، الى كم يا اخا الوهم ، تعبي الذنب والذم ، وتخطي الخطا الجم
اما بان لك العيب ، اما انذرك الشيب ، وما في نصحه ريب ، ولا سمعك قد صم
اما نادى بك الموت ، اما اسمعك الصوت ، اما تخشى من الفوت ، فتحتاط وتهتم
فكم تسدر في السهو ، وتختال من الزهو ، وتنصب الى اللهو ، كان الموت ما عم
وحتام تجافيك ، وابطا تلافيك ، طباعا جمعت فيك ، عيوبا شملها انضم
اذا اسخطت مولاك ، فما تقلق من ذاك ، وان اخفق مسعاك ، تلظيت من الهم
وان لاح لك النقش ، من الاصفر تهتش ، وان مر بك النعش ، تغاممت ولا غم
تعاصي الناصح البر ، وتعتاص وتزور ، وتنقاد لمن غر ، ومن مان ومن نم
وتسعى في هوى النفس ، وتحتال على الفلس ، وتنسى ظلمة الرمس ، ولا تذكر ما ثم
ولو لاحظك الحظ ، لما طاح بك اللحظ ، ولا كنت اذا الوعظ ، جلا الاحزان تغتم

ستذري

ستذري الدم لا الدمع ، اذا عاينت لا جمع ، يقي في عرصة الجمع ، ولا خال ولا عم
كاني بك تنحط ، الى اللحد وتنغط ، وقد اسلمك الرهط ، الى اضيق من سم
هناك الجسم ممدود ، ليستاكله الدود ، الى ان ينخر العود ، ويمسي العظم قد رم
ومن بعد فلا بد ، من العرض اذا اعتد ، صراط جسره مد ، على النار لمن ام
فكم من مرشد ضل ، ومن ذي عزة ذل ، وكم من عالم زل ، وقال الخطب قد طم
فبادر ايها الغمر ، لما يحلو به المر ، فقد كاد يهي العمر ، وما اقلعت عن ذم
ولا تركن الى الدهر ، وان لان وان سر ، فتلفى كمن اغتر ، بافعى تنفث السم
وخفض من تراقيك ، فان الموت لاقيك ، وسار في تراقيك ، وما ينكل ان هم
وجانب صعر الخد ، اذا ساعدك الجد ، وزم اللفظ ان ند ، فما اسعد من زم
ونفس عن اخي البث ، وصدقه اذا نث ، ورم العمل الرث ، فقد افلح من رم
ورش من ريشه انحص ، بما عم وما خص ، ولا تاس على النقص ، ولا تحرص على اللم
وعاد الخلق الرذل ، وعود كفك البذل ، ولا تستمع العذل ، ونزهها عن الضم
وزود نفسك الخير ، ودع ما يعقب الضير ، وهيئ مركب السير ، وخف من لجة اليم

بذا أوصيتُ يا صاحِ وقد بُحتُ كمن باحَ فطوبى لفتىً راحَ بآدابيَ يأتمّ

ثم حَسَرَ رُدْنَه عن ساعدٍ شديد الأسر فتعقّد عليه جبابر الملك

كالكبير متعرّضًا للاستماحة في معرض الوقاحة فاختلب أولئك

الملا حتى انتزع كلمه وكلأه ثم انحدر من الربوة جذلًا بالحبوة

قال الراوي فجاذبتُه من ورائه بحاشية ردائه فالتفت إليّ

متسلّمًا وواجهني متبسّمًا فإذا هو شيخنا أبو زيد بعينه وحينه فقلت له

إلى كم يا أبا زيد أما ينبغي في الكيد أن يجاس كل الصيد ولا يبالى من ذمّ

فأجاب من غير استحياء ولا ارتياء وقال شعر

تبصّرْ ودعِ اللومَ وقل لي هل ترى اليومَ فتًى لا يقمر القومَ متى ما دستُه تمّ

فقلت له تعسًا لك يا شيخ النار وذا ملة العار ما مثلك

في طلاوة علانيتك وخبث نيّتك إلا مثل روثٍ مفضّضٍ أو

كنيفٍ مبيّضٍ ثم تفرّقنا فانطلق ذات اليمين وانطلقتُ

ذات الشمال وناوحتُ مهبّ الجنوب وناوح مهبّ الشمال

المقامة الثانية عشر حدّث الحارث

بن همام قال شخصتُ من العراق إلى الغوطة وأنا ذو جُرْدٍ

مربوطة وجِدَةٍ مغبوطة يُلهيني خَلْوُ الذرع ويُزهيني

حُفول الضَّرع فلما بلغتُها بعد شِقّ النفس وإنضاء العَنْس

ألفيتُها كما تصفها الألسن وفيها ما تشتهي الأنفس وتلذّ الأعين

فشكرتُ يدَ النوى وجريتُ طَلَقَ الهوى وطفقتُ أفضّ

بها ختومَ الشهوات وأجتني قطوف اللذات إلى أن شرع

سَفْرٌ في الإعراق وقد استفقتُ من الإغراق فعاودني عِيدٌ من

تذكار الوطن والحنين إلى العطن فقوّضتُ خيام الغيبة و

أسرجتُ جواد الأوبة ولما تأهّب الرفاق واستتبّ الاتفاق

لخافي المسير دون استصحاب الخفير فرُدناه من كل قبيلة

وأعملنا في تحصيله الحيلة فأعوز وجدانه في الأحياء حتى

حتى خلنا انه ليس من احيائه فجاوز لعوج عزوم الجبابرة
وابتدروا ابواب جيرون للاستشارة ثم ازالعابين عقد وحل
وشزر وسحل الى ان نفد السناجى وقط الرواجى وكان حذاءهم
شخص مبتسم الشباب لبوسه لبوس الرهبان وبيده سبحة
النسوان وفى عينيه ترجمة النشوان وقد قيد لحظه بالجمع
وارهف اذنيه لاستراق السمع فلما انتقلوا ثم وقد برح له
خفاؤهم قال لهم يا قوم ليفرخ كربكم وليامن سربكم
فساخبركم بما يسر ورودكم ويبرد وقودكم قال الراوى
فاستطلعنا منه طلع الخفارة واستنبأنا الجالبة لهن عن
السفارة فزعم انها كلمات لقنها فى المنام ليحترس بها
من كيد الانام فجعل بعضنا يومض الى بعض ويقلب طرفه بين
لحظ وغض وتبين له انا استضعفنا الخبر واستتبعنا الخبر
فقال ما لكم اتخذتم جدى عبثا وجعلتم تبرى خبثا ولطالما

والله جبت بها مخاوف الاوطار وولجت مفاحم الاخطار فغنيت
بها عن مصاحبة خفير واستصحاب جفير ثم انى سانفى ماريبكم
واستنيل الجد الذى نابكم بان اوافقكم فى البداوة و
ارافقكم فى السماوة فان صدقكم وعدى فاجدوا اسعدى
واسعدوا جدى وان كذبكم فمى فمزقوا ادمى واريقوا دمى
قال الحارث بن همام فالهمنا تصديق رؤياه وتحقيق ما
رواه فنزعنا عن مجادلته واستهمنا على معادلته وفصمنا
بقوله عرى الريث وقمنا ابقاء العائث ولما
عكمت الرحال وازف الترحال استملينا كلمات الراقية لنعطها
الواقية الباقية فقال ليقرا منكم ام القران كلما اطلع
الملوان ثم ليقل بلسان خاضع وصوت خاشع اللهم يا
محيى الرفات ويا دافع الآفات ويا واقى المخافات ويا كريم المكافات
ويا موئل العفاة ويا ولى العفو والمعافاة صل على محمد

خاتم انبيائك وحامل انبائك وعلى مصابيح اسرته ومفاتيح
نصرته واعذني اللهم من نزغات الشياطين ونزوات
السلاطين واعنات الباغين ومعاناة الطاغين ومعاداة
العادين وعدوان المعادين وغلب الغالبين وسلب السالبين
وحيل المحتالين وغيل المغتالين واجرني اللهم من جور المجاورين
وسطوة الجائرين وكف عني اكف الظالمين واخرجني
من ظلمات الظالمين وادخلني برحمتك في عبادك الصالحين
اللهم احفظني في ترحالي وغربتي وغيبتي وأوبتي ونجعتي
ورجعتي وتوجهي ومجاهي وتصرفي ومنصرفي ومنقلبي
ومتقلبي واحفظني في نفسي ونفائسي وعرضي وعرضي
وعددي وعديدي وسكني ومسكني وحولي وحالي
ومآلي ومالي ولا تحوجني الى تغيير ولا تسلط علي مغيرا واجعل
لي من لدنك سلطانا نصيرا اللهم احرسني بعينك وعونك

واخصصني

واخصصني بأمنك ومنك وتولني باختيارك وخيرك ولا
تكلني الى كلاءة غيرك وهب لي عافية غير عافية وارزقني
رفاهية غير واهية واكفني مخاشي اللأواء واشملني بغواشي
الآلاء ولا تظفر بي اظفار الاعداء انك سميع الدعاء ثم اطرق
لا يدير لحظا ولا يحير لفظا حتى قلنا قد ابلسته خشية او
اخرسته غشية ثم اقنع رأسه وصعد انفاسه وقال
أقسم بالسماء ذات الابراج والارض ذات الفجاج والماء الثجاج
والسراج الوهاج والبحر العجاج والهواء والعجاج
انها لمن ايمن العوذ واغنى عنكم من لابسي الخوذ من تلاها
عند ابتسام الفلق لم يشفق من خطب الى الشفق ومن
ناجى بها طليعة الغسق امن ليلته من السرق قال
الرامي فتلقفناها حتى اتقناها وتدارسناها كيلا ننساها
ثم سرنا نزجي الحمولات بالدعوات لا بالحداة ونحمي الحمولات

بالكلمات لا بالكلمات فصاحبنا نعمّدنا بالعشي والغداة
ولابثنا تنجرنا العيدان حتى اذا اعيانا اطلال عانة قال لنا
الإعانة الإعانة فأحضرناه المعلوم والمكتوم وأريناه المحلوم
والمختوم وقلنا له اقتض ما اشتعاض فما نجد فينا غير راض
فما استخفه سوى الخز والحلي بعينه غير العين فاحتمل منهما
وقر ونأى كابيد فقرم ثم خالسنا مخالسة الطراد وانصلت
منا انصلات العراد فأوحشنا فراقه وأدهشنا إمراقه ولم
نزل ننشده بكل ناد ونستخبر عنه كل مغدو وغاد الى أن قيل
إنه مذ دخل عانة ما زايل الحانة فأغراني خبث هذا القول
بسبكه وإلا تسلاك فيما لست من سلكه فادلجت الى الدسكرة
في هيئة منكرة فإذا الشيخ في حلة ممصرة بين دنان ومعصرة
وحوله سقاة تبهر وشموع تزهر وآس وعبهر ومزمار ومزهر وهو
تارة يستبزل الدنان وطوراً يستنطق العيدان ودفعة

يستنشق الريحان وأحمى يغازل الغزلان فلما عثرت على
لبسه وتفاوت يومه من أمسه قلت له أولى لك يا ملعون
أنسيت يوم جيرون فضحك مستغرباً ثم أنشد مطرباً شعر

لزمت السفار وجبت القفار ... وعفت النفار لأجني الفرح
وخضت السيول ورضت الخيول ... لجر ذيول الصبى والمرح
ومطت الوقار وبعت العقار ... لحسو العقار ورشف القدح
ولولا الطماح الى شرب راح ... لما كان باح فمي بالملح
ولا كان ساق دهائي الرفاق ... لأرض العراق بحمل السبح
فلا تغضبن ولا تصخبن ... ولا تعتبن فعذري وضح
ولا تعجبن لشيخ أبن ... بمغنى أغن ودن طفح
فإن المدام تقوي العظام ... وتشفي السقام وتنفي الترح
وأصفى السرور إذا ما الوقور ... أماط ستور الحيا واطرح
وأحلى الغرام إذا المستهام ... أزال اكتتام الهوى وافتضح
فبح بهواك وبرد حشاك ... فزند أساك به قد قدح

ودَاوِ الكُلومَ وسَلِّ الهمومَ ببنتِ الكرومِ التي تُفترعْ
وخُصَّ الغبوقَ بساقٍ يسوقُ بلا المشوقُ إذا ما طَمَحْ
وشادٍ يشيدُ بصوتٍ مديدٍ جبالَ الحديدِ لذاكَ صَدَحْ
وعاصِ النصيحَ الذي لا يُبيحُ وِصالَ المليحِ إذا ما سَمَحْ
وجُلْ في المجالِ ولو بالمُحالِ ودَعْ ما يُقالُ وخُذْ ما صَلَحْ
وفارقْ أباكَ إذا ما أباكَ ومُدَّ الشِّباكَ وصِدْ مَنْ سَنَحْ
وصافِ الخليلَ ونافِ البخيلَ وأنِلِ الجميلَ ووالِ المِنَحْ
ولُذْ بالمتابِ أمامَ الذهابِ فمَنْ دقَّ بابَ كريمٍ فتحْ

فقلتُ له بخٍ بخٍ لروايتك وأفٍّ وتفٍّ لغوايتك فبالله من أيِّ الأعياصِ عيصُك فقد أعضلني عويصُك فقال أحببتُ أن أُفصحَ عنّي ولكن سأكني وأنُدّ أنا طُرفةُ الزمانِ وأُعجوبةُ الأمم وأنا الحُوَّلُ الذي اختالَ في العربِ والعجم غيرَ أنّي ابنُ حاجةٍ وكاصةُ الدهرِ وأقضمُه وأبو صِبيةٍ بدو أسالُحم على وضم ولِخُو العيلةِ المعيلِ إذا احتالَ لم يُلَم

قال الراوي فعرفتُ حينئذٍ أنّه أبو زيدٍ ذو الريبِ والعيبِ ومسوِّدُ وجهِ الشيبِ وساءني عِظَمُ تردّيه وقبحُ تُردّيه فقلتُ له بلسانٍ ذي أنفةٍ وإدلالِ المعرفةِ ألم يأنِ لك يا شيخاً أن تُقلعَ عن الخنا فتضجّرَ وزمجرَ وتنكّرَ وفكّرَ ثم قال إنّها ليلةُ مراحٍ لا إنلاحٍ ونُهزةُ شربِ راحٍ لا لكفاحٍ فعُدَّ عمّا بدا إلى أن نلتقي غداً ففارقتُه فرقاً من عربدتِه لا تعلّقاً بعِدتِه وبتُّ ليلتي لابساً حدادَ الندمِ على نقلي خُطى القدمِ إلى ابنةِ الكرمِ وعاهدتُ اللهَ تعالى أن لا أحضرَ بعدها حانةَ نبّاذٍ ولو أُعطيتُ مُلكَ بغداد وأن لا أشهدَ معصرةَ الشرابِ ولو رُدَّ عليّ عصرُ الشبابِ ثم إنّا رحلنا العيسَ وقتَ التغليسِ وخلّفنا الشيخين أبي زيدٍ وإبليس

المقامة الثالثة عشر حكى الحارث بن همّام

قال [illegible] بصفو الزوراء مع مشيخة من الشعراء لا يعلق لهم
مبار بغبار ولا يجري معهم مجار في مضمار فافضنا في حديث
يفضح الازهار الى ان نصفنا النهار فلما غاض در الافكار
وصبت النفوس الى الاوكار لمحنا عجوزا تقبل من البعد وتحضر
احضار الجرد وقد استتلت صبية انحف من المغازل و
اضعف من الجوازل فما كذبت اذ راتنا ان عرتنا حتى اذا ما حضرتنا
قالت حيا الله المعارف وان لم يكن معارف اعلموا يا مآل الآمل
وثمال الارامل انني من سروات القبائل وسريات العقائل
لم يزل اهلي وبعلي يحلون الصدر ويسيرون القلب ويمطون
الظهر ويولون اليد فلما اردى الدهر الاعضاد وفجع بالجوارح
الاكباد وانقلب ظهرا لبطن نبا الناظر وجفا الحاجب
وذهبت العين وفقدت الراحة وصلد الزند ووهنت اليمين
وبانت المرافق ولم تبق لنا ثنية ولا ناب فمذ اغبر العيش الاخضر

وازور المحبوب الاصفر اسود يومي الابيض وابيض فودي الاسود
حتى رثى لي العدو الازرق فحبذا الموت الاحمر وتلوي من ترون عينه فراره
وترجمانه اصفراره قصوى بغية احدهم ثردة وقصارى منيته بردة
وكنت آليت لا ابذل الحر الا للحر ولو انني مت من الضر وقد ناجتني
القرونة بان توجد عندكم المعونة وآذنتني فراسة الحياء
بانكم ينابيع الحباء فنضر الله امرأ ابر قسمي وصدق توسمي ونظر
الي بعين يقذيها الجمود ويقذيها الجود قال فهممنا بسبر
عبارتها وملح استعارتها وقلنا لها قد فتن كلامك فكيف الحامك
فقالت تفجر الصخر ولا فخر فقلنا ان جعلتنا من رواتك لم نبخل بمواساتك
فقالت لاريتكم اولا شعاري ثم لارويتكم اشعاري فابرزت
ردن درع دريس وبرزت برزة عجوز درديس وانشأت تقول

اشكو الى الله اشتكاء المريض ... ريب الزمان المتعدي البغيض
يا قوم اني من اناس غنوا ... دهرا وجفن الدهر عنهم غضيض
مخادمهم ليس له دافع ... وصيتهم بين الورى مستفيض

كانوا اذا ما نُجعةٌ اعوزت ... في السنة الشهباء روضا اريضا

تُشَبُّ للسارين نيرانهم ... ويطعمون الضيف لحما غريضا

ما بات جارٌ لهم ساغبا ... ولا لروعٍ قال حال الجريض

فغيّضت منهم صروف الردى ... بحار جودٍ لم تخل ان تغيضا

واودعت منهم بطون الثرى ... اسد التحامي واساة المريض

فمحملي بعد مطايا المطا ... وموطني بعد اليفاع الحضيض

وافرخي ما تأتلي تشتكي ... بؤسا له في كل يوم وميض

اذا دعا القانت في ليله ... مولاه نادوه بدمعٍ يفيض

يا رازق النعّاب في عشّه ... وجابر العظم الكسير المهيض

اتح لنا اللهم من عرضه ... من دنس الذم نقيٌّ رحيض

يطفي نار الجوع عنّا ولو ... بمذقةٍ من حازرٍ او مخيض

فهل فتى يكشف ما نابهم ... ويغنم الشكر الطويل العريض

فوالذي تعنو النواصي له ... يوم وجوه الجمع سودٌ وبيض

لولاهم لم تبدُ لي صفحةٌ ... ولا تصدّيت لنظم القريض

قال الراوي فوالله لقد صدعت بشعرها اعشار القلوب واستخرجت خبايا الجيوب حتى ماحها من دينه الالتياح وارتاح لرفدها من لم يخله يرتاح فلما افعوعم جيبها تبرا واولاها كل منهم برًّا تولّت يتلوها

الاصاغر ودونها بالشكر الوافر فاستربت الجماعة بعد ممرّها بالتي يسير ما للسلو مواقع برد فكلفت لهم باستنباط السر المرموز ونهضت اقفو اثر العجوز حتى انتهت الى سوق مغتصّة بالانام مختصّة بالزحام فانغمست في الغمار واملست من الصبية الاغمار ثم عاجت بخلوّ بال الى مسجد خال فاماطت الجلباب ونضت النقاب وانا الحظها من خصاص الباب وارقب ما سيبدو من العجاب فلما انسرفت اهبة الخفر ورأيت محيّا ابي زيد قد سفر هممت بان اهجم عليه لاعنّفه على ما اجرى اليه فاسلنقى اسلنقاء المتمردين ثم رفع عقيرة المغرّدين واندفع ينشد

يا ليت شعري ادهري ... احاط علما بقدري

وهل درى كنه غوري ... في الخدع ام ليس يدري

كم قد قمرت بنيه ... بحيلتي وبمكري

وكم برزت عليهم وكرّي

اصطاد قوما بوعظ ... وآخرين بشعري

واستفزّ بخلٍّ ... عقلا وعقلا بخمري

وتارة انا صخرٌ ... وتارة اخت صخر

ولو سلكت سبيلا ... مألوفةً طول عمري

لخاب قدحي وقدحي ... ودام عسري وخسري

فقل لمن لام هذا عذري فدونك عذري قال الحارث بن همام

فلما ظهرت على جليته أمره وبديعة إمره وما زخرف في شعره

من عذره علمت أن شيطانه المريد لا يسمع التفنيد ولا يفعل

إلا ما يريد فثنيت إلى أصحابي عناني وأبثثتهم ما أثبت عياني فوجموا

لضيعة الجوائز وتعاهدوا على محرمة العجائز

المقامة الرابعة عشر حكى الحارث بن همام

قال نهضت من مدينة السلام لحجة الإسلام فلما قضيت بعون الله

التفث واستبحت الطيب والرفث صادف موسم الخيف

معمعان الصيف فاستظهرت للضرورة بما يقي حر الظهيرة

فبينما أنا تحت طراف مع رفقة ظراف وقد حمي وطيس الحصباء

وأعشى الهجير عين الحرباء إذ هجم علينا شيخ مشعشع

يتلوه فتى مترعرع فسلم الشيخ تسليم أديب أريب وحاور

محاوره

محاورة قريب لا غريب فأعجبنا ما ظهر من بسطه وعجبنا من انبساطه

قبل بسطه وقلنا له ما أنت وكيف دخلت وما استأذنت فقال

أما أنا فعاف وطالب إسعاف وسر ضري غير خاف والنظر

إلى شعثي لي كاف وأما الإقبال الذي علق به الارتياب

فما هو بعجاب إذ ما على الكرام من حجاب فسألناه أنى اهتدى

إلينا واستدل علينا فقال إن للكرم نشرا تنم به نفحاته وتشد

إلى روضه فحاته فاستدللت لكن بأرج عرفكم على بلج عرفكم

وبشرني نضوع رياكم بحسن المنقلب من عندكم فاستخبرناه

حينئذ عن لبانته ليكفل بإغاثته فقال إن لي مأربا و

لفتاي مطلبا فقلنا كلا المرامين سيقضى وكلاكما سوف

يرضى ولكن الكبر الكبر فقال أجل ومن دحا السبع

الغبر ثم وثب للمقال كالمنشط من العقال وتبا أنشد الحال شعر

إني امرؤ أبدع بي بعد الوجى والتعب ... وشقة شاسعة بعضت عنها خببي

وما معي خردلة مطبوعة عن ذهب فخيلائي منسدة وخيري منقلب

إن رحلت راجلاً خفت دواعي العطب وإن تخلفت عن الرفقة ضاق مذهبي

فرقني في صعد وعبرتي في صبب وأنتم منتجع الراجي ومرمى الطلب

لهاكم منهلة ولا انهلال السحب وجاركم في حرم وودكم في حجب

ما لأذى مانع بكم مخاف نابي النوب ولا استند راجي أمل جاءكم خائب

فانعطفوا في قصتي ولبوا منقلبي فلو بلوتم عيشتي ومطعمي ومشربي

لساءكم ضر الذي أسلمني للكرب ولو خبرتم حسبي ونسبي ومذهبي

وما حوت معرفتي من العلوم النخب لما اعتراكم شبهة في أن ذا أبي أدبي

فليتني لم أكن أرضع ثدي الأدب فقد دهاني شؤمه وعقني فيه أبي

فقلنا له أما أنت فقد صرحت أبياتك بفاقتك وعطبا فاقتك

وسنعطيك ما يوصلك إلى بلدك فما رتبة ولدك فقال لهم يا بني

كما قام أبوك وفه بما في نفسك لامض قول فنهض نهوض البطل

للبراز وأصلت لساناً كالعضب الجراز وأنشأ يقول

يا سادة في المعالي لهم مبانٍ مشيده ومن إذا ناب خطب قاموا بدفع المكيده

ومن يهون عليهم بذل الكنوز العتيده أريد منكم شواءً وجرذقاً وعصيده

فإن غلا مرغاق به سوادي الشهيده أو لم يكن ذا ولا ذا فشبعة من ثريده

ولن تعذروا طراً فجوعة وبهيده فاحضروا ما تيسر ولو شظاماً فريده

وروحوا نفسي لما يروح جيده والزاد لا بد منه لراحل لي بعيده

وأنتم خير رهطٍ يدعون عند الشديده أيديكم كل يومٍ لها أيادٍ جديده

ودون حكم واصلات بمثل الصلات المفيده وبغيتي في مطاوي جافٍ وفدٍ زهيده

دني أجرٍ وعقبى تنفيس كربي حميده وفي نتائج فكري تنفيض كل قصيده

قال الحارث بن همام فلما رأينا الشبل شبه الأسد أرحلنا

الوالد وزودنا الولد فقابلا الصنيع بشكر فرا

أرديته وادّابا دينه ولما عزما على الانطلاق وعقد الرحل

حبك للرفاق قلت للشيخ ما ضاهت عدتنا عدة عرقوب

أو بقيت حاجة في نفس يعقوب فقال حاش لله وكلا بل جل

معروفكم وجلي فقلت له قدرنا كما دنا لك افدنا كما افدناك
ابن الدورة فقد ملكتنا بنبل الحجرة فتنفس تنفس من ادكر
اوطانه وانشد والشهيق يقطع لسانه سروج داري ولكن
كيف السبيل اليها
وقد اناخ الاعادي بها واخنوا عليها فوالتي سرت ابغي حط الذنوب لديها
ما راق عيني شيء مذ غبت عن طرفيها ثم اغرورقت عيناه
بالدموع واذنت مدامعه بالهموع فكره ان يستوكفهما ولم
يملك ان يكفكفهما فقطع انشاد المتغالي واوجز في الوداع لي

المقامة الخامسة عشر اخبر الحارث بن همام

قال ارقت ذات ليلة حالكة الجلباب هامية الرباب ولا ارق
صب طرد عن الباب وشجي بصد الاحباب فلم تزل الافكار
يهجن همي ويجلبن الوساوس همي حتى تمنيت لمضض ما
عانيت ان ارزق سميرا من العقلاء ليقصر طول ليلي

الليلاء فما اغتمضت منهجي ولا اغمضت مقلتي حتى قرع
الباب قارع له صوت خاشع فقلت في نفسي لعل غرس
التمني قد اثمر وليل الحظ قد اقمر فنهضت اليه عجلان
وقلت من الطارق الآن فقال غريب اجنه الليل وغشيه
السيل ويبتغي الايواء لا غير واذا اسحر قدم السير قال فلما
دل شعاعه على شمسه ونم عنوانه بسر طرسه علمت ان
مباءته نعمة وبياته غنيمة ففتحت الباب بابتسام
وقلت ادخلوها بسلام فدخل شخص قد حنى الدهر صعدته
وبلل القطر بردته فحيا بلسان عضب وبيان عذب
ثم تشكر على تلبية صوته واعتذر من الطروق في
غير وقته فقدمت اليه المصباح المتقد وتاملته تامل
المنتقد فالفيته شيخنا ابا زيد بلا ريب ولا رجم غيب
فاحللته محل من اظفرني بقصوى الطلب ونقلني من

الكرى الى روح الطرب ثم اخذ يشكو الاين واللغب
فكيف وانى فقال ابلعني ريقي فقد اتعبني طريقي وطلقته
متبطنا للتعب متكاسلا لهذا السبب فاحضرته ما يحضر
للضيف المفاجئ في الليل الداجي فانقبض انقباض المحتشم
واعرض اعراض المتبرم فتسوفت بانشاده واحفظني حؤول
اطباعه حتى كدت اغلظ له في الكلام واسعه بجمة الملام
فتبين من لحن ناظري ما خامر خاطري فقال لضعف الثقة
باهل المعرفة عدلت عما اخطرته بالك واستمع الي لا ابا لك
فقلت هات يا اخا الترهات فقال اعلم اني بت البارحة حليف
افلاس ونجي وسواس فلما قضى الليل نحبه وغور الصبح
شهبه غدوت من اشراق الى بعض الاسواق متصديا
لصيد يسنح او حر يمنح فلحظت بها تمرا قد حسن تصفيفه
واحسن اليه مصيفه يجمع على التحقيق صفاء الرحيق وقنوء

العقيق وقابلته لبائع قد برز كالابريز الاصفر وانجلى في اللون
المزعفر ممن يثني على طاهيه بلسان تناهيه وبصوب راي
مشتريه ولو نقد حبة القلب فيه فاسرتني الشهوة باشطانها
ولببتني الغيمة الى سلطانها فبقيت لحيرة من ضب واذ
هل من صب لا وجد يوصلني الى نيل المراد ولا له الازدراد
ولا اقدم نظرا وعني على الذكاب مع حرقة الالتهاب لكني
حداني الغرم وشوقته السغب وغرته الى ان انجع كل ارض
واقنع من الورد بترض فلم ازل سحابة ذلك النهار ادلي
دلو الابتهاد وهي لا ترجع ببلة ولا تجلب نقع غلة الى ان جنحت
الشمس الى الغروب وضعفت النفس من اللغوب فرحت بكبد
حرى وانثنيت اقدم رجلا واؤخر اخرى وبينا انا اسعى
واقعد واهب واركد اذ قابلني شيخ بناؤه اهنا الثكلان
وعيناه من الحزن تنهلان فما شغلني ما انا فيه من داء الذيب

والجي المذيب عن تعاطي الغلبة والطمع في مخاتلته فقلت له

يا هذا إن لبكائك لسرًّا ولوراء تحرّقك لشرًّا فأطلعني

على بُرَحائك واتخذني من نُصحائك فإنك ستجد مني طَبًّا

آسيًا أو عونًا مواسيًا فقال لله ما أتاوهي أحبس فإن الأمر

دهر افتنانا لأغراض العلم ودروسه وأفول أقماره وشموسه

فقلت ولأي حادثة بحثت وقضية استعجمت حتى كاعجت

لك الأسف على فقد من سلف فأبرز رقعة من كمه وأقسم بأبيه

وأمه لقد أنت لها بأعلام المدارس ثم أتى زواعن أعلام

الدوارس واستنطق لها نقاد المحابر فخرس ولا أخبر مخبر

سكان المقابر فقلت أرنيها فلعلي أعني بما فيها فقال لما بعدت

في المرام فرنت رمية من غير رام ثم ناولنيها فإذا المكتوب فيها

أيها العالم الفقيه الذي فاق ذكاءً فما له من شبيه

أفتنا في قضية حار عنها كل قاضٍ وحاد كل فقيه

رجل مات عن أخ مسلم حر تقي من أمه وأبيه

وله زوجة

وله زوجة لها أيها الحبر أخ خالص بلا تمويه فحوت فرضها وحاز أخوها

ما تبقى بالإرث دون أخيه فاشفنا بالجواب عما سألنا فهو نص لا خلف يوجد فيه

فلما قرأت شعرها ولمحت سر كلمها قلت له على الخبير بها

سقطت وعند ابن بجدتها حططت إلا أني مضطرم الأحشاء

مضطر إلى العشاء فأكرم مثواي ثم اسمع فتواي فقال

لقد أنصفت في الاشتراط وتجافيت عن الاشتطاط فصر

معي إلى مربعي لتطعم ما تبتغي وتنقلب كما ينبغي فانطلقنا

إلى ذراه كما حكم الله فأدخلني بيتًا أحرج من التابوت

وأوهن من بيت العنكبوت إلا أنه جبر ضيق ربعه بسعة

ذرعه فحكمني في القرى ومطايب ما يشتهى فقلت أبرد

أزهى راكب على أشهى مركوب أنفع صاحب مع أضر مصحوب

فأفكر ساعة طويلة فقال لعلك تبغي بنت نخلة مع لباء

سخلة فقلت إياهما عنيت ولأجلهما تعنيت فنهض متبسطًا

ثم ربض متبسطًا وقال اعلم أصلحك الله أن

الصدق ناجية والكذب عاهة فلا يحملنك الجوع الذي
هو شعار الانبياء وحلية الاولياء على ان تلحق بمن مان
وتخلق بالخلق الذي يجانب الجبان فقد تجوع الحرة ولا تاكل
بثدييها وتأبى الذئبة ولو اضطرت البهائم ان تسد لك
يربون والغضى على صفقة مغبون وها انا قد انذرتك قبل
ان يهتك الستر ويتعقد بيننا الوتر فلا تلغ تدبر الانذار
وحذار من المكايدة حذار فقلت له والذي حرم
اكل الربا واحل اكل اللبا ما فهت بزور ولا دليتك بغرور
وستخبر حقيقة الامر وتحمد بذل اللبا والتمر فهش
هشاشة المصدوق وانطلق مغذا الى السوق فما كان
باسرع من ان اقبل بهما يدرج ووجهه يتبلج فوضعهما الذي
وضع الممتن عليه وقال لي اضرب الجيش بالجيش تحظ بلذة
العيش فحسرت عن ساعد النهم وحملت حملة الفيل المغتلم
وهو يلحظني كاللاحظ الحنق ويود من الغيظ لو اختنق حتى اذا

هلقمت التوءمين وغادرتهما اثرا بعد عين افردت حبرة في
اطلال البيات وفكرة في الابيات فما لبث ان قام واحضر الدواة
والاقلام وقال قد ملأت الجراب فايد الجواب والا فتهيا ان
تكلف لاغرام ما اكلت فقلت له ما عندي الا التحقيق
قل لمن يلغز المسائل انى كاشف سرها الذي تخفيه
ان ذاك الميت الذي قدم الشرع لعاصبه على بنيه
رجل زوج ابنه عن رضاه بحماة له واعوفيه
ثم مات ابنه وقد علقت منه فجاءت بابن ابنه تدريه
فهو ابن ابنه بغير مراء واخو عرسه بلا تمويه   وابن الابن الصريح ادنى الى الجد واولى بارثه من اخيه
فلذا حين مات اوجب للزوجة ثمن التراث تستوفيه
وحوى ابن ابنه الذي هو في الاصل اخوها من امها باقيه
وتخلى الاخ الشقيق من الارث وقلنا يكفيك ان تبكيه
هاك مني الفتيا التي يحتذيها كل قاض يقضي وكل فقيه
فلما انشا الجواب استثبت منه الصواب قال لي اهلك

والليلُ فشمّر الذيلَ وبادر السيلَ فقلت أنّى بدا عزيته

في أبوابي أفضت فيه لا سيما وقد أغدف جنح الظلام وهمج

الرعد في الغمام فقال اعزب عنا فكل الله إلى حيث شئت ولا

تطمع في أن تبيت فقلت ولم ذاك مع خلوّ دارك قال إني

أنعمت إليك النظر في التقائك ما حضر حتى لم تبق ولم تذر لابتك

لا تنظر في مصلحتك ولا تراعي حفظ صحتك ومن أمعن فيما

أمعنت وبطن فيما تبطنت لم يتخلص من كظة مدنفة أو هيضة

متلفة فدعني بالله كفافا واخرج عني ما ذممت معافى

فو الذي يحيي ويميت ما لك عندي مبيت فلما سمعت أليّته

وبلوت بليّته خرجت من بيته بالرغم وقد وجد الغم بجوانحي

السماء وتخبطني الظلماء وتنبحني الكلاب وتتعاورني

في الأبواب حتى ساقني إليك لطف القضاء فشكر الله البدء

البيضاء فقلت له لعبت بالبابك المناح إلى قلبي المرتاح

ثم أخذ يفتن في حكاياته ويلتقط معنى كأنه تمثيلة إلى

أن عطس أنف الصباح وهتف داعي الفلاح فناهب الجابة

الداعي ثم عطف إلى وداعي فعقّبته عن الانبعاث وقلت

الضيافة ثلاث فتخلف وخرج ثم أمّ المخرج وأنشد لا عوج

لا تزر من تحب في كل شهر غير يوم ولا تزده عليه

فاجتلاء الهلال في الشهر يوم ثم لا تنظر العيون إليه

قال الحارث بن همام فودّعته بقلب داعي الفرح ووددت

لو أن ليلتي بطنت الصبح

المقامة السادسة عشر أخبر الحارث بن همام

قال شهدت صلوة المغرب في بعض مساجد المغرب فلما أديتها

بفضلها وشفعتها بنفلها أخذ طرفي رفقة قد انتبذوا

ناحية وامتازوا صفوة صافية وهم يتعاطون كأس المنافثة

ويقتدحون زناد المباحثة فرغبت في محادثتهم لكلمة

تستفاد أو أدب يستفاد إذ قسعت إليهم سعي المتطفل

جنحت عليهم وقلت لهم اتقبلون نزيلا يطلب جنى لا اسمار ولا
الثمار ويبغي ملح الجواد لا ملحاة الحوار فحلوا لي الحبا وقالوا
مرحبا مرحبا فلم اجلس الا لمحة بارق خاطف او نغبة
طاير خايف حتى غشينا جواب على عاتقه جراب فحيانا
بالكلمتين وحيا المسجد بالتسليمتين ثم قال
يا اولي الالباب والفضل اللباب اما تعلمون ان انفس
القربات تنفيس الكربات وامتن اسباب النجاة مواساة
ذوي الحاجات واني ومن احلني ساحتكم واتاح لي
استماحتكم لشريد محل قاص وبريد صبية خماص فهل
في الجماعة من يطفي عنا جمرة المجاعة فقالوا له يا هذا
انك حضرت بعد العشاء ولم يبق الا فضلات العشاء
فان كنت بها قنوعا فما تجد فينا ممنوعا فقال ان اخا الشدايد
ليقنع بلفاظات الموايد ونفاضات المزاود فامر كل
منهم عبده ان يزوده ما عنده فاعجبه الصنيع وشكر عليه

وحس

وجلس مرتقبا ما يجلب الليل وثبنا نحن الى استثارة ملح الادب
وعيون نوادره واستنباط معينه من عيونه الى ان جلنا فيما لا يستحيل
بالانعكاس كقولك ساكب كاس فتداعينا الى ان ينتج له
اخوات ويفترع عنه الابكار على ان ينظم البادي ثلث جمانات
في عقده ثم تتدرج الزيادات من بعده فيرتع ذو ثمانين في
نظمه ويستبيح صاحب عشرين على رغمه قال الراوي وكنا
قد انتظمنا عدة اصابع الكف ودنا الفنا الفة اصحاب
الكهف فابتدر لعظم محنى صاحب ثمنتي وقال لم اخا ملل
وقال تاليه كبر رجا اجر ربك وقال الذي يليه من يرب
اذا بر ينم وقال الرابع سكت كل من نم لك تكس افصف
التوبة الى ان تعين نظم السمط السباعي علي فلم يزل
فكري يصوغ ويكسر ويبري ويبتر وفي ضمن ذلك لم يستطع
ولا احد من يطمع الى ان زكا النسيم وحصحص التسليم فقلت
لاصحابي لو حضر ابو زيد السروجي هذا المقام لشفى الداء العقام

وقالوا لو انزلت به بابا بأس لاعترك منها على يابس وجعلنا نتعرض
في استنصاحها واستغلاق بابها وذلك الضيف الغريب
المعتري يلحظنا لحظ المزدري ويتألف الدار ونحن لا ندري
فلما عثر على انفضاضنا وتصوب ضحضاحنا قال يا قوم
ان من العناء العظيم استيلاد العقيم والاستشفاء بالسقيم
وفوق كل ذي علم عليم ثم اقبل علي وقال سأنوب
منابك واكفيك ما نابك فان شئت ان تسبر ولا تعثر فقل
مخاطبا لمن ذم البخل واكثر العذل لذ بكل مؤمل اذا
لم وملك بذل وان احببت ان تنظم فقل للذي تعظ
أس ارملا اذا عرا وارع اذا المرء اسا اسند اخا نباهة
ابن اخاء دنسا اسل جناب غاشم مشاغب ان جلسا اسر اذا هب مرا
وارم به اذا رسا اسكن تقو فعسى يسعف وقت نكسا
قال فلما سحرنا باياته جبرنا بعد ما بانه مدحناه
حتى ليستعفا الى ان استكفانا ثم شمر تيابدوا الى جرابه

ونهض ينشد لله در عصابة صدق المقال تعاودا فاقوا الانام فضائلا
حاورتهم فوجدت سحبانا لديهم باقلا وحللت فيهم سائلا فلقيت
اغنيتم لو كان الكرام جنا لكانوا اولا ثم خطا قيد رمحين
وعاد مستعيذا من الجبن وقال يا عز من عدم الآل
وكثر من سلب المال لسرى الغاسق فذو ثب وجه المحجة
فما نشفت ونبس كنى لبلد امس وطريق طامس فهل من
مصباح يوضي العثار وينبيني على الآثار قال فلما
جي بالملتمس وقد جلي الوجه ضوء القبس رأيت صاحب
صبرنا هو ابو زيد فقلت لاصحابي هذا الذي اشرف
الى الله اذا انطوى اصابت وان استمطر طاب فاتلعوا اليه
الاعناق واحدقوا به الاحداق وسالوه ان يبايتهم ليلتئم
على الرحب واعتليه فقال حبا لما احببتم ومرحبا بكم اذ
رحبتم غير اني قصدتكم واطفالي يتضورون من الجوع ويدعون لي
بوشك الرجوع وان ابيت اتوني حاملهم الطيش ولم يصف لي

ولهم العيش فدعوني لأذهب فأسد مخمصتهم وأسيغ غصتهم

ثم انقلب الكهل على أثره متأهبا للسمر إلى السحر فقلنا للحدث

الغلام اتبعه إلى قبيله ليكون أسرع لغيبته فانطلق معه

مضطبنا جراب أبيه ومحتجنا إياه وأبطأ إبطاء جاوز حده

ثم عاد الغلام وحده فقلنا ما عندك من الحديث

فقال أخذ بي في طرق متشعبة وسبل متشعبة حتى

أفضينا إلى دويرة حربة فقال ههنا مناخي ووكر

أفراخي ثم استفتح بابه واختلج من جرابه وقال

لعمري لقد خففت عني واستوجبت الحبا مني فهاك

نصيحة هي من نفائس النصائح وعقائل المصالح وأنشد

إذا ما حويت جنى نخلة ... فلا تقربنها إلى قابل

وإما سقطت على بيدر ... فحوصل من السنبل الحاصل

ولا تلبثن إذا ما لقطت ... فتنشب في كفة الحابل

ولا تتوغل إلى ما يجر ... فإن السلامة في الساحل

وخاطب بهات وحاوف بسوف ... وبع آجلا منك بالعاجل

ولا تكثرن على صاحب ... فما مل قط سوى الواصل

ثم قال اخترتها في ناموسك واقتد بها في أمورك وبادر الصبح

في كلاءة ربك فإذا أبلغتهم فأبلغهم تحيتي وأبث عليهم وصيتي

وقل لهم عني إن السمر في الخرافات لمن أعظم الآفات ولست

أبغي اختراسي ولا أجلب الهوس إلى راسي قال الراوي

فلما وقفنا المحكي شعره على نكره ومكره تلاومنا على تركه والاغترار

بإفكه ثم تفرقنا بوجوه باسرة وصفقة خاسرة

المقامة السابعة عشر تعرف بالقهقرية

حدث الحارث بن همام قال لحظت في بعض مطارح البين ومطامح

العين فتية عليهم سيما الحجى وطلاوة نجوم الدجى وهم في

مماراة مشتدة الشبوب ومباراة مستطيرة الألهوب فهزني

لتقصيهم معاني المخاصم كاستعلاء جنى المناظرة فلما
التحقت براهطهم وانتظمت في سمطهم قالوا أنت ممن يبلي
في الهيجاء ويلقي دلوه في الدلاء فقلت لا بل أنا من نظارة الحرب
لا من أبناء الطعن والضرب فأضربوا عن حجاجي وأفاضوا في
التناجي وكان في جيحة حلقتهم وإكليل رفقتهم شيخ قد
بيّنته الهموم ولوّحته السموم حتى عاد أنحل من قلم وأخفى
من علم إلا أنه كان يبدي العجاب إذا أجاب وينسي سحبان
كلما أبان فأعجبت بما أوتي من الإصابة والتبريز على تلك
العصابة وما زال يفضح كل معمّى ويصمي في كل مرمى
إلى أن خلت الجعاب ونفد السؤال والجواب فلما رأى
إنفاض القوم واضطرارهم إلى الصوم عرّض بالمطارحة
واستأذن في المفاتحة فقالوا له حبذا من لنا بذا فقال
أتعرفون بيتاً أرضها سماؤها وصبحها مساؤها

نسبت على منوال الذين وتخلّت في اللوبين وصلت إلى جمتين
وبدت ذات جمتين لمن نزعت جرجرتها فيا هيك دونها
ولمن طلعت جرمغربها فيا لعجبها قال فكان القوم قد رُموا
بالصمات وحقت عليهم كلمة الإنصات فما نبس منهم إنسان
ولا فاه لهم لسان فحين رآهم بكماً صموتاً كالأصنام قال
قد أجّلتكم أجل العدة وأرجيت لكم طول المدة ثم ههنا
مجمع الشمل وموقف الفصل فإن سمحت خواطركم مدحنا
وإن صلدت زنادكم قدحنا فقالوا له والله ما لنا في لجة
هذا البحر مسبح ولا في مساحله مسرح فأرح أفكار نامر
الكد وهبّ العطية بالنقد واتخذنا الغداة بنيّون
إذا وثب يثبون فأستنبت فأطرق ساعة ثم قال
سمعاً لكم وطاعة فاستملوا مني وانقلوا عني يا إنسان
صنعة العيان ورب الجميل فعل الذنب سمة الكرم

ذخيرة الحمد وكسب الشكر استثمار السخاء وعنوان
الكرم تباشير البشر واستعمال المداراة يوجب المصافاة
وعقد المحبة بمقتضى النصح وصدق الحديث حلية اللسان
وفصاحة المنطق سحر الألباب وشرك الهوى آفة النفوس
ومِلك الخلائق شين الخلائق وشره الطبع يباين الورع
والتزام الحزامة زمام السلامة وتطلب المثالب شر
المعايب وتتبع العثرات يدحض المودات وخلوص النية
خلاصة العطية وتهنية النوال تحرز السؤال وتكلف
الكلف يسهل الخلف وتيقن المعونة يثني المؤونة وفضل
الصدر بسعة الصدر وزينة الرعاة معقب السعاة
وجزاء المدائح بث المنائح ومهر الوسائل تشفيع المسائل
ومجلبة الغواية استغراق الغاية وتجاوز الحد يكل
الحد وتعدي الأدب يحبط القرب وتناسي الحقوق يمحق

الرتب بمرتع الرتب وارتفاع الخطار باقتحام الأخطار
وتنوع الأقدار بموافاة الأقدار وشرف الأعمال في تقصير
الآمال وإطالة الفكرة تنقيح الحكمة ورأس الرياسة
تهذيب السياسة ومع اللجاجة تبلغ الحاجة وعند أوجال
تفاضل الرجال وبتفاضل الهمم تتفاوت القيم وبتزيد
السعي يمن التدبير وبحلك الأحوال تتبين الأهوال
وبموجب الصبر ثمرة النصر واستحقاق الحمد بحسب
الاجتهاد ووجوب الملاحظة كفاء المحافظة وصفاء الموالي يزيد
بتعهد الموالي وتحلي المروءات بحفظ الأمانات ولغناء الإخوان
بتخفيف الأحزان ودفع الأعداء بكف الأذى وامتحان
العقلاء بمقارنة الجهلاء وتبصر العواقب يؤمن المعاطب
واتقاء الشنعة بنشر السمعة وقبح الجفاء يبالغ الوفاء
وجوهر الأحرار عند الأسرار ثم قال هذه ما بنا لفظه

تنطوي على أدبٍ وعظةٍ فمن ساقها هذا المساق فلا مراء

ولا شقاق ومن رام عكسها فالينكأ وان يردها على عقبيها فليقل

اسرار عند الاحرار موعودة الوفاء بنائي الجفاء وفتح السمعة

بستر الشنعة ثم على هذا المسحب فليسحبها ولا يرهبها

حتى تكون خاتمة فقرها وآخرة دررها ورب الحجا

صنيعة الإنسان قال الراوي فلما صدع بسالكه

الفريدة والملوحة المفيدة علمنا كيف يتفاضل الإنسان

الفضل بيد الله يؤتيه من يشاء ثم اعتلق كل منا بذيله

وفلذ له فلذة من نيله فأبى قبول فلذتي وقال لست أرزأ

تلامذتي فقلت له إن أبا زيد على شحوب سحنتك ونضوب ماء

وجنتك فقال أنا مولع بتحلي وتحولي وقشف محولي فاخذت

في تنزيهه على تشرده وتغربه فتحول واسترجع ثم أنشد من قلب موجع

سل الزمان على عضبه ليروعني واحد غربه واستل من جفني كراه

مراغماً واسال غربه واجالني في الأفق أطوي شرقه وأجوب غربه

فبكل جوٍّ طلعة في كل يوم لي غربه وكذا المغرب شخصه متغرب ونواه غربه

ثم ولى يجر عطفيه ويخطر بيديه ونحن بين متلهف اليه ومتهافت عليه

ثم لم نلبث أن حللنا الحبى وتفرقنا أيادي سبا

المقامة الثامنة عشر حكى الحارث بن همام

قال قفلت ذات مرة من الشام أنحو مدينة السلام في

ركب من بني نمير ورفقة أولي خير ومير ومعنا ابو زيد السروجي

عقلة العجلان وسلوة الثكلان وأعجوبة الزمان والمنار

البادي البيان فصادفنا نزولنا سنجار أن أولم بها

أحد التجار فدعا إلى مأدبة الجفلى من أهل الحضارة و

والفلاحة حتى سرت دعوته إلى القافلة وجمع فيها بين الفريضة

والنافلة فلما أجبنا مناديه وحللنا ناديه أحضر من

أطعمة البدو والبدن ما حلا في الفم وحلا بالعين ثم قدم جاماً

كأنما جمد من الهواء أو جمع من الهباء أو صيغ من نور الفضاء أو
قشر من الدرة البيضاء وقد أودع لفائف النعيم وضمخ بالطيب
العميم وسيق إليه شرب من تسنيم وسفر عن مرأى وسيم جميل
وأرج نسيم فلما اصطرعت بمحضره الشهوات وقربت إلى محجره
اللهوات وشارف أن يرشق على سرية الغارات وتلاوى عند
هبه يا للثارات فر أبو زيد كالمجنون وتباعد عنه تباعد
الضب من النون فراودناه على أن يعود وأن لا يكون كقدار
في ثمود فقال والذي يبعث الأموات من الرجام لا عدت دون
رفع الجام فلم نجد بدا من تألفه وإبرار حلفه فأشلناه والعقول
معه شائلة والدموع عليه سائلة فلما فاء إلى مجثمه وخلص
من مأثمه سألناه لم قام ولم استرفع الجام فقال إن الزجاج
نمام وإني آليت مذ أعوام أن لا يضمني ونموما فقلنا له وما سبب
يمينك الصري والبند الحمي فقال إنه كان لي جار لسانه

بعقرب وقلبه عقرب ولفظه شهد يلسع وحبه سم منقع
فملت لمجاورته إلى مجاورته واغتررت بمكاشرته في معاشرته
واستهوتني خضرة دمنته لما دمثته وأغرتني خدعة محنته
بما سمته فما رحبته وعندي أنه جار مكاشر فبان أنه
عقارب كاشر وأنشبته على أنه جنب مؤانس فوضح أنه
حباب حول البر وما الحنث ولا أعلم أنه عند تقلبه ممن تعرج
بفضله وعاقرته ولم أدر أنه بعد فيه ممن يطرب المغرم
وكانت عندي جارية لا توجد لها في الكمال مجارية إن سفرت
خجلت النيران وصليت القلوب بالنيران وإن بسمت أزرت
بالجمان وبيع المرجان بالمجان وإن رنت هيجت البلابل و
حققت سحر بابل وإن نطقت عقلت لب العاقل واستنزلت
العصم من المعاقل وإن قرأت شفت المفؤود وأحيت الموؤود
وخلتها أوتيت من مزامير آل داود وإن غنت معبد لها

عبدًا وقيل سحقًا لإسحاق وبعدًا إن ذمرت أضحى ذنام عنده
ذنبًا بعد أن كان للجبل زعيمًا وبالأطراب زعيمًا ولئن قصصت
أبانت العمائم عن الرؤوس وانشكت نقض الحبب في الكؤوس
فكنت أزدري بها حمر النعم وأحلى بتمليها حبيب النعم وأحجب
مرآها عن الشمس والقمر وادذكرها كأعز شرائع السمر
وأنا مع ذلك ألج من أن يرى بها كأنها ربح أو يكتني بها
سطيح أو يتم عليها برق مليح فاتفق لوشك الحظ المنحوس
ونكد الطالع المنحوس أن طفقت بوصفها جميعًا المدام عند
الجار التمام ثم ثاب إلى الغنم بعد أن صرد السهم فاحتيف
الخال والوبال وصنيعة ما أودع لك الغبار سيد إلي
عاهدته على علم ما الفطنة وأن يحفظ السر ولو حفظه
فزعم أنه يجتنب إلا إيراد كما يجتنب اللئيم الديناد وأنه لا
يهتك إسناد ولو عرض لريح النار فما أن عبر ذلك الزمان

الا يوم أو يومان حتى بدا لي الأمير تلك المدرة والبهاء في المعذرة
أن نقصد بابه قيله مجددًا عرض خيله وسمط رأي عارض بليه فقل
فاذا الكل تصحيحه تحفة بلائم هواه لنفقدها بين يدي نجواه
وجعل بذل الحقائب لرؤله وبيني المراغب لمن ظفره
بمراده فاسفر ذلك الجار الختار إلى بذوليه وعصى
في أداع العار عذل عذوله فأتى الوالي باسر الأذنبة
وايشت ما كنت أسررته إليه فما أعيى أم الأنساب وضاع غبنه
إلى وانثيال خفيته على بسومني إيثاره بالدرة اليتيمة
على أن أحكم عليه في الغنيمة فغشيني من الهم ما غشي فرعون
وجنوده من اليم ولم أزل أدافع عنها ولا يغني الدفاع
وأستشفع إليه ولا يجدي الاستشفاع وكلما رأى ميتي
ازدياد الاعتياص وانبتات المناص تحرق وتضرم وحرق
علي الأرم ونفسي مع ذلك لا تسمح بمفارقة بدري ولا بأن

انتزع قلبي من صدري حتى آل الوعيد ابقائه والتقريع فراقه

فقلاني لاشفاق من الحين الى ان قصد سواد العين بصفرة

العين ولم يحط الواشي بغير الاثم والشين فما هدئ الله تع

منذ ذلك العهد الا احاجي ثمام من بعد والزجاج مخصوص

بهذه الطباع الذميمة وبه يضرب المثل في النميمة فقد حكى

عليه سبك عيني ولذلك السبب لم تمتد اليه يميني وانشد

فلا تعذلوني بعد ما قد شرحته على ان جرمي من ظراف الوظائف

فقد بان عذري في صنيعي وانني سارق في ميلي من تليدي وطارفي

على ان ما زودتكم من فكاهة الدهر الحلوى لذي كل عارف

قال الحارث بن همام فقبلنا اعتذاره وقبلنا عذاره وقلنا

له قد كان وقذ النميمة خير البشر حتى انتشر عن حمالة الحطب

ما انتشر ثم سألناه عما احدث جاره والغناه وخلة المغناه

بعد ان اثر لذيل السحابة وجثم جبل الرعاية فقال اخذ

في لا استحذاؤه والاستكانة ولا استشفاع الى ذوي المكانة

وكنت حرجت على نفسي لئن اقسمت بطلاق الزوج الا بمرجعه

انني او يرجع الى امسي فلم يكن لهني سوى الردى من اصرار

على الصد وهو لا يكتئب من البعد ولا يستبشر من رفاه الوجه

بل يلظ بالوساوس ويلج في المايل فما التعدي من ابيه

ولا بعد عليه نيل مرامه الا ابيات نفث بها الصدر

الموتور والخاطر المتبور فانها كانت مدرجة لشيطانه وشيخه

له في اوطانه وعند انشاد كانت طلاق الحبور ودعا بالويل

والثبور وابيس من نشور وصلى المعبود كما يئس الكفار من اصحاب

القبور فانشدناه لئن يبدد نار التكلم ويتشعبناد يا كافيقال

اجل خلق الانسان من عجل ثم انشد لابنه بخجل وابتسم

وقال

ونديم محضته صدق ودي اذ توهمته صديقا حميما

ثم اوليته قطيعة قالي حين الفيته صديدا حميما

خلته قبل أن يجرب الفا اذ تأمم فبان جلنفا ذميما
وتخيرته كليما فامسى حنة قلبي بما جناه كليما
وتظنيته معينا رحيما فتبينته لعينا رجيما
وترأيته مريدا فجلى عنه سبكي له مريد اليما
وتوسمت ان يبيت صفيا فأبى ان يبيت الا سميعا
بئس من لسنعه الذي اعجز الراقي يد ليما وبات عني سليما
وغدا امره غداة افترقنا مبتغيا للهم عني سقيما
لم يكن رابعا خصيبا ولكن كان بالشر رابعا لي خصيما
قلت لما بلوته ليته كان عديما لم يكن لي نديما
نغص الصبح حين تم الي قلبي لان الصباح يلغي نعيما
ودعاني الى مهوى الليل اذ كان سولها الدجى رفيقا كتوما
وكفي من تيجع لوفاه بالصدق انا ما فيما اتاه ولوما
قال فلما سمع رب المنزل قريضه وسجعه واستملح

ثم ربطه وسبعة بتوأمه مهما كراهيته وصدره على تكرمه
وأبت تحضر عشر صحائف من الغرب فيها حلو آل القند والعرف
وقال له لا يستوي اصحاب النار واصحاب الجنة ولا تسع
لن يجعل البنين كبني الظنة وهذه لا ينبغي تنزيل منزلة
الابرار في صور الاشرار فلا يؤتيها الا بطلا ولا يلحق بها ابطالا
ثم امر خادمه بنقلها الى حقواه ليحكم فيها بهواه فاقبل
علينا ابو زيد وقال اقرؤوا سورة الفتح وابشروا
بانبلاج الفرج فقد جبر الله ثكلكم وبين اكلكم و
جمع في ظل الحلواء شملكم وعسى ان تكرهوا شيئا وهو خير لكم
ولما هم بالانصراف مال الى ابن بهداء الصحاف فقال
للأديب لن يزدد الا بل الظرف سماحة المغبوي بالظرف
فقال كلاهما والغلام ما احذق الكلام وانهض بالام
فوثب في الجواب وشكره شكر الروض للسحاب ثم اقبلنا ابو زيد

فقال

الى حوايه وحكما في حلوايه وجعل يقلب لوا اني بك وبغض

عددها على عدد ثم قال لست ادري اشكو الفعلة

التي فعلها ذلك النمام ام اشكر وانا شي فعلته ام اذكره

فانه وان كان اسلف الجريمة ولم ينم النميمة فمن غيه

استللت هذه الوليمة وبجريمته انحازت لي هذه الغنيمة وقد

خطر ببالي ان ارجع الى اشبالي وافرغ بما في فنيتي ولا اتعب

نفسي ولا اجمالي وانا اودعكم وداع محافظ واستودعكم

خير حافظ ثم لبى على ما عليه راجعا في جادته متعافيا

الى ذا ادبته فغادرنا بعد لين وخدق عليه وذا ايلما اثره

كدسة غاب بدره او ليلة افل بدره في هجره والام عا

المقامة التاسعة عشر

روى الحارث بن همام قال اجتلت العراق ذات العوام لاخلاف

انواء النعيم وتحدث الركبان بخصب نصيبين وبلهنية اهلها

المخصبين فاقتعدت مهريا واعتقلت سمهريا وسرت تلفظني

ارض الى ارض ويجذبني رفع من خفض حتى بلغتها انقاضا

على نقض فلما انخت بمغناها الخصيب وحنوت بها في مرعاها

بنصيب نويت ان القي بها جراني واتخذ اهلها جيراني

الى ان تنجلي السنة الجماد ويتعهد ارض قومي العهاد فلما

تمضمضت مقلتي بنومها وانحسرت ليلتي عن يومها

او الفيت ابا زيد السروجي يجول في ارجاء نصيبين ويخبط

بها خبط المصابين والمصيبين وهو ينثر فيها الدرر

فوجدت جماله قد جاز مغناها وفرحي العذ قد صار

ثم انا لم ازل اتبع ظله اينما انبعث والتقط لفظه

كلما نفث الى ان عراه مرض اشتد مداه حتى كاد

يسلبه ثوب المحيا ويسلمه الى ابي يحيى فوجدت الفوت

طلقاه وانقطاع سقياه فابيضّت المعدة عن مرامه ومرض المرضع

عند وطابه ثم أرجف بأن رهينه قد غلق ومخلب الحمام

به قد علق فقلق صحبه لإرجاف المرجفين وأثابوا إلى

عقوته موجفين حتى أتى مقيد بهم نجوم ثم كأنهم أنصعوا الحدر صبا

أسالوا الغروب وعطّوا الجيوب وصكّوا الخدود وشجّوا الرؤوسا

يبدون لوشك المنية المنون وغالت نفائسهم والنفوسا قال

الراوي وكنت فيمن التف بأصحابه وأغذّ إلى بابه فلما

انتهينا إلى فنائه وتصدّينا لاستنشاء أنبائه برز

إلينا فتاه مغبرّة شفتاه فاستطلعناه طلع الشيخ

في شكاته وكنه حركاته فقال قد كان في قبضة المرض

وعرك الوعكة إلى أن رشفه الذنوب واستشفى بالبلغ

ثم من الله تعالى بتقوية ذمائه فأفاق من إغمائه فارجعوا

أدراجكم وانضوا أزعاجكم فقد كان قد غدا أو راح سالمكم

الراح فأعظمنا بشراه وأثرنا حلوان تراه فدخل مؤذن بابنا

ثم خرج أذن لنا فلقيناه لقي ولبسنا ما طلقنا وجلسنا

محدقين إلى أساريره فقلب طرفه في أجماعنا ثم قال اعلموا كما

بتّ الساعة وأنشد عافاني الله وشكري له من علة كادت تعقبني

ومن بالبرء على أنه لا بد من حتف سيبرئني حائنا أساني ولكنه

إلى يقضي الأكل يتنسيني أرجو لم يعز جهم وأحمى كلفه تحميني

وما أبالي إذا نبتت لم أخر الحين إلى حين فأي فخر في حبوة

أدرى فيها البلايا ثم تبليني قال فدعونا له بامتداد

الأجل وارتداد الوجل وتداعينا إلى القيام لاتّقاء الإبرام

فقال كلا بل ابتنوا أبا بياض يومكم عندي لتستوعبوا المفاكهة

وجهي فإن حلولكم قوت نفسي ومغناطيس أنسي

فحقّرنا بمرضاته وتحامينا معاصاته وأقبلنا على

الحديث نمخض زبده ونلغي زبده إلى أن حان وقت المقيل

وكلت الحلس عن الفالق القيل وكان يوما حامي الوديقة
يانع الحديقة فقال لمن النخاس قد امال الاعناق واود ه
الاماق وبوخصم الدوخطب لا يرد فصلوا اجلة بالقيلولة
واقيدوا اعينه بالاثار المنقولة قال الراوي فاتبعنا
ما قال وقلنا وقال فضرب الله على اذاننا واوزع السنة
في الاجفان حتى خرجنا من حكم الوجود وصرفنا بالهجود
عن السجود فما استيقظنا الا والحر قد باخ واليوم قد شاخ
فنكرنا الصلوة العجماوين وادينا ما حل من الدين ثم
تحثثنا للارتحال الى ملقى الرحال فالتفت ابو زيد الى شبله
وكان على شاكلته وشكله وقال اني رايتك يا عمرة قد
اضمرت في احشائهم الجمرة فاستدع البالج فانه تبري كل
جابح واردفه بابي نعيم الصابر على كل ضيم عززه بابي
حبيب المحبب الى كل لبيب المقلب بين احراق وتعذيب

واهب بابي ثقيف فحبذا هو من اليف وهلم بابي عون فما مثله
من عون ولو استحضرت ابا جميل المجمل لتجميل وحي كامل
بام القرى المذكرة بكسرى ولا تنس ام جابر فلم لها من ذاكر
وبابي ام الفرج ثم اقبل لها ولا حرج ولفهم بابي رزين مهو ميلاه
كل حزين ولن تعترن به ابا العلاء وتحمله من ديوان النجلاء
واباك واستنده المرجعين قبل استقلال حمول البين واذا
نزع القوم عن المراس وصالحوا ابا اياس فاطلع عليهم ابا السرور
فانه عنوان السرور وقال فقفقه ابنه لطايف رموزه بلطافة
تمييزه وطاف علينا بالطيبات والطيب الى ان اذنت
الشمس بالمغيب فلما اجتمعنا على التوديع قلنا له الم تر الى هذا
اليوم البديع كيف بدا صبحه ثم طرا قبيحه مستبشرا فسجد
حتى اطال ثم رفع راسه وقال **هو الموفق**
لا انا ابنا عند النوب من رخص بطلو الكرب فلم تهوم هب ثم حي بها وانقلبه

وسحاب مكروه تنشا فاضمحل وما سكب ودخان خطب خيف منه فما استبان له لهب

ولطالما طلع الأسى وعلى تعقبه غرب فاصبر اذا ما ناب ع فالزمان ابو العجب

ورج من لطف الاله لطائفا لا تحتسب قال فاستملحنا

ابياته الغر واثنينا لله تعالى لشكره وودعناه وابن

الشرح

سريره معمور ببركة تفسير ما تضمنت هذه المقامة من الالفاظ اللغوية

والكنى الطفيلية والكنايات الصوفية قوله ذات العويم يعني

به الزمان المتقادم ومثله ذات الزجر والسمهرية الرماح و

في تسميتها بذلك قولان احدهما انها سميت بذلك لصلابتها

من قولهم اسمهر الشيء اذا اشتد وقيل انها منسوبة الى

سمهر زوج ردينة وكانا جميعا يثقفان الرماح فنسبت اليهما

وقوله بعض على بعض اي محزون لا على محزون وقوله

ضرب الله على آذان اي نامنا ومنه قوله عز وجل فضربنا

على آذانهم في الكهف اي انمناهم وقيل في تفسيره اي منعناهم

السمع وقوله نكر على الصلوة العجماوين اي غسلنا اكارعنا

وهو كناية عن الوضوء والعجماوان صلوة الظهر والعصر

سميتا بذلك لاسرار القراءة فيهما ومنه الحديث صلوة النهار عجماء

وقوله هلم اي قل لي هلم ومعنى هلم تعال واقبل و

الافصح ان يوحد لفظها مع المذكر والمونث والاثنين والجمع

وبه نطق القرآن في قوله تعالى والقائلين لاخوانهم هلم الينا

ومن العرب من يقول للمذكر الواحد هلم وللاثنين هلما وللجمع

هلموا وللمونث الواحدة هلمي وللاثنين هلما وللجمع هلممن

وقوله حي هلا اي عجل تعال حي هل بفتح الياء بتسكين

اللام وفتحها وتنوينها وباثبات النون معها ومنه قول ابن مسعود

في عمر بن الخطاب اذا ذكر الصالحون فحي هلا بعمر وفي حي هل لغات

اعرضنا عن ذكرها اذ ليس هذا موضع استيفاء شرحها

فهذا تفسير الالفاظ اللغوية واما تفسير الكنى الطفيلية

والكنايات الصوفية فأبو يحيى كنية ملك الموت وأبو عمرة كنية
الجوع ويكنى أيضاً أبا مالك وأبو جامع الخوان وأبو نعيم الخبز
الحواري وأبو حبيب الجدي وأبو ثقيف الخل وأبو عون الملح
وأبو جميل البقل وأم القرى السكباج وأم جابر الهريسة
وأم الفرج الجوذابة وأبو رزين الخبيص وأبو العلاء الفالوذ
وأبو أياس الشواء وأبو المرجان الطست وأبو بريق الإبريق وأبو السرو البخور

المقامة العشرون

حكى الحارث بن همام قال يممت ميافارقين مع رفقة موافقين
لا يمارون في المناجاة ولا يدرون ما طعم المداجاة فكنت بهم
كمن لم يرم عن وجاره ولا ظعن عن ألفه وجاره فلما أنخنا
بها مطايا التسيار وانتقلنا عن الأكوار إلى الأوكار تواصينا
بتذكار الصحبة وتناهينا عن التقاطع في الغربة واتخذنا
نادياً نعتمره طرفي النهار ونتهادى فيه طرف الأخبار فبينا نحن
به في بعض الأيام وقد انتظمنا في سلك الالتئام وقف علينا
ذو مقول جهوري وجرس جهوري فحيا تحية نفاث في العقد
قناص للأسد والنقد ثم قال

عشيري يا قوم حديث عجيب ... فيه اعتبار اللبيب الأديب
رأيت في ريعان عمري أخا ... بأس له حد الحسام القضيب
يقدم في المعرك إقدام من ... يوقن بالفتك ولا يستريب
فيفرج الضيق بكراته ... حتى يرى ما كان ضنكاً رحيب
ما بارز الأقران إلا انثنى ... عن موقف الطعن بجرح خضيب
ولا سما يفتح مستصعباً ... مستغلق الباب منيعاً مهيب
إلا ونودي حين يسمو له ... نصر من الله وفتح قريب
هذا وكم من ليلة باتها ... يميس في برد الشباب القشيب
يرتشف الغيد ويرشفنه ... وهو لدى الكل المفدى الحبيب

فلم يزل يسترق دهره ما بين من بطش وعود صليب

حتى اصارته الليالي لغى يعافه من كان منه قريب

ثم اعجز الراقي تحليل ما به من الداء واعيا الطبيب

وصادم البيض وصارمته من بعد ما كان المجاب المجيب

واض كالمنكوس في حلقه ومن يعش يلق دواهي المشيب

وها هو اليوم مسجى ثمّ يرتغب في تكفين جثمان غريب

ثم انه اعلق بالجيب وبكا بكاء المحب على الحبيب ولما رقأت

دمعته وانقضت لوعته قال يا جمعة الرواد

ووفود الاجواد والله ما نطقت ببهتان ولا اخبرتكم الا

عن عيان ولو كان في عصاي شيره ولعيني مطيره لما استأنفت

بادعوتكم البدء لما وقفت موقف الذال عليه ولكن كيف

الطيران بلا جناح وهل على من لا يجد من جناح قال الراوي

فطفق القوم يأتمرون فيما يأمرون ويتخافتون فيما يأتون

فتوهم انهم على صرفه مجمعون او مطالبته بدر كان ففرط منه

او قال يا بلاليع القاع وبراقع البقاع ما هذا الازدراء

الذي باءت بالحياء حتى كانكم كلفتم مشقة لا شقة

او استوهبتم بلدة لا بردة او هززتم لكسوة البيت

لا لتكفين الميت اف لمن لا تندى صفاته ولا ترشح

حصاته فلما بصر الجماعة بدلاقة ومرارة مذاقه

رقّ له كل منهم بنيله واحتمل طلّه خوف سيله قال

الحارث بن همام وكان هذا السائل واقفا خلفي ومحتجبا

بظلّه عن طرفي فلما ارضاه القوم بتشييعهم وحق على

التابعين زهم خلت خاتمي من خنصري ولقيت لبه بصري فاذا

هو شيخنا السروجي بلا فرية ولا مرية فايقنت انها اكذوبة

تكذبها واحبولة نصبها الا اني طويته على غره وصنت

شعاعه عن فره وحصيته بخاتم وقلت ارصده لنفقة المأتم

فقال اما لك مما الصرم شغلك واكرم نعلك ثم انطلق يسعى
ندعا ويمر ولكنه قد مانبز عنا الى عرفان ميتته وانتحال
دعواه حميته فقرعت ظنوني واهبت الهوى حتى ادركته
على علوة واجتليته في خلوة فاخذت بمجمع ازداته وعقته
عن سنن مبداته قلت والله ما لك مني ملجا ولا منجى او ترتني
منيك المسجى فكشف عن سرابيله واشار الى غرموله فقلت
له قاتلك الله فما اعبثك بالنهى واحبلك على اللهى
ثم عرفت الى اصحابي عود الرائد الذي لا يكذب اهله
ولا يبرقش قوله فاخبرتهم بالذي رايت وما ورثيت ولا رايت
فعجبوا من كيت وكيت ولعنوا ذلك الميت

المقامة الحادية والعشرون

حدث الحرث بن همام قال عنيت مذ احكمت تدبيري وعرفت
قبيلي من دبيري بان اصغي الى العظات والغي الكلم المحفظات
لاتحلى بمحاسن الاخلاق واتخلى مما يسم بالاخلاق وما زلت اخذ
نفسي بهذا الادب واخذها به جمرة الغضب حتى صار
التطبع فيه طباعا والتكلف له مني مطاعا فلما حللت
بالري وقد حللت حبى الغي وعرفت الحي من اللي رايت
بها ذات بكرة زمرة اثر زمرة وهم منتشرون انتشار
الجراد ومستنون استنان الجياد ومتواصفون واعظا
يقصدونه ويحلون ابن سمعون دونه فلم يكن لي الا استماع
المواعظ واختبار الواعظ لن اقاسي للاغط واحتمل
الضاغط فاصحبت اصحاب المطاوعة وانخرطت في سلك
الجماعة حتى افضينا الى ناد جمع الامير والمامور وحشد
النبيه والمغمور وفي وسط هالته ووسط اهالته شيخ
قد تقوس واقعنسس وتقلنس وتطلس وهو يصدع بوعظ

يشفي الصدور ويلين الصخور فسمعته يقول وقد افتتنت
به العقول ابن آدم ما اغراك بما يغرك واضراك بما يضرك
والهجك بما يطغيك وابهجك بمن يطريك تغني بما يعنيك وتهمل
ما يعنيك وتنزع في قوس تعديك وتنقي الحرص الذي يرديك
لا بالكفاف تقتنع ولا من الحرام تمتنع ولا للعظات تستمع
ولا بالوعيد ترتدع دابك ان تنقلب مع الاهواء وتخبط خبط
العشواء وهمك ان تذاب في الاحتراث وتجمع التراث للوراث
يعجبك التكاثر بما لديك ولا تذكر ما بين يديك وتسعى ابدا
لغاريك ولا تبالي الكرام عليك اتظن ان ستترك سدى والا
تحاسب غدا ام تحسب ان الموت يقبل الرشا ويميز بين
الاسد والرشا كلا والله لن يدفع المنون مال ولا بنون
ولا ينفع اهل القبور سوى العمل المبرور فطوبى لمن سمع ووعى
وحقق ما ادعى ونهى النفس عن الهوى وعلم ان الفايز من ارعوى

وان ليس للانسان الا ما سعى وان سعيه سوف يرى ثم انشد انشاد وجل بصوت زجل

لعمرك ما تغني المغاني ولا الغنى · اذا سكن المثري الثرى وثوى به
فجد في مراضي الله بالمال راضيا · بما تقتني من اجره وثوابه
وبادر به صرف الزمان فانه · بمخلبه الاشغى يصول ونابه
ولا تامن الدهر الخؤون ومكره · فكم خامل اخنى عليه ونابه
وعاص هوى النفس الذي ما اطاعه · اخو ضلة الا هوى من عقابه
وحافظ على تقوى الاله وخوفه · لتنجو مما يتقى من عقابه
ولا تله عن تذكار ذنبك وابكه · بدمع يضاهي المزن حال مصابه
ومثل لعينيك الحمام ووقعه · وروعة ملقاه ومطعم صابه
وان قصارى منزل الحي حفرة · سينزلها مستنزلا عن قبابه
فواها لعبد ساءه سوء فعله · وابدى التلافي قبل اغلاق بابه

قال فظل القوم بين عبرة يذرونها وتوبة يظهرونها حتى كادت
الشمس تزول والفريضة تعول فلما خشعت الاصوات

دال لآم الانصاف واستشكلت العبرات والعبارات ان صرخ
حتى تصرخ بالمعير الحاضر وجعل يجار البين من غائلة الجائر
وراعى من ضاع الى خصمه لانه كشف ظلمه فلما ايس من روحه
واستنهض الواعظ لنصحه فنهض نهضة الشهم وانشد

معرضا بالامير عجبا لراج ان يلي ولاية ... حتى اذا ما نال بغيته بغى
يبني ويلجج في المظالم والغا ... في وردها طورا وطورا مولغا
ما ان يبالي حين يتبع الهوى ... فيها أيصلح دينه ام اوتغا
يا فيحه لو كان يوقن انه ... فاحالة الاحوال لما طغا
او لو تبين ما ندامة من صغا ... سمعا الى قول الوشاة لما صغا
فابعد لمن اضحى الزمام بكفه ... وتغاض ان لغى الرعاة ولغا
وارع المراد اذا دعاك لرغبة ... وردِ المجاج اذا احال السيغا
واحمل اذاه ولو لظى جرته ... واسال غرب البدع حتى ولغا
فليضحكن الدهر جنه اذا انبا ... عنه وشب لكيده نار الوغا
ولتنزلن به الشماتة اذا ابدا ... متخليا من شغله متفرغا
ولتاذين له اذا ابصرته ... اضحى على ترب الهوان ممرغا
هذا ولسوف يوقف موقفا ... فيه يرى رب الفصاحة الثغا
وليحشرن اذل من فقع الفلا ... ويحاسبن على النقيضة والشغا
ويواخذن بما اجتنى من لعبنى ... ويطالبن بما احتسى وبما ارتغا
وبما قفا على الدقائق مثلما ... قد كان يعمل بالورى بل ابلغا
حتى يعض على الولاية كفه ... ويود لو لم يبغ منها ما بغا

ثم قال ايها المتوشح بالولاية المترشح للرعاية درج اوائلك
بدولتك واغتر رهطك بصولتك فان الدولة ريح قلب والقدرة
برق خلب وان اسعد الرعاة من سعدت به رعيته
واشقاهم في الدارين من ساءت رعايته فلا تكن ممن يذر
الآخرة ويلغيها ويحب العاجلة ويبتغيها ويظلم
الرعية ويوذيها واذا تولى سعى في الارض ليفسد فيها

فواسا ما يعقل الديان ولا يهمل الانسان ولا يلغى الاحسان بل سيوضع لك الميزان وكما تدين تدان قال فحج

الوالي لما سمع وامتقع لونه واستشع وجعل يتأفف من الاحراج

ويردد الزفرة بالزفرة ثم عمد الى الشاكي فاشكاه والى

المشكو منه فاشجاه واطلق الواعظ وحياه وعزم عليه

ان يغشاه فانقلب عنه المظلوم منصورا والظالم محصورا

وبرز الواعظ يتهادى بين رفقته ويتباهى بنور صفقته

فاعتقبته اخطو متقاصرا واريه لمحا باصرا فلما

استشف ما اخفيه وفطن لتقلب وجهي فيه قال خير

دليليك من ارشد ثم اقترب مني وانشد

انا الذي تعرفه يا حارث ... حدث ملوك فكه منافث

اطرب ما لا تطرب المثالث ... طورا اخو جد وطورا عابث

وكل ما يدرج فيه عابث ... حتى كأني للانام وارث

سامهم وحامهم ويافث

قال الحارث بن همام فقلت له تالله انك لابو زيد ولقد قمت

لله ولا عمرو بن عبيد فهش هشاشة الكريم اذا ألم وقال

اسمع يا ابن ام عليك بالصدق ولو انه احرقك الصدق

بنار الوعيد وابغ رضا الله فاغبى الورى من اسخط المولى وارضى العبيد

ثم انه ودع اخدانه وانطلق يسحب اردانه وطلبناه

من بعد بالري واستنشرنا اخباره من مدارج الطرق فما

من عرف قراره ولا ادري اي الجراد عاره

المقامة الثانية والعشرون

حكى الحارث بن همام قال اويت في بعض الفترات الى سقي الفرات

فلقيت بها كتابا ابرع من بني الفرات واعذب اخلاقا

من الماء الفرات فاطفت بهم لتنبذ بهم لا لذهبهم وكاثرتهم

لادبهم لا لمآدبهم فجالست منهم اضراب القعقاع

ابن شور

ووصلتُ بهم الى الكورِ بعد الحورِ حتى كأنهم أشركوني في المرتعِ والمربعِ
واحلّوني محلّ الأنملةِ من الإصبعِ واتخذوني ابنَ أنسهم
عند الولايةِ والعزلِ وخازنَ سرّهم في الجِدِّ والهزلِ
فاتفق أن ندبوا في بعض أوقاتٍ لاستبراءِ مزارعِ الرز
داقاتِ فاختاروا من الجواري المنشآتِ جاريةً حالكةَ
الشِّياتِ تحسبها جامدةً وهي تمرّ مرَّ السحابِ وتنسابُ
في العبابِ كالحبابِ ثم دعوني الى الموافقةِ واستدعوني
للمرافقةِ فلما توركنا على المطيةِ الدهماءِ وبطنّا الوليّةَ
الماشيةَ على الماءِ الفينا بها شيخًا عليه سربالٌ
وسبٌّ بالٍ فعافتنا الجماعةُ لحضورهِ وعنفت من أحضرهُ
وهمّت بإبرازهِ من السفينةِ لولا ما ثاب اليها من السكينةِ
فلما لمح منها استثقالَ ظلّهِ واستبان ادلالَه تعرّض
للمنافثةِ فصمتت دونه بعد أن عطس فما شمّت فأحجم

ينظر في مآلِ حالهِ أبيه وينتظر نصرةَ المبغي عليه وجعلنا
نخوض في شجونٍ من جِدٍّ ومجونٍ الى أن اعترض ذكرُ الكاتبَين
وفضلهما وتبيانُ أفضلهما فقال قائلٌ إن كتبةَ الانشاء
أنبلُ الكتّابِ ومال قائلٌ الى تفضيلِ الحُسّابِ واحتدّ الحجاجُ
وامتدّ اللجاجُ واشتدّ الضجاجُ حتى اذا لم يبقَ للجدالِ
مطرحٌ ولا للمراءِ مسرحٌ قال الشيخ لقد أكثرتم يا قومُ
اللغطَ وأثرتم الصوابَ والغلطَ وإن جليةَ الحكمِ عندي
فارتضوا بنقدي ولا تستفتوا أحدًا بعدي اعلموا
أن صناعةَ الانشاءِ أرفعُ وصناعةَ الحسابِ أنفعُ
وقلمَ المكاتبةِ خاطبٌ وقلمَ المحاسبةِ حاطبٌ وأساطيرَ البلا
غاتِ تنسخ لتدرسَ ودساتيرَ الحسباناتِ تنسخ وتدرسُ
والمنشئُ جهينةُ الأخبارِ وحقيبةُ الأسرارِ ونجيُّ
العظماءِ وكبيرُ الندماءِ وقلمُه لسانُ الدولةِ وفارسُ الجولةِ

قال الحرث بن همام فلما أمتع الأسماع بأرآقه وراع استنشاءه
فاستراب وأبى الانتساب ولو وجد منسابا لانساب
فحصلت من لبسه على عمه حتى ادكرت بعد أمه فقلت
والذي سخر الفلك الدوار والفلك السيار إني
لأجد ريح أبي زيد وإن كنت أعهده ذا رواء وأيد
فتبسم ضاحكا من قولي وقال أنا هو على تنحل حالي
وحؤولي فقلت لأصحابي هذا أبو زيد الذي لا يفري فريه
ولا يباري عبقريه فخطبوا منه الود وبذلوا له الوجد
فرغب عن الألفة ولم يرغب في التحفة وقال أما بعد
إن سحقتم حقي لأجل سحقي وكسعتم بالي الأخلاق من بالي
فما أراكم إلا بالعين السخينة والكم مني لم أصحبه السفينة
اسمع أخي وصية من ناصح ما شاب محض النصح منه بغشه
لا تعجلن بقضية مبتوتة في مدح من لم تبله أو خدشه

وقف القضية فيه حتى تجتلي وصفيه في حالتي رضاه وبطشه
ويبين خلب برقه من صدقه للشائمين ووبله من طشه
فهناك إن تر ما يزين فزانه كبرا وإن تر ما يشين فأفشه
ومن استحق الارتقاء فرقه ومن استحط فحطه في حشه
واعلم بأن التبر في عرق الثرى خاف إلى أن يستثار بنبشه
وفضيلة الدينار يظهر سرها من حكه لا من ملاحة نقشه
ومن الغباوة أن تعظم جاهلا لصقال ملبسه ورونق رقشه
أو أن تهين مهذبا في نفسه لدروس بزته ورثة فرشه
ولكم أخي طمرين هيب لفضله ومفوف البردين عيب لفحشه
وإذا الفتى لم يغش عارا لم تكن أسماله إلا مراقي عرشه
ما إن يضير العضب كون قرابه خلقا ولا البازي حقارة عشه
ثم إنه عزم أن يتوقف الملاح وصعد من السفينة وساح
فندم كل منا على ما فرط في ذاته وأغضى جفنه على قذاته

قال الحرث بن همام فلما أشبع من استماع بما راق وراع استنسبناه
فاستراب وأبى من الانتساب ولو وجد منسبا لانساب
فحصلت من لبسه على عمه حتى أدركت بعد أمه فقلت
والذي سخر الفلك الدوار والفلك السيار إني
لأجد ريح أبي زيد وإن كنت أعهده ذا رواء وأيد
فتبسم ضاحكا من قولي وقال أنا هو على تحوّل حالي
وحولي فقلت لأصحابي هذا أبو زيد الذي لا تغري فيه
ولا يبارى عبقريه فخطبوا منه الود وبذلوا له الوعد
فرغب عن ألفة ولم يرغب في التحفة وقال أما بعد
إن سحقتم حقي لأجل سحقي وكسفتم بالي لإخلاق سربالي
فما أراكم إلا بالعين السخينة ولا لكم مني إلا صحبة السفينة
اسمع أخي وصية من ناصح ما شاب محض النصح منه بغشه
لا تعجلن بقضية مبتوتة في مدح من لم تبله أو خدشه

وقف القضية فيه حتى تجتلي وصفيه في حالي رضاه وبطشه
ويبين خلبه من صدقه للشائمين دويله من رشه
فهناك إن تر ما يشين فواره كرما وإن تر ما يزين فافشه
ومن استحق الارتقاء فرقه ومن استحط فحطه في حشه
واعلم بأن التبر في عرق الثرى خاف إلى أن يستثار بنبشه
وفضيلة الدينار يظهر سرها من حكه لا من ملاحة نقشه
ومن الغباوة أن تعظم جاهلا لصقال ملبسه ورونق رقشه
أو أن تهين مهذبا في نفسه لدروس بزته ورثة فرشه
ولكم أخي طمرين هيب لفضله ومفوف البردين عيب لفحشه
وإذا الفتى لم يغش عارا لم تكن أسماله إلا مراقي عرشه
ما إن يضير العضب كون قرابه خلقا ولا البازي حقارة عشه
ثم ما عتم أن توقف الملاح وصعد عن السفينة وساح
فندم كل منا على ما فرط في ذاته وأغضى جفنه على قذاته

وتعاهدنا على ان لا نختص بتخصص الثالثة بوده والا نكدّري

المقامة الثالثة والعشرون

حكى الحرث بن همام قال نبا بي مألف الوطن في شرخ اوان
الزمن لخطب خشي وخوف غشي فارقت كاس الكرى ونصصت
ركاب السرى وجبت في سيري وعورا لم تدمثها الخطى
ولا اهتدت اليها القطا حتى وردت حمى الخلافة
والحرم العاصم من المخافة فسرّوت ابجاس الروع واستشعرت
وتسربلت لباس الامن وشعاره وقصرت همتي على لذة اجتنيها
وملحة اجتليها فبرزت يوما الى الحريم لا ارود فيه طرفي
واجيل في طرقه طرفي فاذا فرسان متتالون ورجال متتالون
وشيخ طويل اللسان قصير الطيلسان قد لبب فتى
جديد الشباب خلق الجلباب فقصدت النظارة حتى

وافينا باب الامارة وهناك صاحب المعونة مترّبعا في دسته
ومزدهيا بسمته فقال له الشيخ اعز الله الوالي وجعل
كعبه العالي اني كفلت هذا الغلام يتيما وربيته فطيما
ثم لم آله تعليما فلما مهر وبهر جرد سيف العدوان وشهر
ولم احله يلبوني عليه وشيخ حين تناهى مني وبلغ فقال
له الفتى علام عثرت مني حتى تنشر هذا الخزي عني
فوالله ما سترت وجه برك ولا هتكت حجاب سترك ولا
شققت عصا امرك ولا ابغيت بتلاوة شكرك فقال له الشيخ
ويلك واي ريب اخفى من ريبك وهل عيب افحش من عيبك
وقد ادعيت سحري واستلحقت شعري واستراق
الشعر عند الشعراء افظع من سرقة البيضاء
والصفراء وغيرتهم على بنات الافكار كغيرتهم على البنات الابكار
فقال الوالي للشيخ وهل حين سرق سلخ ام نسخ

أم نسخ فقال والذي جعل الشعر ديوان العرب وترجمان
الأدب ما أحدث سوى أن يشتمل شعره أغار على ثلثي
شرحه فقال له أنشد أبياتك برمتها البيض ما الغنا

يا خاطب الدنيا الدنية إنها شرك الردى وقرارة الأكدار
دار متى ما أضحكت في يومها أبكت غدا بعدا لها من دار
وإذا أظل سحابها لم ينتقع منه صدى لجهامه الغرار
غاراتها ما تنقضي وأسيرها لا يفتدى بجلائل الأخطار
كم مزدهى بغرورها حتى بدا متمردا متجاوز المقدار
قلبت له ظهر المجن وأولغت فيه المدى ونزت لأخذ الثار
فاربأ بعمرك أن يمر مضيعا فيها سدى من غير ما استظهار
واقطع علائق حبها وطلابها تلق الهدى ورفاهة الأسرار
وارقب إذا ما سالمت من كيدها حرب العدى وتوثب الغدار
واعلم بأن خطوبها تفجا ولو طال المدى ووَنَت سرى الأقدار

فقال له الوالي ثم ماذا أصنع بهذا قال أقدم للوهم
في أجزائه على أبيات النشيد أسبب من أجزاء تحذف منهما
جزئين وتنقص من أوزانها وزنين حتى صار الرجز فيها
رويين فقال بين ما أخذ من ابن فلذ فقال ادعني سمعك
والخلل للتفهم عن ذي علل حتى تبين كيف أصلح علي
وتقدر قدر الجناية التي ثم أنشد وأنفاسه تصعد

يا خاطب الدنيا الدنية إنها شرك الردى ... دار متى ما أضحكت في يومها أبكت غدا
وإذا أظل سحابها لم ينتقع منه صدى ... غاراتها ما تنقضي وأسيرها لا يفتدى
كم مزدهى بغرورها حتى بدا متمردا ... قلبت له ظهر المجن وأولغت فيه المدى
فاربأ بعمرك أن يمر مضيعا فيها سدى ... واقطع علائق حبها وطلابها تلق الهدى
وارقب إذا ما سالمت من كيدها حرب العدى ... واعلم بأن خطوبها تفجا ولو طال المدى

فالتفت الوالي إلى الخالع وقال تبا لك من خريج
مارق وتلميذ سارق فقال الفتى برئت من الأدب وبنيه

ولحنت من تأويبه وتعويض جنابه إذ كانت أبياته نمت
إلى علمي قبل أن ألفت شطي وإنما اتفق توارد الخواطر
كما قد يقع الحافر على الحافر قال وكان الوالي
جوّز صدق زعمه فندم على بادرة ذمّه وظل يتفكر فيما
يكشف له عن الحقائق ويتميز به الفائق من المائق فلم ير
إلا أخذهما بالمناضلة ولن يباين قرب المساجلة فقال لهما
إن أردتما افتضاح العاطل وانفتاح الحق من الباطل
فترسلا في النظم وتباريا وتجاولا في حلبة الإجازة وتجاريا
ليبين لك من ملكه عن تبنيه ويجلى عن حجى عن تيه يغالا
له بلسان واحد وجواب متوارد فقد رضينا بسبرك فمرنا
بأمرك فقال إني مولع من أنواع البلاغة بالتجنيس وأراه
لها كالرئيس فانظما الآن عشر أبيات تلحمانها بوشيه
وتضمنانها تجليه وصفًا ما شرح حالي مع إلف بديع الصفة

ألمى الشفة مليح التثني كثير التيه والتجني متناسي
العهد وإطالة الصد وإخلاف الوعد وأنا له كالعبد قال
فبرز الشيخ مجلّيًا وتلاه الفتى مصليًا وتجاريا بيتًا فبيتًا
على هذا النسق إلى أن كمل نظم الأبيات واتسق

وأحوى حوى رقي برقة لفظه ✽ وغادرني إلف السهاد بغدره
تصدى لقتلي بالصدود وإنني ✽ لفي أسره مذ حاز قلبي بأسره
أصدق منه الزور خوف ازوراره ✽ وأرضى استماع الهجر خشية هجره
وليس بعذب المعذب منه ذكا ✽ لجد غدا بي جدني حب بره
تناسى ذمامي والتناسي مذمة ✽ وأحفظ قلبي وهو حافظ سره
وأعجب ما فيه التباهي بعجبه ✽ وأكبر عذري أن أنوء بكبره
له مني المدح الذي طاب نشره ✽ ولي منه طي الود من بعد نشره
ولو كان عدلًا ما تجنى وقد جنى ✽ علي وغيري يجتني أشر ثغره
ولولا تثنيه ثنيت أعنتي ✽ بدارًا إلى من أجتلي نور بدره

وإني على تعريف أمري وأمره ... أرى المرّ حلواً في انقيادي لأمره

فلما أنشداها الوالي حتى استدلّ بذكائهما المتغاير لبرّهما وقال أشهد بالله أنكما فرقدا سماء ولكن زندين في وعاء ولكن هذا الحدث ليُسعِف بما آتاه الله ويستغني بجدواه عمّن سواه فتُب أيها الشيخ من اتّهامه وثِب إلى إكرامه فقال الشيخ هيهات أن أراجعه مِقتَبي ويعلق به تعتّبي وقد بلوتُ كفرانه للصنيع ومُنيتُ منه بالعقوق الشنيع فاعترضه الفتى وقال يا هذا إن اللّجاج شؤم والحنق لؤم وتحقيق الظِّنّة إثم واغتياب البريء ظلم وهبني اقترفت جريرة أو اجترحت كبيرة فأما تذكر إذ أنشدتني لنفسك أبياتاً تُشكر

سامحْ أخاك إذا خلط ... منه الإصابة بالغلط
وتجافَ عن تعنيفه ... إن زاغ يوماً أو قسط
واحفظ صنيعك عنده ... شكر الصنيعة أم غمط

وأطِعْه إن عاصى وهُنْ ... إن عزّ وادنُ إذا شحط
واقنِ الوفاء ولو أخلّ ... بما اشترطت وما اشترط
واعلم بأنك إن طلبت ... مهذّباً رُمتَ الشطط
من ذا الذي ما ساء قط ... ومن له الحسنى فقط
أوما ترى المحبوب والمكروه ... لُزّا في نمط
كالشوك يبدو في الغصون ... مع الجنى المُلتقط
ولذاذة العمر الطويل ... يشوبها نغص الشمط

فجعل الشيخ ينضنض نضنضة الصِّلّ ويحملق حملقة البازي المُطِلّ ثم قال والذي زيّن السماء بالشهب وأنزل الماء من السحب ما رُوعي عن اصطلاح إلا لتوقّي افتضاح فإن هذا الفتى أغلاك أن أهونه وأذاع شؤونه وقد كان الشيخ الدهر يسحّ فلم أكن أشحّ فأما الآن فالوفر عبوس وحِقو العيش يبوس حتى إن ريّي هذه غارة ويبتغي أن يطوز به فارة قال فرقّ لهما لمّا قلب الوالي وأوى لهما من غِيَر الليالي وصبا إلى تخفاصهما بالإيعاز

وأمر النظارة بالانصراف قال الراوي وكنت مشوقاً إلى
مرأى الشيخ لتجلي أعلم عِلّة إذا غابت وسمه ولم يكن
الرحيل بسفرٍ عنه ولا البرح لي فاذن مؤمنه فلما تقوضت
الصفوف وأجفل الخفوف توسمته فإذا هو أبو زيد والفتى
فتاه فعرفت حينئذٍ مغزاه في ما أتاه وكدت أنقض
عليه لاستعرف إليه فزجرني بإيماض طرفه واستوقفني
بإيماء كفه فلزمت موقفي ولعزت منصرفي فقال الوالي ما لك
ولا أما سبب مقامك فابتدر الشيخ وقال إنه أنيسي
وصاحب ملبوسي فتبسم عند هذا القول بتأنيسي ورخص
في جلوسي ثم أفاض عليهما خلعتين ووصلهما بنصاب
من العين وليتجهما لمن تعاشر بالمعروف إلى أظلال
اليوم المخوف فنهضا من ناديه مثنيين بذكر أياديه وتبعتهما
لأعرف مثواهما وأتأدّ من نجواهما فلما تجزنا حمى الوالي

وأفضينا إلى الفضاء الخالي أدركني لحد جلاء وزند مسباني
إلى حوزته فقلت لأبي زيد ما أظنه ليخفرني إلا ليخبرني
فماذا أقول وفي لي ولإدمعه أحوك فقال بين له غباوة
قلبه وتلطف بلبه ليعلم لمن الجلى أفاق أعصاراً أو جدوا
صادف تياراً فقلت أيا الغاني لمن تبعد عصيته فيا لمخكم
لهيد لو تنشوى طيبة فسوى إليك ربطه فقال إني
أرحل الآن إلى الرقة وآتي بلغ سهيل والسهى فلما حضر
الوالي وقد خلا مجلسه وانجلى تغلسه أخذ يصف أبا زيد
وفضله ويذم الدهر له ثم قال أي فنشدتك الله السبب الذي
أعاره الدست فقلت ذاك الدست الذي أجلسكم فيه مثلما
الدست ما أنا بصاحب هذا الدست بل أنا الذي ثم عليه عليكم
الدست فازورت مقلتاه واحمرت وجنتاه وقال والله
ما عجزني قط فضح غريب ولا انكشف معيب لكن ما سمعت

بأنّ شخصاً دلّس بعدما تطلّس فهذا أتمّ له أن لبس قال فبم
بكتني قلت بأبي زيد فقال إنّه بلحي كيد البق منه بأبي زيد
أنشدني ابن سكرة ذلك الذكي قلت أشتفي منك لمغدي
طوري فظعن عن بغداد من فوره فقال لا قرّب الله نواه
ولا كلأه ابن ثواه فما أولئك أشدّ من نكره ولا أدنى أمر
من نكره ولولا حرمة أدبه لأوغلت في طلبه إلى أن يتبع
فأوقع به وإنّي لأكره أن تشيع فعلته بمدينة السلام
فأفتضح بين الأنام وتحبط مكانتي عند الإمام وأصير
ضحكة الخاص والعام فعاهدني على ألّا أفوه بما أعتمد
ما دمت حالّاً بهذا البلد قال الحارث بن همام فعاهدته
معاهدة من لا يتأوّل ووفيت له كما وفى السموأل

المقامة الرابعة والعشرون

حكى الحارث بن همام قال عاشرت بقطيعة الربيع في إبان الربيع
فتيةً وجوههم أبهج من أنواره وأخلاقهم أبهج من أزهاره
وألفاظهم أرق من نسيم أسحاره فاجتليت منهم ما يزري
على الربيع الزاهر ويغني عن رنّات المزاهر وكنّا تعاقدنا
على حفظ الوداد وحظر الاستبداد وألّا ينفرد أحدنا
بالتذاذ ولا يستأثر ولو برذاذ فأجمعنا في يوم سما دجنه
ونمى جنّه وحكم بالاصطباح مزنه على أن نلتهي بالخروج
إلى بعض المروج لنسرح النواظر في النواضر ونصقل
الخواطر بشيم المواطر فبرزنا ونحن كالشهور عدّة وكندماني
جذيمة مودّة إلى حديقة قد أخذت زخرفها وازّينت
وتنوّعت أزاهيرها وتلوّنت ومعنا الكميت السموس
والسقاة الشموس والشادي الذي يطرب السامع ويلهيه
وبغية كلّ معنٍ ما يشتهيه فلمّا اطمأنّ بنا الجلوس ودارت

علينا الكؤوس وغال علينا اذ مر علينا طرف فتح هناه تجهم
العيد الشيب ووجد لصفو يومنا قد شيب الا انه
يلم بتلبيد اولي الفهم وجلس يقتص لطائف النثر
والنظم ونحن نزوي عن انبساطه ونتهيا لطي بساطه
الى ان غنى شادينا المغرب وغردنا المطرب
الام سعاد لا تصلين حبلي ولا تاوين لي مما الاقي
صبرت عليك حتى عيل صبري وكادت تبلغ الروح التراقي
وها انا قد عزمت على انتصاف اساقي فيه خلي ما يساقي
فان وصلا الذ به فوصل وان صرما فصرم كالطلاق
قال فاستغربنا العابث بالمثاني لم نصب الوصل الاول
ورفع الثاني فاقسم بتربة ابويه لقد نطق بما اختاره
سيبويه فتشعبت حينئذ اراء الجمع في تجويز النصب
والرفع فقالت فرقة رفعهما هو الصواب وقالت طائفة

و هم

لا يجوز فيهما الا الانتصاب واستبهم على الحزبين الجواب
واستشعر بينهم الاصطخاب وذلك الواغل يبدي ابتسام
ذي معرفة وان لم يفه ببنت شفة حتى اذا سكنت
الزماجر وصمت المزجور والزاجر قال يا قوم انا انبيكم
بتاويله واميز صحيح القول من عليله انه يجوز رفع
الوصلين ونصبهما والمغايرة في اعراب بينهما وذلكم
بحسب اختلاف الاضمار والتقدير المحذوف في هذا المجال
قال فعرط من الجماعة افراط في مماراته وانخراط الى
مباراته فقال اما اذ دعوتم نزال وتلبستم للنضال
فما كلمة هي ان شئتم حرف محبوب او اسم لما فيه حرف
حلوب واي اسم يتردد بين فرد حازم وجمع ملازم واية
هاء اذا التحقت اماطت الثقل واطلقت المعتقل واين
تدخل السين فتعزل العامل من غير ان تجامله ما منصوب

ابدا على الظرف ولا يخفضه سوى حرف واى مضاف اخل من عرى
الاضافة بعروة واختلف حكمه بين مساء وغدوة وما العامل
الذى يتصل آخره باوله ويعمل معكوسه مثل عمله واى
عامل نائبه ارحب منه وكرا واعظم مكرا واكثر لله تعالى
ذكرا وفى اى المواطن تلبس الذكران براقع النسوان و
تبرز ربات الحجال بعمائم الرجال واين يجب حفظ المراتب
على المضروب والضارب وما اسم لا يفهم الا باستضافة
كلمتين او الاقتصار منه على حرفين وفى وضعه الاول التزام
وفى الثانى الزام وما وصف اذا اردف بالنون نقص صاحبه
فى العيون وقوم بالدون وخرج من الزبون وتعرض للهون
فهذه ثنتا عشرة مسألة وفق عددكم وزنة لددكم ولو
زدتم لزدنا ولئن عدتم عدنا قال المخبر بهذه الحكاية فورد
علينا من احاجيه اللاتى هالت لما انثالت ما حارت له الافكار

وحالت فلما اعجزنا العوم فى بحره واستسلمت نمائم سحره
عدلنا عن استنباط الروية الى استنزال الرواية عنه
ومن يعنى الترنم به الى ابتغاء التعلم منه فقال والذى
نزل النحو فى الكلام منزلة الملح فى الطعام وحجب
عن بصائر الطغام لا انلتكم مراما ولا اشفيت
لكم غراما او تخولنى كل يد ويختصنى كل منكم بيد فلم يبق
فى الجماعة الا من اذعن لحكمه ونبذ اليه خبيئة كمه
فلما حصلت تحت وكائه اضرم شعلة ذكائه فكشف
حينئذ عن اسرار الغازه وبدائع اعجازه ما جلا به صدأ
الاذهان وجلى مطلعه بنور البرهان قال الراوى فغمنا
حين فهمنا وعجبنا اذ اجبنا وندمنا على ما ند منا وا
حفظنا فى التنصل اليه عرضنا معارضنا الكاس عليه
واخذنا نعتذر اليه اعتذار الكيس ونعرض عليه ارتضاع الكاس

الكاس

فقال كلا ورب لا حقاقه وشرب لم يبق له عندي حلاوه

فأطلنا مراودته وواليناه معاودته ثم سمح بأنفه صلفا

وناء بجانبه أنفا وأنشد نهاني الشيب عما فيه أفراحي

فكيف أجمع بين الراح والراحي وهل يجوز اصطباحي من معتقة

وقد أنار مشيب الرأس إصباحي آليت لا خامرتني الخمر ما علقت

روحي بجسمي وألفاظي بإفصاحي ولا اكتست لي بكاسات المدام يد

ولا حللت قداحي بين أقداحي ولا صرفت إلى صرف مشعشعة

همي ولا رحت مرتاحا إلى راحي ولا أطعت على ميمولها أبدا مملي

ولا اخترت ندمانا سوى الصاحي من المنيب مراحي حين خط على

فودي فأبغض به من كاتب ماحي

ولاح يلحى على جري العنان إلى ملهى فسحقا له من لائح لاح

ولو لهوت وفودي شايب لخبت مصابيح من غسان مصباحي

قوم سجايانا لم توفر ضيفهم والشيب ضيف له التوقير يا صاح

ثم إنه انساب انسياب الأيم وأجفل إجفال الغيم فعلمت أنه

سراج سروج وبدر الأدب النبي بجناب البروج وكان

فصل إنا التحرق لبعده والتفرق من بعده

تفسير ما أودع هذه المقامة من النكت العربية ومن الأحاجي النحوية

لما صدر البيت من أخير من أغنية النبي هو ... وصلا

الذي به فوصل فإنه نظير قولهم الحي المرء مجزي بعمله

إن خيرا فخير وإن شرا فشر وهذه المسألة أوردها سيبويه

كتابه وجوز في إعرابها أربعة أوجه أحدها وهو أجودها

أن تنصب خير الأول وترفع الثاني وتنصب شر الأول

وترفع الثاني ويكون تقديره إن كان عمله خيرا فجزاؤه

خير وإن كان عمله شرا فجزاؤه شر فينتصب الأول على

أنه خبر كان ويرتفع الثاني على أنه خبر مبتدأ محذوف

وقد حذفت في هذا الوجه كان واسمها إلا أنه حرف الشرط

الذي هو جواز على تقديرهما وحذفت ايضا المبتدأ لدلالة
الفاء التي هي جواب الشرط عليه لانه كثيرا ما يقع
بعدها والوجه الثاني ان تنصبهما جميعا ويكون تقدير
الكلام ان كان عمله خيرا فهو يجزى خيرا وان كان
عمله شرا فهو يجزى شرا فينتصب الاول على انه خبر
كان وينتصب الثاني انتصاب المفعول به والوجه الثالث
ان ترفعهما جميعا ويكون تقدير الكلام ان كان في عمله خير
فجزاؤه خير فيرتفع خير الاول على انه فاعل كان ويجعل
كان المقدرة هيهنا هي التامة التي تاتي بمعنى حدث
ووقع فلا تحتاج الى خبر كقوله تعالى وان كان ذو عسرة
ويكون التقدير في المثال ان كان خير فجزاؤه خير اي
ان حدث خير فجزاؤه خير والوجه الرابع وهو اضعفها
ان ترفع الاول على ما تقدم شرحه في الوجه الثالث

وتنصب الثاني على ما بين ذكره في الوجه الثاني ويكون التقدير
ان كان في عمله خير فهو يجزى خيرا وعلى حسب هذا
التفسير والمقدرات المحذوفات فيه يجرى اعراب البيت
الذي عنى به وقد ما ينتظم في هذا السلك قولهم المرء مقتول
بما قتل به ان سيفا فسيف وان خنجرا فخنجر واما
الكلمة التي هي حرف محبوب او اسم لما فيه حرف حلوب
فهي نعم ان اردت بها تصديق الاخبار والعدة عن السؤال
فهي حرف وان عنيت بها الابل فهي اسم والنعم يذكر
ويؤنث ويطلق على الابل وعلى كل ماشية فيها ابل وفي
الابل الحرف هي الناقة الضامرة سميت حرفا تشبيها
لها بحرف السيف وقيل انها الضخمة تشبيها لها بحرف
الجبل واما الاسم المتفق بين فرد حازم وجمع ملازم
فهو سراويل قال بعضهم هو واحد وجمعه سراويلات

فعلى هذا القول هو مفرد وقد كنى عن ضمر الخصر بانه جازم
وقال آخرون هو جمع وواحده سرو والجمع شمالات
وشمائل فهو على هذا القول جمع ومعنى قوله ملازم اي
لا ينصرف وانما لم ينصرف هذا النوع من الجمع وهو كل جمع ثالثه
الف بعدها حرفان او حرفان وثلثه لثقله وتفرده
دون غيره من الجموع بان لا نظير له في الاسماء الآحاد وقد كنى
في هذه الاحجية عما لا ينصرف بالملازم واما الهاء التي
اذا الحقت احاطت الثقل واطلقت المعتقل فهي الهاء
اللاحقة بالجمع المقدم ذكره كقولك صيارفة وصياقلة
فينصرف هذا الجمع عند الحاق الهاء به لانها قد اصارته
الى مثال الآحاد نحو رفاهية وكراهية فخف بهذا السبب
وصرف لهذه العلة وقد كنى في هذه الاحجية عما لا ينصرف
بالمعتقل كما كنى في التي قبلها عما لا ينصرف بالملازم واما اللبن

التي تعزل العامل من غير ان تجامل فهي السين التي تدخل
على الفعل اذا دخلت على الفعل المستقبل وفصلت
بينه وبين ان التي كانت قبل دخولها من ادوات النصب
فترفع حينئذ الفعل وتنقل ان عن كونها الناصبة
للفعل الى ان تصير المخففة من الثقيلة وذلك كقوله تعالى
علم ان سيكون منكم مرضى وتقديره علم انه سيكون واما
المنصوب على الظرف الذي لا يخفضه سوى حرف
فهو عند ولا يجره غير من خاصة وقول العامة ذهبت
الى عنده فانه لحن واما المضاف الذي تخلى من عرى
الاضافة فبعوضة واختلف حكمه بين مساء وغدوة فهو
لدن ولدن من الاسماء الملازمة للاضافة وكل ما ياتي
بعدها مجرور بها الا غدوة فان العرب نصبتها بلدن
لكثرة استعمالهم لها في الكلام ونونتها ايضا ليتبين

بذلك انها منصوبة لانهما من نوع المجرورات التي انحصر

وعند بعض النحويين لدن لدى بمعنى عند والصحيح ان

بينهما فرقا لطيفا وهو ان عند يستعمل فيما كان على ما هو

في ملكك وتحت حكمك دنى منك او بعد عنك ولدى تختص

معناهما بما حضرك وقرب منك ولعل العامل الذي

يتصل الخبر باقي له وعملهما معكوس من عمل عمله فهو يا ومعكوسهما

اي وكلتاهما من حروف النداء وعملهما في اسم المنادى

سيان وان كانت يا اجول في الكلام واشهر في الاستعمال وقد

اختار بعضهم ان ينادى باي القريب فقط كالهمزة

واما العامل الذي نائبه اوجب منه ذكرا او اعظم ذكرا

واكثر الله تعالى ذكرا فهو باء القسم وهذه الباء هي اصل

حروف القسم بدلالة لينتها لها مع ظهور فعل القسم في

قولك اقسم بالله ولدخولها ايضا على المضمر كقولك بك

لافعلن ثم ابدلت الواو منها في القسم لانهما جميعا من حروف

الشفة ثم لتناسب معنيهما لان الواو تفيد الجمع والباء

تفيد الالصاق والمعنيان متقاربان ثم صارت الواو

المبدلة من الباء ادور في الكلام واعلق بالاقسام ولهذا

الخبر بانها اكثر لله تعالى ذكرا ثم ان الواو اكثر موطنا

من الباء لان الباء لا تدخل الا على الاسم ولا تعمل غير الجر

والواو تدخل على الاسم والفعل والحرف ونحو تارة بالقسم

وتارة باضمار رب وتنتظم ايضا مع نواصب الفعل

وادوات العطف فلهذا وصفها بوجيه الوكر وعظم

المكر واما الموطن الذي قد تلبس الذكران برافع التسولن

ونبر ذوات الحجال بعمائم الرجال فهو اول مراتب العدد

المضاف وذلك ما بين الثلاثة الى العشرة فانه يكون

مع المذكر بالهاء ومع المؤنث بحذفها كقوله تعالى سخرها عليهم

سبع ليال وثمانية ايام

والهاء في غير هذا الموطن من خصائص المؤنث كقولك قائم
وقائمة وعالم وعالمة فقد أثبت كيف انعكس في هذا
الموطن حكم المذكر والمؤنث حتى انقلب كل منهما في ضد
قالبه وبرز في بزة صاحبه وأما الموضع الذي يجب فيه
حفظ المراتب على المضروب والضارب فهو حيث تشتبه
الفاعل بالمفعول لتعذر ظهور علامة الإعراب فيهما أو في
أحدهما وذلك إذا كانا مقصورين مثل عيسى وموسى أو من
أسماء الإشارة نحو ذلك وهذا فيجب لإزالة اللبس إقرار
كل منهما في رتبته ليعرف الفاعل منهما بتقدمه والمفعول
بتأخره وأما الاسم الذي لا يفهم إلا باستضافة كلمتين
أو اقتصار منه على حرفين فهو مهما وفيها قولان أحدهما
أنها مركبة من مه التي بمعنى اكفف ومن ما والقول الثاني
وهو الصحيح أن أصلها ما فزيد عليها ما أخرى

كما تزاد على إن فصار لفظها ماما فاستثقل عليهم توالي كلمتين
بلفظ واحد فأبدلوا الألف الأولى هاء فصارتا مهما ومهما
من أدوات الشرط والجزاء ومتى لفظت بها لم يتم
الكلام ولا عقل المعنى إلا بإيراد كلمتين بعدها
كقولك مهما تفعل أفعل وتكون حينئذ ملتزمة
للفعل ولئن اقتصرت منها على حرفين وقلت مه التي بمعنى
اكفف فهم المعنى وكنت ملتزما مخاطبتها أن يكف
أما الوصف الذي إذا ردف بالهاء نقص صاحبه في
العيون وخرج من الزبون وتعرض للهون فهو ضيف
إذا ألحقته الهاء انتقل إلى ضيفن وهو الذي يتبع
الضيف وينزل في التقدم منزلة الرديف

المقامة الخامسة والعشرون وتعرف بالكرجية

حكى الحرث بن همام قال شتوت بالكرج لدين اقتضيه

وارب اقضيه فبلوت من شتائها الكالح وصرها النافح

ما عرفني جهد البلاء وعكفني على الاصطلاء

فلم اكن ازايل وجاري ولا مستوقد ناري الا لضرورة

ادفع اليها او اقامة جماعة احافظ عليها فاضطررت

في يوم جون من مهين الدجن الى ان برزت

من كناني لمهم عناني فاذا شيخ عاري الجلدة بادي

الجردة قد اعتم بريطة واستثفر بفويطة وحوله

جمع كثيف الحواشي وهو ينشد ولا يحاشي

يا قوم لا ينبئكم عن فقري اصدق من عريي اوان القر

فاعتبروا بما بدا من ضري وباطن حالي وخفي امري

وحاذروا انقلاب سلم الدهر فانني كنت رفيع القدر

اوي الى وفر وحد يفري تغيد صفري وتبيد حمري

وتشتكي قومي غداة اقري فجرد الدهر سيوف الغدر

وشن غارات الرزايا الغبر ولم يزل يشحتني ويبري

حتى عفت داري وغاض دري وبار شعري في الورى وشعري

وصرت نضو فاقة وعسر عاري المطا مجردا من قشري

كانني المغزل في التعري اردف لي الضر واصيري

عن النصح واصطلاء الجمر فهل حضيض دو درا عمري

يسترني بمطرف او طمر يطلب وجه الله لا الشكر

ثم قال يا ارباب الثراء الرافلين في الفراء من اوتي

خيرا فلينفق ومن استطاع ان يرفق فليرفق

فان الدنيا غرور والدهر عثور والمكنة زورة

طيف والفرصة مزنة صيف واني والله لطالما

تلقيت الشتاء بكافاته واعددت الاهب له قبل

موافاته وها انا اليوم يا سادتي ساعدي وسادتي

وجلّلني بُردي وحففتني جفنتي فليعتبر العاقل بحالي

وليبادر صرف الليالي فإن السعيد من اتعظ بسواه

واستعدّ لمسراه فقيل له قد جلوت علينا أدبك

فاجلُ لنا نسبك فقال تبًّا لمفتخرٍ بعظمٍ نخرٍ إنما الفخر

بالتقى والأدب المنتقى ثم أنشد

لعمرك ما الإنسان إلا ابن يومه ... على ما تجلّى يومه لا ابن أمسه

وما الفخر بالعظم الرميم وإنما ... فخار الذي يبغي الفخار بنفسه

ثم إنه جلس محقوقفا واخرنطم مقفقفا وقال

اللهم يا من عمّ نواله وأمر بسؤاله صلّ على محمد وآله

وأعنّي على البرد وأهواله وأتح لي حرًّا يؤثر من

خصاصة ويواسي ولو بخصاصة قال الراوي

فلما جلّى عن النفس العصامية والملح الأصمعية

جعلت ألاحظ عيني تعجمه وأرامي لحظي ترجمه حتى

شششت أنه أبو زيد وأن تعرّيه أحبولة لصيد ولمح

صوان عرفاني فما أدركه ولم يأمن لزن يهتكه فقال

أقسم بالسمر والقمر والزهر والزهر إنه لن يسترني

إلا من طاب خيمه واشرأبّ إلى المروءة أديمه فعقلت

ما عناه وإن خفي على القوم معناه وساءني ما يعانيه

من الرعدة واقشعرار الجلدة فعمدت لفروةٍ هي بمهاد

رياشي وفي الليل فراشي فنضوتها عني وقلت له اقبلها

مني فما كذّب أن ازدفها وعيّنني ثم أنشد

لله من ألبسني فروة ... أضحت من الرعدة لي جُنّة

ألبسنيها واقيا مهجتي ... وُقي شرّ الإنس والجِنّة

سيكتسي اليوم ثناءً وفي ... غدٍ سيكسى سندس الجنة

قال فلما فتن قلوب الجماعة بافتنانه في البراعة ألقوا

عليه من الفراء المغشاة والجباب الموشاة ما آده

ثقله ولم يكد يقله فانطلق مستبشرا بالفرج مشيعا
للكرج وتبعته الى حيث ارتفعت المغيبة وبدت السماء
نقيبة فقلت له لشد ما قرسك البرد فلا تسخر من بعد
فقال ويك لبئس من العدل سرعة العذل فلا تعجل بلوم
مظلوم ولا تقف ما ليس لك به علم فوالذي نور
الشيبة وطيب تربة طيبة لو لم أتعر لرحت بالخيبة
وصفر العيبة ثم اندرع الى الفرار وتدرع بالاعتذار
وقال اما تعلم ان شيمتي الانتقال من صيد الى
صيد والانعطاف من عمرو الى زيد واراك قد عقيتني
وعقفتني وافنيتني اضعاف ما افدتني فاعفني عافاك
الله من لغوك واسعدني بجدك ولهوك فحبذا
حبذا التلعابة وجعجعت به للدعابة وقلت له
والله لو لم اوارك اغط على عوارك لما وصلته الى صلة

ولا انقلبت بالكسى من صلة فجازني عن اعابتي اياك ونهي
لك وعليك بان تسمح لي ببرد الفروة او تعرفني كافات
الشتوة فنظر الي نظر المتعجب وازمهر ازمهرار المتغضب
ثم قال اما رد الفروة فابعد من رد امس الدابر والميت
الغابر واما كافات الشتوة فسبحان من طبع على
ذهنك واوهى وعاء خزنك حتى انسيت ما انشدتك
بالدسكرة لابن سكرة
جاء الشتاء وعندي من حوائجه سبع اذا القطر عن حاجاتنا حبسا
كن وكيس وكانون وكاس طلا بعد الكباب وكس ناعم وكسا
فلو علّلني جمال الثلج لم ترني اقول برح هذا البرد وآسا
ثم قال الجواب الشافي خير من جلباب يدفي فالتف به وعيشك
وانكفى ففارقته وقد ذهبت فروتي لشقوتي وحصلت
على الرعدة طول شتوتي

المقامة السادسة والعشرون وتعرف بالرقطاء

حدث الحرث بن همام قال حللت سوق الاهواز لابسا
حلة الاعواز فلبثت فيها مدة اكابد شظفا وازجي
اياما حسوفة الى ان رايت تمادي المقام من عوادي
الانتقام فرمقتها بعين القالي وفارقتها مفارقة
الطلل البالي وظعنت عن وشلها المكثر الازرار الضار
منها الى المياه الغزار حتى اذا سرت منها مرحلتين
وبعد سرى ليلتين تراءت لي خيمة مضروبة ونار
مشبوبة فقلت ايتهما لعلي انقع صدى او اجد على
النار هدى فلما انتهيت الى ظل الخيمة رايت غلمة
روقة وشارة مرموقة وشيخا عليه بزة سنية
ولديه فاكهة جنية فحييته ثم تحاميته فضحك

الي ولهن الوله علي وقال الا تجلس الى من تروق فاكهته
وتشوق مفاكهته فجلست اغتناما لمحاضرته لا اشتهاء
ما بحضرته فحين سفر عن اّدابه وكشر عن انيابه عرفت
انه ابو زيد بحسن ملحه وقبح قلحه فتعارفنا حينئذ
وحقت في خزانتي ما غنمته ولم ادر بايهما انا اصفى
فرحا او اوفى مرحا باسفاره عن دجنة اسفاره ام بخضب
رحاله بعد امحاله وتاقت نفسي الى ان افحص عن سره
وافطن لداعية بشره فقلت له من اين ايابك والى اين
انسيابك وبما امتلات عيابك فقال اما المقدم فمن
طوس واما المقصد فالى السوس واما الجدة التي اصبتها
فمن رسالة اقتضبتها فسالته ان يعيرني حلته ويرد
علي رسالته فقال دون مرامك حرب البسوس او تصحبني
الى السوس فصاحبته اليها قهرا وعكفت بها عليه شهرا

ومن يعلّلني بكاسات التعليل ويجريني أعنة التأميل حتى
إذا أحرج صدري وعيل صبري قلت له إنه لم يبق
لك علقة ولا لي تعلّة فمتى غداً أزجر غراب البين
وارحل عنك بخفي حنين فقال حاش لله أن
أخلفك أو أخالفك وما أرجأتك إلا لحدثٍ ثمَّ إلا ليشكك
وإذ قد استربت بعدتي وأغاظك السوء
مما عدتني فاصخ لقصص سيرتي الممتعة وأضفها إلى
أخبار الفرج بعد الشدة فقلت له هات فما أطول
طيلك وأهول حيلك فقال اعلم أن الدهر العبوس
ألقاني إلى طوس وأنا يومئذ فقير وفير الإقبال والفقير نقير
فألجاني صفر اليدين إلى التطوّق بالدين فادّنت لسوء
الاتفاق ممن سوء الأخلاق وتوهمت فيه النفاق
فتوسعت في الإنفاق فما أفقت حتى تخطى دين الزمني حقه

ولا رحمني مستحقه فرقي في أمري واطلعت غريمي على بابي
فلم يصدّق إملاقي ولا رعى إزاء إخفاقي بل جدّ في التقاضي
ولجّ في إقبالي إلى القاضي فلما حضضت أبا الكلام
واستنزلت منه رفق الكرام ورغبت في أن ينظرني لمياسرة
أو ينظرني إلى ميسرة قال لا أطمع في إنظار ولا إختار
النضار فحقق ما لي بمالك الخلاص أو تربي بيابك
الخلاص فلما رأيت اشتداد لدده وأن لا احتياص لي من يده
شاغبته ثم واثبته لترافعني إلى الجرائم إلى
الحاكم في المظالم لما كان بلغني من إفضال الوالي وصله
ونشده القاضي ونحله فلما حضرنا باب أمير طوس
أنشب لسان لا بأس ولا بوس فاستند عند دواة وبيضا
أنشأت البديهة بيتاً وطاوي الخلاق سيداً تجد
ويعفونه تلبث وغربة تحف ونائل تلف وخلّة تسد

ودو طبعه نصب وغربه ذلق وشيمه ماثلو وظلفه
زان وقويم نهجه بان وذهنه قلب وحرب ونعته شرف
وغرب سعر بيد فلت سبوق حبر فطن معرب
عزوف عيوف مخلف متلف اغر فريد نابه فاضل
ذكي انوف مغلق لمن ابان حجه طب اذا ناب
هباج وجل خطب مخوف مناظره شرفه نا تلف
وشوبوب حبابه يلف ونايل يديه فاض وشح
قلبه غاض وخلف سحابه بجنب وذهب عبابه بجرب
من لف لفه فلج وغلب وناجر بابه جلب وخلب
انف عن هضم بري وبكى من دنس عجيب وقرن لبانه بعز
ونكب عن مذهب لمن لبس بوثاب عنه بهزة شر بل بعف
عفة بر فلنا بحب ويستحق عفافه شعفا به فلبانه خلب
اخلاقه غر ترف وفوقه فوولاد انا صلته غلاب

سبح يماشي وذو تلاد ان هفا خل فلبس بحفيه بر ناب
لا باخل بل باذل حرف اذا بغته بزن لا يلبس ثياب
لمن عض ازل فل عرى وعضا ضب مثابه فاكثب منه ناب
وجدير بمن لب وفطن وقرب وشط ان اذعن لقريع
زمن وجابر زمن مد رضع ثدى لبانه حضن باحضنه لها
نه نعش وفرج وظافر فابهج ونافر فازعج وفاد
بحق ابلج انعب من سلبى وفرظ اذهن وبلى وتوجح
صفايه بحب عفاته وافشى
فلا خلا ذا بهجة بمنتظل حضب فانه برتمر انس ضو شهبه
زان من اباطرقه يلبس خرف ربه فلبس سيدنا
فمنه بمفاخر ناثلته وجلت وفوته بصنايع نمت
ونمت وبلائم فرحضه عونه بحظ من حظوته فانه
تليد ندب وشهيد جذب وحرج نوب ارشه وناظم

فلابد تسنم ذلك اذا جاش لخطبه فلا يوجد قايل ثم قرن
ثم بأن قال فان خير قلت خبر نمت وخلت بالمضافة فتمت
هذا اثر شربه برض وثوبه قرض وفلقه غسق و
جلبابه خلق وقد قلق لنوء غريم غاشم ضجيج
بحق لازم فان حن سيدنا بلغه بهبات كفه نوء نجح مجد
فاق وباء باجر فلي حز وناق الخلف سجايا خلقه ذي رفد
ميامن برقه يمن زيت ازلحت حجا ابيي قال فلما
استشف الامير لبها ولمح السر المودع فيها اوعز
في الحال بقضاء ديني وفصل ما بين خصمي وبيني ثم اخلصني
لمكاشرته واختصني باثرته فلبثت بضع سنين انعم في
ضيافته وارتع في ريف رافته حتى اذا اعترتني مواهبه
واطال ذيلي ذهبه تلطفت في الارتحال على ما ترى من
حسن الحال قال فقلت له فشكرا لمن اتاح لك

لقيا ان السمح الكريم وانقذك به من ضغطة الغريم فقال
الحمد لله على سعادة الجد والخلوص من الخصم الالد
ثم قال ايما احب اليك ان احذيك من العطاء ام اتحفك
بالرسالة الرقطاء فقلت املاء الرسالة احب الي
فقال وهو وحقك اخف علي فان نحلة ما يلج في
الاذن اهون من نحلة ما يخرج من الاردان ثم كانه
انف ولم يحب فجمع لي بين الرسالة والحذيا فغرفت
منه بسهمين وفصلت عنه بغنيمتين وابت الى وطني
قرير العين بما حزت من الرسالة والعين

المقامة السابعة والعشرون

حكى الحارث بن همام قال ملت في ريق زماني الى النهي غبرا الى
مجاورة اهل الوبر لآخذ اخذ نفوسهم الابية والسنتهم

ولابد تسمير نادى الحاشي لخطبة فلا يوجد فيها ثم قرن
ثم بابك فإن حبير قلت حبير لثمنت وخلت بالصفا فدمنت
هذا ثم شيء به برص وقوته قرض وقلقه غسق و
جلبابه خلق وقد فاق لنوع غريم غاشم وبتجنبه
يحق لأنه فإن حز سيد نابلغه بمبان كفه نوح نجد
فاق وبأبأ جمر فلى من وفاق أخلت سجايا خلقه نقد
شايم بوقه بمن رب أزلي حي أبدي قال فلما
استشف الأمير لبهاه ولمح السر المودع فيها أوعز
في الحال بقضاء دينه وفصل ما بين خصمه وبينه ثم استخلصه
لمكاشفته واختصه بأثرته فلبث بضع سنين أنعم في
ضيافته وأدرع في ريف رافته حتى إذا غرتني مواهبه
وأطالت ذيلي ذهبته تلطفت في الارتحال على ما ترى من
حسن الحال قال فقلت له فشكرا لمن أتاح لك

ليعلم أن الشيخ الكريم وأنقذك به من ضغطة الغريم فقال
الحمد لله على سعادة الجد والخلوص من الخصم الالد
ثم قال إنما أحب اليك أن أحدثك عن العطاء أم أحتفل
بالرسالة الرقطاء قلت إملاء الرسالة أحب إلي
فقال وهو وحقك أخف علي فإن نحلة ما يلج في
الأذن أهون من نحلة ما يخرج من الأردان ثم كأنه
أنف ولم ينبغي جمع لي بين الرسالة والحذيا فعرفني
منه بسمتين وفصلت عنه بغنمين وأبت إلى وطني
قرير العين بما حزت من الرسالة والعين

المقامة السابعة والعشرون

حكى الحارث بن همام قال ملت في ريق زماني التي غبر إلى
مجاورة أهل الوبر لآخذ أخذ نفوسهم الأبية والشيم

العربية فشمرت تشمير من لا يألو جهدًا وجعلت أضرب
في الارض غورًا ونجدًا الى ان اقتنيت هجمة من الراغين
وثلة من الثاغين ثم اويت الى عرب ذوي اقيال وابناء
اقوال فأوطأوني امنع جناب فلو اعني حد كل ناب
فما تأوبني عندهم هم ولا قرع صفاتي سهم الى ان اضللت
في ليلة ضيعة البدر لحجة غرية الدر فلم اطب نفسًا
بالغاء طلبها والقاء حبلها على غاربها فقدت فرسًا
محضارًا واعتقلت لدنًا خطارًا وسريت ليلتي
جمعاء اجوب البيداء واقتري كل شجراء ومرداء
الى ان نشر الصبح راياته وحيعل الداعي الى صلاته
فنزلت عن متن الركوبة لأداء المكتوبة ثم حللت في
صهوتها وفررت عن سحوتها وسرت لا ارى اثرًا الا
قفوته ولا نشزًا الا علوته ولا واديًا الا جزعته

ولا راكبًا الا استطلعته وجليت مع ذلك بنهب هدرًا
ولا اجد ورده صدرًا الى ان حانت صكة عمي وفحم هجير
يذهل غيلان عن مي وكان يومًا اطول من ظل القناة
واحر من دمع المقلاة فايقنت انى ان لم استكن من الوقدة
وابترد بالركدة ادنفني اللغوب وعلقتني شعوب
فعجت الى سرحة كثيفة الاغصان وريقة الافنان
لاغور تحتها الى المعتبران فوالله ما لبثت ريث نفسي ولا استرحت
فرسي حتى نظرت الى سانح في هيئة سائح وهو ينتجع
نجعتي ويبتغي بقعتي فكرهت انعياجه الى معاجي
واستعذت بالله من شر كل مفاجي ثم تجنبت ان
يصدني منشدًا او يبتدي مرشدًا فلما اقترب من سرحتي
وكاد يجلي فناجي الفتنة شيخنا السروجي متشحًا
بجرابه ومضطغنًا اهبة بجوابه فآنسني اذ ورد دانيًا

ما شرد ثم استوضحته عن أين أمه وكنه عجره وبجره فأنشد

فأنشد بديهها ولم يقل انها

قل لمستطلع دخيلة أمري كل عندي كرامة وعزازه

أنا ما بين جوب أرض فأرض وسرى في مفازة فمفازه

زادي الصيد والمطية نعلي وجهازي الجراب والعكازه

فإذا ما هبطت مصرا فبيتي غرفة الخان والنديم جرازه

ليس لي ما أساء إن فاتني لعمري وإن حاول الزمان ابتزازه

غير أني أبيت خلوا من الهم ونفسي عن الأسى منحازه

أرقد الليل ملء جفني وقلبي بارد من حرارة وحزازه

لا أبالي من أي كأس تفوقت ولا ما حلاوة من مزازه

لا ولا أستجيز أن أجعل الذل مجازا إلى منى لجازه

وإذا ما طلبت كسبا حلة العار فبعدا لمن يروم نجازه

ومتى اهتز للدنية نكس عاف طبعي طباعه واهتزازه

فالمنايا ولا الدنايا وخير من ركوب الخنا ركوب الجنازه

ثم رفع إلي طرفه وقال لأمر ما جدع قصير أنفه

فأخبرته خبر ناقتي البارحة وما عانيته من بوحي

والبارحة فقال دع الالتفات إلى ما فات ودع الطماح

إلى ما طاح ولا تأس على ما ذهب ولو أنه واد من ذهب

ولا تستمل من مال عن نحلك وأضرم نار نيار ويلك ولو كان

ابن بوحك أو شقيق روحك ثم قال هل لك في أن تقيل

وتتحامى الغلل والقيل فإن الأبدان أنضاء تعب و

الهاجرة ذات لهب ولن يصقل الخاطر وينشط الفاتر

كقائلة الهواجر خصوصا في شهر ناجر فقلت

ذاك إليك وما أريد أن أشق عليك فافترش الترب

واضطجع وأظهر أن قد هجع وارتفقت على أن لا أعزب

ولا أغيب فأخذتني السنة لما دنت الألسنة فلم أفق

الا و الليل قد تولج و النجم قد تبلج ولا السروجي ولا المروج
فبت بليلة نابغية واحزان يعقوبية اساور
الوجوم واساهر النجوم افكر تارة في رحلتي
واخرى في رجعتي الى ان وضح لي عند افترار ثغر
الضوء في وجه الجو راكب يخد في الدو فالمعت اليه
بثوبي ورجوت ان يعرج الى صوبي فلم يعبا بالماعي
ولا اوى للناعي بل سار على هينته واصماني بسهم
الكانيه فاوفضت اليه لاستردفه واحتمل تجرفه
فلما ادركته بعد الاين جلت فيه سرح العين ووجدت
ناقتي مطيته وضالتي لقطته فما كذبت ان اذرته
عن سنامها وجلست في طرف زمامها وقلت انا صاحبها
وحضنتها ولي رسلها ونسلها فلا تكن كاشعب فتتعب
وتشعب فاخذ يلدغ ويصي وينفخ واقتضي وبينما هو

ينزو ويلين ويستاسد ويستكين اذ غشينا ابو زيد
لابسا جلد النمر وهاجما هجوم السيل المنهمر فخفت
والله لئن يكون نبوه كابيه وبدره مثل شيمه فالخوف
بالفارطين واصبح خبرا بعد عين فلم ار الآن
اذكرته العهود المنسية والفعلة الامسية
وناشدته الله افاني اليوم للتلافي ام لما فيه اتلافي
فقال معاذ الله لن اجهز على حكلومي او اصلح حوري
بسمومي بل وافيتك لاخبر كنه حالك والوذ نبيا السالك
فسكن عند ذلك جاشي وانجاب استيحاشي واطلعته طلع
اللقحة وتبرقع صاحبي بالفحة فنظر اليه نظر
ليث العرينة الى الفريسة ثم اشرع قبله الرمح واقسم
له بمن انار الصبح لئن لم ينج منجا الذباب ويرض
من الغنيمة بالاياب ليوردن سنانه وريده وليفجعن به

وابله ووديه فنبذ زمام الناقة وخاص وأفلت وله
حصاص فقال لي أبو زيد ألمَّها وتسنّمها فإنها إحدى
الحسنيين وويل أهون من ويلين قال الحارث بن همام
فخرقت بين لوم أبي زيد وشكره وزنة نفعه بضره فكأنه نوجي
بذات صدري أو تكهّن ما خامر سري فقابلني بوجه طليق
وأنشد بلسان ذليق يا أخي الحامل ضيمي دون إخواني وقومي
إن يكن ساءك أمسي فلقد سرّك يومي فاغتفر ذاك لهذا
واطّرح شكري ولومي ثم قال أنا نبع وأنت ميع
فكيف نتفق ولكن نفري أديم الأرض ونركض طرفه
أيما ركض فما عدوت أن افتقدت مطيتي وعدت لطيتي
حتى وصلت إلى حلتي بعد اللتيا والتي

تفسير ما أودع هذه المقامة

من الألفاظ اللغوية والأمثال العربية قوله ريّق زماني
يعني أوله ورائقه قد يبدأ فيقال ريق وقوله
لحمة لحمة نفوسهم الحسيبة يعني أقربائي منهم يقال
منه لحمة لحمة ولحمة بكسر الهمزة وفتحها والحجة
نحو المائة من إبل والثلة القطيع من الغنم والراغية
الإبل والثاغية الشاء ومنه قولهم ما له راغية
ولا ثاغية أي لا ناقة ولا شاة وقوله أراد إقبال
لي تخلفهن الملوك إذا غابوا وقوله أبناء أقوال أي
فصحاء يقال للمنطيق إنه ابن أقوال وقوله فتذرّت
فرسا محضارا الذرّ الوثوب على ظهر الفرس والمحضار
والمحضير الشديد العدو وماخوذ من الحضر وقوله
إقتري كل شجراء ومرداء الاقتراء تتبع الأرض والشجراء
ذات الشجر والمرداء الخالية من النبات ومنه اشتقاق

الامر الحلو وجهه من الشعر وقوله حيعل الداعي الى
صلوته يعني به قول المؤذن حي على الصلوة حي على الفلاح
والمصدر منه الحيعلة ومثله من المصادر الهيللة و
الحمدلة والحوقلة والبسملة والحسبلة والسبحلة
والجعلفة فالهيللة حكاية قول لا اله الا الله والحمدلة
حكاية قول الحمد لله والحوقلة حكاية قول لا حول ولا قوة الا بالله
والبسملة حكاية قول بسم الله والحسبلة حكاية قول
حسبي الله والسبحلة حكاية قول سبحان الله و
الجعلفة حكاية قول جعلت فداك وقوله فنزلت
عن متن الركوبة يعني المركوبة يقال ناقة ركوب وركوبة وحلوب
وحلوبة وقد قرئ منها ركوبتهم وقوله والصهوة
مقعد الفارس والنحوة الخطوة والجزع قطع الوادي
عرضا وقوله صكة عمي يعني به قائم الظهيرة وقيل

اختلف في اصله فقيل كان عمي رجلا مغوارا فغزا قوما
عند قائم الظهيرة وصكهم صكة شديدة فصار مثلا
لكل من جاء في مثل ذلك الوقت وقيل المراد به الظبي لانه
يبدر في الهواجر فيصطك بما يستقبله كاصطكاك
الاعمى ثم صغر الاعمى تصغير الترخيم فقيل عمي كما
صغروا اسود وازهر فقالوا سويد وزهير وقوله
وكان يوما اطول من ظل القناة يوصف اليوم الطويل
بظل القناة كما يوصف اليوم القصير بابهام القطاة
وابهام الحبارى والعرب تزعم ان ظل الرمح اطول ظل
ومنه قول الشاعر شبرمة بن الطفيل
ويوم كظل الرمح قصر طوله دم الزق عنا واصطفاق المزاهر
وقوله آخر من دمع المقلات المقلاة هي التي لا يعيش
لها ولد فدمعها ابدا جار لحزنها به لانه يقال ان دمعة

الحزن حارة ودمعة السرور باردة ولهذا قيل للمدعو له
اقر الله عينه ماخوذ من القرة والقر وهما البرد وقيل
للمدعو عليه اسخن الله عينه ماخوذ من السخنة وهي
الحرارة وقيل ان اقرار العين ماخوذ من القرار فكانه
دعا له ان يرزق ما يقر عينه حتى لا تطمح الى مال غيره
وقيل معنى اقر الله عينه اي اقنعه بما رزقه حتى تقر
عينه فلا تطمح الى مال غيره وكانت الجاهلية تزعم ان المقلاة
اذا وطئت على قتيل نبيه عاش لها والى هذا اشار
بشر بن ابي حازم في قوله تظل مقاليت النساء يطانه
يقلن الا يلقى على المرء مئزر وقوله علقتني شعوب
شعوب من اسماء المنية ولا يدخل هذا الاسم اداة التعريف
مثل دجلة وعرفة وقوله اغور نحوهما الى المغرب ان
التغوير النزول للقايلة كما ان التعريس النزول آخر

شريف

الليل للتهويم او الاستراحة والمغرب ان تصغير
المغرب وكان قياس تصغيره المغيرب الا ان العرب الحقت
لغة الفا ونونا على طريق الشذوذ وقوله
مضطبنا اهبة نجوابه الاضطبان ان تحمل الشيء تحت
حضنه والاضطبان ان تجعله تحت ضبنه والضبن
ما بين الابط والكشح وكلاهما متقاربان واول مراتب
الحمل الابط ثم يليها الضبن وهو اسفل الابط ثم الحضن
وهو عند الجنب والنجاب مصدر نجاب وجميع المصادر
التي جاءت على تفعال بفتح التاء الا قولهم تبيان
وتلقاء لا غير وزاد بعضهم تنضال وقوله تجري
وتجري برد جميع لعرى الباطن والظاهر واصل العجر العقد
الناتية في العصب والبجر الناتية في البطن وقوله
ولم يقل انها اي لم يامرني بالكف يقال للمنية اذابه

والاحتقان

ولم ينكف إليها وقوله لأمرٍ ما جدع قصيرٌ أنفه هذا مولى
جذيمة الأبرش وكان جدع أنفه بيده حين قتلت الزباء
مولاه ثم أتاها وأوهمها أن عمرو بن عدي ابن أخت جذيمة
هو الذي جدع أنفه إيهامًا لها بأنه غشّ خالَه جذيمة
إذ أشار عليه بقصدها فحظي قصير عندها بهذا القول
حتى جهّزته مرارًا إلى العراق فكان يأتيها بالطرف منه
إلى أن استصحب في آخر نوبة الرجال في الصناديق وتوصّل
إلى قتلها وأخذ بثأر مولاه منها وقصتها مشهورة وقوله
ولو كان ابن موحل يعني ولد الصلب أشار إلى أنه ولد
في باحة الدار وهي عرصتها وجمعها بوح وقيل إن البوح
من أسماء الذكر وقوله في شهري ناجر هما شهرا الحر وقيل
إنهما حزيران وتموز وأنكر أبو بكر بن دريد هذا القول وقال
هما طلوع نجمين وقوله بنت بلبلة بالغيبة أومأ به إلى

قول النابغة فبتّ كأني ساورتني ضئيلة من الرقش
في أنيابها السم ناقع وقوله ألمع إليه بثوبي يعني
أشار يقال لمع وألمع بمعنى وقوله يلدغ ويصي هذا
مثل يضرب لمن يظلم ويشكو يقال صاء العقرب تصيء
صئيئًا وصئيًّا بفتح الصاد وكسرها إذا صوّتت وكذلك
الفرخ وما أحسن قول ابن الرومي في هذا المعنى فتلك المجبر
وتشكو وهي ظالمة كالقوس تصمي الرمايا وهي مرنان وقوله
بتر ودبلين هذا المثل يضرب لمن يتعزز ثم يذل ويقال
إن أصله الحبلى تنزو وهو صغير فإذا كبر لان وقوله
لا أبا جلدة النمر هذا المثل يضرب للمتع الجامح إن النمر
آخر السباع وأقلها احتمالًا للضيم ومن هذا اشتقاق
قولهم تنمّر لي فلان تخلّق بخلق النمر وقوله فالحق بالقارظين أصل في
القارظ أنه الذي يجتني القرظ وهو النبات الذي يدبغ به والقارظان

المشار اليهما احدهما من عنزة والاخر من النمر بن قاسط وكانا
خرجا يجتنيان القرظ فلم يرجعا ولا عرف لهما خبر فضرب
بهما المثل لكل غايب لا يرجى ايابه واليهما اشار ابو
ذويب في قوله وحتى يؤوب القارظان كلاهما
وينشر في القتلى كليب لوايل وقوله حروري سمومي
الحرور الريح الحارة ليلا والسموم الريح الحارة نهارا
وقد يقام احديهما مقام الاخرى مجازا وقال بعضهم
الحرور يكون ليلا ونهارا والسموم يختص بالنهار وقوله
لبث العريسة يعني ماوى السبع يقال فيه عريس وعريسة
باثبات الهاء وحذفها كما يقال غاب وغابة وعرين
وعرينة واما الغيل والخيس فلم يلحقوا بهما الهاء وقوله
افلت وله حصاص هذا المثل يضرب لمن نجى من هلكة
اشفى عليها بعد ان كان يهوى فيها والحصاص العدو

وقيل انه الضراط فكانه لروعته يعدو ويضرط وقوله
ذبل اهون من بيض وهذا المثل يضرب في لينة لمن ناله
بعض المكروه ومثله قولهم وبعض الشر اهون من بعض
وقوله انا تئق وانت مئق فكيف نتفق هذا المثل
يضرب للمتنافيين في الخلق فان التئق هو الممتلي غيظا
ماخوذ من قولهم اتأقت الاناء اذا ملاته والمئق هو الباكي
فكان التئق يتسرع الى الشر لغيظه والمئق يضيق ذرعا
باحتماله ومثله قول بعضهم انا كليف وانت صلف فكيف
ناتلف وقوله لطيتي يعني لقصدي ووجهتي وقد يقال
فيها طية بالتخفيف وقوله بعد اللتيا والتي اللتيا
تصغير التي وهو على غير قياس التصغير المطرد لان القياس
ان يضم اول الاسم اذا صغر وقد اقر هذا الاسم حين
صغر على فتحته الاصلية عند تصغيره الا ان العرب عوضته

عن ضمّه ادلّه بان زادت الفا في آخره وألحقت اسماء الاشارات عند تصغيرها على حكمه فقالت في تصغير الذي والتي اللذيّا واللتيّا وفي تصغير ذا وذاك ذيّا وذيّاك وقد اختلف في معنى قولهم بعد اللتيّا والتي فقيل هما من اسماء الداهية وقيل المراد بهما بعد صغير المكروه وكبيره

المقامة الثامنة والعشرون

اخبر الحارث بن همّام قال استنضيت في بعض اسفاري العنس وقصدت سمرقند وكنت يومئذ قويم الشطاط جموم النشاط ارمي عن قوس المراح الى غرض الافراح واستعين بماء الشباب على ملامح السراب فوافيتها بكرة عروبة بعد ان كابدت الصعوبة فسعيت وما ونيت الى ان حصّلت البيت فلمّا نقلت اليه قدمي

ومَلكتُ قُوَلَ عندي عجلت الى الحمّام على الاثر فاماطت عنّي وعثاء السفر واخذت في غسل الجمعة بالاثر ثم بادرت في هيئة الخاشع الى المسجد الجامع لكي يقرب من الامام ويقرب افضل الانعام فخطيت بان جلّيت في الحلبة وتخيّرت المركز لاستماع الخطبة ولم يزل الناس يدخلون في دين الله افواجا ويردون فرادى وازواجا حتى اذا اكتظّ الجامع بجمعه واظلّ تناهي الشخص وظلّه برز الخطيب في اهبته متهاديا خلف عصبته فارتقى في منبر الدعوة الى ان مثل بالذروة فسلّم مشيرا باليمين ثم جلس حتى ختم نظم التاذين ثم قام وقال الحمد لله الممدوح الاسماء المحمود الآلاء الواسع العطاء المدعوّ لحسم اللأواء مالك الامم ومصوّر الرمم واهل السماح

والكرم ومهلك عاد وارم ادرك كل سر علمه ووسع
كل مصر حلمه وعم كل عالم طوله وهد كل مارد حوله
احمده حمد موحد مسلم وادعوه دعاء مؤمل مسلم
وهو الله لا اله الا هو الواحد الاحد العادل الصمد لا ولد
له ولا والد ولا رادء معه ولا مساعد ارسل محمدا
للاسلام ممهدا وللملة موطدا ولادلة الرسل مؤكدا
وللاسود والاحمر مسددا وصل الارحام وعلم الا
حكام ووسم الحلال والحرام ورسم الاحلال والاحرام
كرم الله محله وكمل الصلوة والسلام له ورحم آله
الكرماء واهله الرحماء ما همر ركام وهدر حمام وسرح
سوام وسطا حام اعملوا رحمكم الله عمل الصلحاء
واكدحوا لمعادكم كدح الاصحاء واردعوا اهواءكم
ردع الاعداء واعدوا الرحلة اعداد السعداء

وادرعوا حلل الورع وداووا علل الطمع وسووا
اود العمل وعاصوا وساوس الامل وصوروا لا
وهامكم حؤول الاحوال وحلول الاهوال ومساورة
الاعلال ومصارمة المال والآل واذكروا الحمام و
سكرة مصرعه والرمس وهول مطلعه واللحد ووحدة
مودعه والملك وروعة سؤاله ومطلعه والمحوا الدهر
ولؤم كره وسوء محاله ومكره كم طمس معلما وامر
مطعما وطحطح عرمرما ودمر ملكا مكرما همه سد
المسامع وسح المدامع وكد المطامع وارداء المسمع
والسامع عم حكمه الملوك والرعاع والمسود و
المطاع والمحسود والحساد والاساود والاساد
ما حول الامال وعكس الامال ولا وصل الا وصال
الوصال ولا سر الا وساء ولؤم واساء ولا اصح الا

وهموم الحمام وهدوء الحواس وحر الرمس إن أهالها
حسرة المهاة مؤكدة وأمدها سرمد ومراسها مكمد
ما لأهله حارس ولا لسدمه راحم ولا له مما عراه عاصم
ألهمكم الله أحمد الإلهام وردكم رد الإكرام وأحلكم
دار السلام وأسأل الرحمة لكم ولأهل ملة الإسلام
وهو أسمح الكرماء والمكرم والسلام. قال الحارث بن
همام فلما رأيت الخطبة نخبة بلا سقط وعروسا بغير نقط
دعاني الإعجاب بنمطها العجيب إلى استجلاء وجه الخطيب
فأخذت أتوسمه جدا وأقلب الطرف فيه مجدا إلى
أن وضح لي بصدق العلامات أنه شيخنا أبو زيد ذو
المقامات ولم يكن بد من الصمت في ذلك الوقت فأمسكت
حتى تحلل من النفل والفرض وحل الانتشار في الأرض
ثم واجهته بلقائه وابتدرت لقائه فلما لحظني خف

والداء الدواء وردع الأدواء الله الله رعاكم الله إلى م
مداومة اللهو ومواصلة السهو وطول الإصرار
وحمل الآصار واطراح كلام الحكماء ومعاصاة إله
السماء أما الهرم حصادكم والمدر مهادكم أما الحمام
مدرككم والصراط مسلككم أما الساعة موعدكم
والساهرة موردكم أما أهوال الطامة لكم مرصدة أما
دار العصاة الحطمة الموصدة حارسهم مالك وروادهم
حالك وطعامهم السموم وهواؤهم السموم لا مال
أسعدهم ولا ولد ولا عدد حماهم ولا عدد ألا رحم
الله امرأ ملك هواه وأم مسالك هداه وأحكم طاعة
مولاه وكدح لروح مأواه وعمل ما دام العمر مطاوعا
والدهر موادعا والصحة كاملة والسلامة حاصلة
وإلا دهمه عدم المرام وحصر الكلام وإلمام الآلام

في القيام ولغني في الإكرام ثم استصحبني الى داره
وأوى عني حضا بصر اسراره وحين انتشر جناح
الظلام وحان ميقات المنام احضر اباريق المدام
مغلوقة بالفدام فقلت اتحسوها امام النوم وانت
امام القوم فقال مه انا بالنهار خطيب وبالليل
اطيب فقلت والله ما ادري أأعجب من تقلبك عن اناسك
ومسقط راسك ام من خطابتك مع ادناسك ومدار كا
سك فاشاح بوجهه عني ثم قال اسمع مني لا تبك
الفاً نأى ولا دارا ودر مع الدهر كيف ما دارا
واتخذ الناس كلهم سكناً ومثل الارض كلها دارا
واصبر على خلق من تعاشره وداره فاللبيب من دارى
ولا تضع فرصة السرور فما تدري أيوماً تعيش ام دارا
واعلم بان المنون جائلة وقد ادارت على الورى دارا

واقسمت لا ازال قانصة ما كر عصر المحيا وما دارا
فكيف ترجى النجاة من شرك لم ينج منه كسرى ولا دارا
قال فلما اعتورتنا الكؤوس وطربت النفوس جرعني
اليمين الغموس على ان احفظ عليه الناموس فاتبعت
مراده ورعيت ذمامه ونزلته بين الملأ منزلة الفضيل
وسدلت الذيل على مخازي الليل ولم يزل ذلك دأبه ود
أبي الى ان هبا ايابي فودعته وهو مصر على التدليس ومسر حسو الخندريس

المقامة التاسعة والعشرون

حكى الحارث بن همام قال الجأني حكم دهر قاسط الى ان انتجع
ارض واسط فقصدتها وانا لا اعرف بها سكنا ولا
املك فيها مسكنا ولما حللتها حلول الحوت بالبيداء والشعرة
البيضاء في اللمة السوداء قادني الحظ الناقص والجد

الناكص الى الخان ينزله شذاذ الآفاق واخلاط الرفاق
وهو لنظافة مكانه وظرافة سكانه يرغب الغريب
في اوطانه ويسليه عن اوطانه فاستغرفت منه
حجرة ولم انافس في الاجرة فما كان الا كلمح طرف او خط
حرف حتى سمعت جاري بيت بيت يقول لنزيله في البيت
قم يا بني لا قعد جدك ولا قام ضدك واستصحب
ذا الوجه البدري واللون الدري والاصل النقي
والجسم الشقي قبض ونشر وسجن وشهر وسفع ووطئ
وادخل النار بعدما لطم ثم اركض الى السوق
ركض المشوق فقايض به اللاقح الملقح المفيد المصلح
المكمد المفرح المعني المروح ذا الزبابير المحرق
والجبين المشرق واللفظ الممتنع والنيل الممتنع الذي
اذا طرق وعدا وبرق وباح بالحرق ونفث في الحرق

قال فلما فرغ من شقشقة الهادر ولم يبق الاصدار
الصادر برز فتى يميس وما معه انيس فرايتها عضلة
تلعب بالعقول وتغري بالدخول في الفضول فاطلقت
في اثر الغلام راحتي فحوى الكلام فلم يزل يسعى سعي
العفاريت ويتفقد نضايد الحوانيت حتى انتهى عند
الرواح الى حجارة القداح فناول بائعها رغيفا
وتناول منه حجرا لطيفا فعجبت من فطانة المرسل
والمرسل وعلمت انها سر وجيبه وان لم اسال وما
كذبت ان بادرت الى الخان مطلق العنان لانظر كنه
منهي وكل فرطس الكهن سهمي فاذا انا بالفراسة فارس
وبابوزيد بوصيد الخان مطلق العنان جالس فنهضنا
حيا بشرى الا لقاء وتقارضنا تحية الاحمد ثم قال
ما الذي نابك حتى زايلت جنابك فقلت دهر ماض وجور

فاض فقال والذي أنزل المطر من الغمام وأخرج الثمر
من الأكمام لقد فسد الزمان وعم العدوان وعدم
المعوان والله المستعان فكيف أفلت وعلى أي وصفيك
انفلت فقلت اتخذت الليل قميصا وأدلجت فيه
خميصا فاطرق يتنكب في الأرض ويفكر في أنباء القرض
والغرض ثم اهتز هزة من اكتنبه قبض أو بدئ بمرض
وقال علق بقلبي لن تصاهر من يأسو جراحك ويرب
جنابك فقلت وكيف الجمع بين غل وقل ومن الذي
يرغب في صلد ابن صلد فقال أنا المشير بك والكفيل و
الوكيل لك وعليك مع أن ذيل القوم جبير الكسير
وفك الأسير واحترام العشير واستنصاح المشير
أنهم لو خطب إليهم إبراهيم بن أدهم أو جبلة بن الأيهم
لما زوجوه إلا على خمس مائة درهم اقتداء بما مهر الرسول صل

زوجاته وعقد به أنكحة بناته على أنك لن تطالب بصداق
ولا تلجأ إلى طلاق ثم إني ساخطب في موقف عقدك
ومجمع حشدك خطبة لم تفتق رتق سمع ولا خطب
بمثلها في جمع قال الحرث بن همام فأذكاني بوصف
الخطبة المنتقاة دون الخطبة المجلوة حتى قلت له
قد وكلت إليك هذا الخطب فدبره تدبير من طب
لمن حب فنهض من حينه ولأم على تمهله وقال أبشر
بإعتاب الدهر وانقلاب الدر فقد وليت العقد و
الحل لذلك القصد وكان قد تم لغد في مواعدة أهل الخان
وأعداد حلواء الخوان فلما مد الليل أطنابه وأغلق
كل ذي باب بابه أذن في الجماعة ألا احضروا في هذه
الساعة فلم يبق فيهم الأعزل لبى صوته وحض بيته
فلما اصطفوا لديه واجتمع الشاهد والمشهود عليه

جعلت يرفع الاصطرلاب ويضعه ويلحظ النجوم ويتبعه

الى ان تعرّى القوم وغشي النوم فقلت يا هذا اضع الفاس

في الراس وخلص الناس من المعاس فنظر نظرة في النجوم ثم

نشط من عقد الوجوم واقسم بالطور والكتاب المسطور

لينكشفنّ سرّ هذا الامر المستور ولينتشرنّ ذكره الى يوم

النشور ثم انه جثا على ركبتيه واستوعى الاسماع لخطبته

وقال الحمد لله الملك المحمود المالك الودود مصوّر

كل مولود ومآل كل مطرود ساطح المهاد وموطّد الاطواد

ومرسل الامطار ومسهّل الاوطار وعالم الاسرار ومدركها

ومدمّر الاملاك ومهلكها ومكوّر الدهور ومكرّرها ومورد

الامور ومصدرها عمّ سماحه وكمل وهطل ركامه و

همل وطاوع السؤل والامل واوسع المرمل والارمل

احمده حمدا ممدودا مداه واوحّده كما وحّده الاوّاه

وهو الله لا اله للامم سواه ولا صادع لما عدله وسوّاه

ارسل محمدا علما للاسلام واماما للحكام ومسدّدا

للرعاع ومعطّلا احكام ودّ وسواع اعلم وعلّم وحكم

واحكم واصّل الاصول ومهّد واكّد الوعود واوعد

واصل الله له الاكرام واودع روحه دار السلام ورحم آله

واهله الكرام ما لمع آل وملع رأل وطلع هلال وسمع

اهلال اعملوا رعاكم الله اصلح الاعمال واسلكوا مسالك

الحلال واطّرحوا الحرام ودعوه واسمعوا امر الله وعوه

وصلوا الارحام وراعوها وعاصوا الاهواء واردعوها

وصاهروا اهل الصلاح والورع وصارموا رهط

اللهو والطمع ومصاهركم اطهر الاحرار مولدا واو

اسراهم سؤددا واحلاهم موردا واصحّهم موعدا

وها هو امّكم وحلّ حرمكم مملّكا عروسكم المكرّمة

وما هي الا كما هوت الرسول ام سلمة ونمو الكرم صهر اودع
الاولاد وملك فاما اراد وما سمها مملكه ولاوهم والاوكس نفقة
ما لا جنة ولاوهم اسال الله لكم لعماده وصلاحه ودوام
اسعاده والهمكم كلا اصلاح حاله واعداد لمعاده
وله الحمد السرمد والمدح لرسوله محمد صلى الله عليه وآله فلما
فرغ من خطبة البديعة النظام العرية من الاعجام
عقد العقد على الخمس المائتين وقال كل بالرفاه والبنين
ثم نهض للحلواء التي كان اعدها وابدى الابدة عندها
فاقبلت اقبال الجماعة عليها وكدت اهوي بيدي اليها
فزجرني عن المواكلة وانهضني للمناولة فوالله ما
كان باسرع من تصافح الاجفان حتى خر القوم للاذقان
فلما رايتهم كاعجاز نخل خاوية او صرعى بنت خابية
علمت انها الصدى الكبر وام العبر فقلت له يا عدو

نفسه وعبيد فلسه اعددت للقوم حلواء ام بلوى
فقال لم اعد خبيص النخ في صحاف الخلنج فقلت اقسم
بمن اطلعها زهرا وهدى بها السارين طرا العذيب
شبابكم او ابعثت لكم في المحزبات ذكرا ثم حيث
فلم يزل صبور الام وخيفة من عدوى غرة حتى طارت
نفسي شعاعا وارعدت فرايصي ارتياعا فلما راى
استطارة فرقي واستشاطة قلقي قال ما هذا القلق
المرمض والروع المومض فان يكن فكرك في تعللي من الحلي
فانا الاذل ربع واظلع واحمى من البقعة تمنى واقفر
فابت الى فهم وقلت الدف ابيا وكم مثلها فارقتها وهي تصفر
وان يكن نظرا لنفسك وحذرا من حبسك فتناول
فضالة الخبيص وطب نفسا عن القميص حتى يامن
المستعدي والمعدي ويتمهد لك المقام بعدي والا فالمغرم

المفرّ قبل أن تشجب وتُجرح ثم عمد إلى استخراج ما في البيوت
من الأثاث والظروف وجعل يتخلّص خالص الصُفر كلّ محزون
وتخيّر كلّ مذروع وموزون حتى غادر ما ألقاه نخبة لكظم
ليستخرج مخّه فلما همّ بالاصطفاه وزرم وشمّر
عن ذراعه للإدلاج وتحزّم أقبل على إقبال من ليس
الصفاقة وخلع الصداقة وقال هل لك في المصاحبة
إلى البطيحة لأصلك بأخي صالحة فأقسمت له بالذي
جعله مباركاً أينما كان ولم يجعله ممن خان فخان
إنه لا قِبَل لي بنكاح حُرّتين ومعاشرة ضرّتين ثم
قلت له قول المتطبّع بطباعه الكائل له بصاعه
كفتني الأولى فخراً أو ذخراً فاطلب أخرى للأخرى فتبسّم
من كلامي وذلك لذا مرامي فلويت عنه عِذاري وأبديت
له ازوراري فلما بصر بانقباضي وتجلّى له إعراضي أنشد

يا ضارباً في غمرة الموماة والزمان له صروف
ومعنّفي في فضح ما أن جاوزت تعنيف العسوف
لا تلحني فيما أتيت فإنني بهم عروف
ولقد نزلت بهم فلم أرهم يراعون الضيوف
وبلوتهم فوجدتهم لما سبكتهم زيوف
ما فيهم إلا مخيف إن تمكّن أو مخوف
لا بالصفيّ ولا الوفيّ ولا الحفيّ ولا العطوف
فوثبت فيهم وثبة الذيب الضري على الخروف
وتركتهم صرعى كأنهم سقوا كأس الحتوف
وتحكّمت فيما اقتنوه يدي وهم رغم الأنوف
ثم انثنيت بمغنم حلو المجاني والقطوف
ولطالما خلّفت مكلوم الحشى خلفي يطوف
ولو أن أرباب الأرائك والدرانك والسجوف

وكم بلغت بحيلتي ما ليس يبلغ بالسيوف
وكم وقفت في هول تراع الأسد فيه من الوقوف
وكم سفكت وكم فتكت وكم هتكت حمى أنوف
وكم ارتكضت حوبتي في الذنوب وكم خفوف
لكنني أعددت حسن الظن بالمولى الرؤوف

قال فلما انتهى إلى هذا البيت لج في الاستعبار وألظ
في الاستغفار حتى استمال هوى قلبي المنحرف ورجوت له
ما يرجى للمقترف المعترف ثم إنه غيض دمعة المنهل
وتأبط جرابه واستهل وقال لابنه لتغنم الباقي والله الواقي
قال المخبر بهذه الحكاية فلما رأيت انسياب الحية والحبية
وانتهاء الداء إلى الكية علمت أن لبثي بعدهما بالخان
مجلبة للهوان فضممت رحلي وجمعت للرحلة ذيلي
وبت ليلتي أسري إلى الطيب احتسب الله على الخطيب

المقامة الثلثون

الحارث بن همام قال ارتحلت من مدينة المنصور إلى بلدة
صور فلما حصلت بها ذا دافعة وخفض وملك رفع
وخفض تقت إلى مصر توقان السقيم إلى الأساة والكريم
إلى المواساة فرفضت علائق الاستقامة ونفضت
عوائق الإقامة واعروريت ظهر ابن النعامة وأجفلت
نحوها إجفال النعامة فلما دخلتها بعد معاناة الأين
ومعاناة الحين كلفت بها كلف النشوان بالاصطباح
والحيران بتنفس الصباح فبينما أنا يوما أجول بها
أطوف وتحتي فرس قطوف إذ رأيت على جرد الخيل
عصبة كمصابيح الليل فسألت لابتغاء النزهة عن
العصبة والوجهة فقيل أما القوم فشهود وأما

المقصد فاذا ذلك حشوهم فحدتني بعثة النشاط على
ان سرت مع السُّرّاط لافوز بحلاوة اللقاط ولاحوز
حلواء السماط فافضينا بعد مكابدة العناء الى دار
رفيعة البناء وسيعة الفناء تشهد لبانيها بالثراء
والسناء فلما نزلنا عن صهوات الخيول وقدمنا الاقدام
للدخول ابتدر لنا مجللا باطمار مخرقة ومكللا
بمخارق معلقة وهناك شخص على مطبقة فوق دكة
لطيفة فرابني عنوان الصحيفة ورابني هذه البدعة
الطريفة ودعاني لتطلع تلك المناحس الى ان عرفت
لذلك الجالس فعزمت عليه بمصرف لا فلد ليعرفني من
رب هذه الدار فقال ما لها مالك معين ولا صاحب
مبين انما هي حضطبة المقيفين والمدروزين ووليجة
المتقشفين والمحلوزين فقلت في نفسي انا لله على ضلة

المسعى واخال المرعى وهممت في الحال بالرجعى لكنني
استهجنت العود من فوري والقهقرى دون غيري
فولجت الدار متجرعا الغصص كما يلج العصفور القفص
فاذا فيها ارائك منقوشة وطنافس مفروشة ونمارق
مصفوفة وسجوف مرصوفة وقد اقبل المملك يميس
في بردية ويتبهنس بين حفدتيه فحين جلس كانه
ابن ماء السماء نادى مناد من قبل الفناء وحرمة ساسان
استاذ الاستاذين وقدوة الشحاذين لا عقد هذا
العقد المبجل في هذا اليوم الاغر المحجل الا الذي
جال وجاب في الكدية وشاب فاعجب رهط الصبية
ما اشار اليه الولي لعضاد المنصوص عليه فبرز حينئذ
شيخ قد اهلكه الملوان فاحنته وثنية الغيبان ثخانة
فتباشرت الجماعة باقباله وتبادرت الى استقباله

فلما جلس على زربيته وسكنت الضوضاء لهيبته
إذ دلف إلى جنبه ومسح سبلته بيده ثم قال
الحمد لله المبتدي بالإفضال المبتدع للنوال المتقرب
إليه بالسؤال المؤمل لتحقيق الآمال الذي شرع الزكوة
في الأموال وزجر عن نهر السؤال وندب إلى مواساة
المضطر وأمر بإطعام القانع والمعتر ووصف عباده
المقربين في كتابه المبين فقال وهو أصدق القائلين
والذين في أموالهم حق معلوم للسائل والمحروم
أحمده على ما رزق من طعمة هنيئة وأعوذ به من
استماع دعوة بلا نية وأشهد أن لا إله إلا الله
وحده لا شريك له إلها يجازي المتصدقين والمتصدقات
ويمحق الربوا ويربي الصدقات وأشهد أن محمدا عبده
الرحيم ورسوله الكريم ابتعثه لينسخ الظلمة بالضياء

وينتصف للفقراء من الأغنياء فرفق صلوات الله عليه
بالمساكين وخفض جناحه للمستكينين وفرض الحقوق
في أموال المثرين وبين ما يجب للمقلين على المكثرين
صلى الله عليه صلوة تحظيه بالزلفة وعلى أصفيائه
أهل الصفة أما بعد فإن الله تعالى شرع النكاح
لتعففوا وسن التناسل لكي تتضاعفوا فقال سبحانه
لتعرفوا يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم
شعوبا وقبائل لتعارفوا الآية وهذا أبو الدراج
ولاج بن خراج ذو الوجه الوقاح والإفك الصراح
والهرير والصياح والإبرام والإلحاح يخطب سليطة
أهله وشريطة بعله قنبس بنت أبي العنبس لما بلغه
من التحافها بإلحافها وإسرافها في إسفافها وانكماشها
على معاشها وانتعاشها عند هراشها وقد بذل لها

من الصداق شلاقا وعكازا وصفاعا وكرازا فانكحوا

نكاح مثله وصلوا حبلكم ان يكثر فى المصاطب نسلكم

ويحرس من المعاطب شملكم فلما فرغ الشيخ من خطبته و

ابرم للختن عقد خطبته تساقط من النثار ما استغرق

حد الاكثار واغرى الشحيح بالايثار ثم نهض الشيخ

يسحب ذلاذله ويقدم اراذله قال الحرث بن همام

فتبعته لانظر عجيبة القوم واكمل بهجة اليوم فعاج

بهم الى سماط قد تنوقت طهاته وتناصفت فى الحسن جهاته

فجثا كل شخص فى ربضته وطفق يرتع فى روضته

انسللت من الصف وفررت من الزحف فحانت من الشيخ

لفتة الى ونظرة بجح بها طرفه على فقال الى اين

يا بارد هلا عاشرت معاشر من فيه كرم فقلت والذى

خلقها طباقا وطبقها اشراقا لا ذقت لماقا ولا الفت

رفاقا او تخبرنى ما مدب صباك ومن اين مهب صباك

فتنفس الصعداء مرارا وارسل البكاء مدرارا حتى

اذا استنزف الدمع استنصت الجمع وقال اسمع

مسقط الراس سروج ... وبها كنت اروج

بلدة الخير فيها ... كل مطلوب يروج

وردها من سلسبيل ... وصحاريها مروج

وبنوها ومغانيهم ... نجوم وبروج

حبذا نفحة رباها ... ومرآها البهيج

واذا ابصر رباها ... حين تجاب الثلوج

عن زاها قال من شبه ... جنة الدنيا سروج

ولمن ينزاح عنها ... زفرات ونشيج

مثل ما لاقيت مذ ... زحزحنى عنها العلوج

عبرة تهمى وشجو ... كلما قر يهيج

وهموم كل يوم ... خطبها خطب مريج

ومياح فى الترجى ... فاصطبارى الخطوع

ليت يومى حم لما ... حم لى منها الخروج

قال فلما بين بلده وعرف ما الذى

ابغضته اليه علمنا انه ابو زيد وان كان الهرم قد اوقعه

بغيظه فبادرت الى مصافحته واغتنمت مواكلته ومصاحبته
وظللت مدة مقامي بمصر اعشو الى شواظه
واحشو صدفتي من درر الفاظه الى ان نعب بيننا
غراب البين ففارقته مفارقة الجفن للعين

المقامة الحادية والثلثون

حدث الحرث بن همام قال كنت في عنفوان الشباب
وريعان العيش اللباب آلف الاكنان بالغاب وأموي
المنداة من الغراب لعلمي ان السفر ينتج السفر
وينتج الظفر ومحاضرة الوطن تعفر الفطن وتخفر
من قطن فاجلت قداح الاستشارة واقتدحت
زناد الاستخارة ثم تجشمت جاشا انبت عن
الجارة واصعدت الى ساحل الشام للتجارة

فلما خيمت بالرملة والقيت بها عصا الرحلة صادفت بها
ركابا تعد للسرى ورحالا تشد الى ام القرى
فعصفت بي ريح الغرام واهاج الي شوق الى البيت
الحرام فزممت ناقتي ونبذت علقي وعلاقتي وقلت
للائمي اقصر فاني سأختار المقام على المغاني
وانفق ما جمعت بارض جمع واسلو بالحطيم عن الحطام
ثم انتظمت مع رفقة كنجوم الليل لهم في السير جرية
السيل الى الخير جمى الخيل فلم نزل بين ادلاج
وتأويب وايجاف وتقريب الى ان حبسنا ايدي المطايا
بالجحفة في ابطائنا الى الجحفة فحللنا كأهبين
للاحرام متأهبين لادراك المرام فلم يكن الا ان انخنا
الركائب وحططنا الحقائب حتى طلع من بين الهضاب
شخص ضاحي الاهاب وهو ينادي يا اهل ذا النادي هلم

إلى ما يجي يوم التنادي فانخرط إليه الحجيج وانصلتوا
ولحقوا به وانصتوا فلما رأى تألبهم حوله وابتغاءهم
قوله قسم الهدى بركامه ثم تنحنح مستفتحاً الكلام
وقال يا معشر الحجاج الناسلين من الفجاج أتعقلون
ما تواجهون وإلى من توجّهون أم تدرون على من تقدمون
وعلى مَ تقدمون أتخالون أن الحج هو اختيار
الرواحل وقطع المراحل واتخاذ المحامل واقتفاء
الزوامل أم تظنون أن النسك هو نضو الأردان وإنضاء
الأبدان ومفارقة الولدان والتنائي عن البلدان
كلا والله بل هو اجتناب الخطيئة قبل اجتلاب
المطية وإخلاص النية في قصد تلك البنية وإمحاض
الطاعة عند وجدان الاستطاعة وإصلاح المعاملات
أمام إعمال اليعملات فوالذي شرع المناسك للناسك

وأرشد السالك في الليل الحالك ما يغني الاغتسال
بالذَّنوب عن انغماس في الذنوب ولا يعدل التعرية للإحرام
بتعبية الأجرام ولا تغني لبسة الإحرام عن المتلبس
بالحرام ولا ينفع الاضطباع بالإزار مع الاضطلاع
بالأوزار ولا يجدي التقرب بالحلق مع التقلب في ظلم
الخلق ولا يرجح التنسك بالتقصير دون التمسك
بالتقصير ولا يستعد بعرفة غير أهل المعرفة ولا
يزكو بالخيف من يرغب في الحيف ولا يشهد المقام إلا
من استقام ولا يحظى بقبول الحجة من زاغ عن المحجة
فرحم الله امرأ صفا قبل مسعاه إلى الصفا وورد
شريعة الرضى قبل شروعه على الأضا ونزع
عن تلبيسه قبل نزع ملبوسه وفاض بمعروفه قبل
الإفاضة من تعريفه ثم رفع عقيرته بصوت

أسمع الصم وكاد يزعزع الجبال الشم وأنشد

ما الحج سيرك تأويباً وإدلاجا ... ولا اغتباطك أخفافاً وأحداجا

الحج أن تقصد البيت الحرام على ... تجريدك الحج لا تقضي به حاجا

وتمتطي كاهل الإنصاف متخذاً ... ردع الهوى هادياً والحق منهاجا

ولن تواسي بما أوتيت مقدرةً ... من مد كفاً إلى الجدوى أو احتاجا

فهذه إن حوتها حجة كملت ... ولن خلا الحج منها كان إخداجا

حسب المرائين غبناً أنهم غرسوا ... وما جنوا ولقوا الكد وإزعاجا

وإنهم حرموا الأجر ومحمدةً ... والجواعر ضمهم من غار أو لاجا

أخي فابغ بما تبديه من قُرَب ... وجه المهيمن إنجاحاً وإخراجا

فليس يخفى على الرحمن خافيةٌ ... إن أخلص العبد حاجات أو إدلاجا

وبادر الموت يحيى تقدمها ... فما ينهنه داعي الموت إن ولجا

واقن التواضع خلقاً إن أبله ... عن البالي ولو ألبسك التاجا

ولا تشمخ بكل خلاق لاح بارقه ... وإن تراءى هتون السكب ثجاجا

ما كل داع بآمل أن يصاخ له ... كم قد أصم تبعّي بعض من ناجا

وما اللبيب سوى من بات معتضداً ... بلغة تدرج الأيام إدراجا

ونكل كثراً إلى قل مغبته ... وكل باز إلى لين ولن ناجا

قال الراوي فلما أفعم الإفهام بسحر الكلام لبيت وجثيت
رغب أبي زيد ونادى الدرباح أبي زيد فمكثت
حتى لبيت عيب نث حكمته وأخذ رمز الكمية ثم دلفت
إليه لأصفح صفحات محياه وأستشف جوهر
حلاه فإذا هو الضالة التي أنشدها وناظم القلائد
التي أنشدها فعانقته معانقة اللام للألف ونزلته
منزلة البرء عند الدنف وسألته أن يلازمني
فأبى أبو زيد فأبقنا وقال البر في حجتي هذه ألا
العتقب ولا اعتقبت ولا اكتسب ولا انتسب ولا ارتبق
ولا أنا في ثم ذهب يهرول وغادرني أولول فلم أزل

أقرّبه نظري وأُديل بمشيتي على ناظري حتى توقّلت

لعقد لا طراد ووقفت للحجيج بالمرصاد حين شاهد

إبضاع الركبان في الكتان ووقع البنان على البنان واندفع

ليس من زار راكبًا مثل ساعٍ على القدم لا ولا الحاكم المطاع كعاصي الحكم

كيف يا قوم يستوي سعي بانٍ ومن هدم سيقيم المفرطون غدًا مأتم الندم

ويقول النبي تعرّب طوبى لمن قدّم ويك يا نفس قدّمي صالحًا عند ذي الكرم

وازدري زخرف الحياة فوجدانه عدم وادّكري مصرع الحِمام إذ الخطب مصطدم

واذكري نهلك القبيح وتحمي له بندم وابدئي توبة قبل أن يعلق الأدم

فعسى الله أن يقيك السعير التي احتدم يوم لا عثرة تقال ولا ينفع الندم

ثم إنه أغمد عضب لسانه وانطلق لشانه فما زلت كالـ

مُرود روده وتعرّفني تسديده أتفقده فأفتقده

واستنجد من ينشده فلا يجده حتى خلت أن الجن اختطفته

أو الأرض اقتطعته فما كابدت في الغربة كهذه الكربة ولا

مثبت في سفرة بمثلها من زرقه حكاية أبي زيد

المقامة الثانية والثلاثون

قال أجمعت حين قضيت مناسك الحج وأقمت وظائف

العج والثج أن أقصد طيبة مع رفقة من بني شيبة

لأزور قبر المصطفى وأخرج من قبيل من حج وجفا

فأرجف بأن المسالك شاغرة وعرب الحرمين متشاجرة

فحرت بين إشفاق يثبّطني وأشواق تنشّطني إلى أن ألقي

في روعي الاستسلام وتغليب زيارة قبره عليه السلام

فاعتمت العقدة وأعددت العدة وسرت والرفقة

لا نلوي على عرجة ولا نثني في تأويب ولا دلجة حتى وافينا

بني حرب وقد آبوا من حرب فأزمعنا أن نقضي ثمّ اليوم

في حلة القوم وبينا نحن نتخير المناخ ونرود الورد

المناخ النفاخ إذ رأينا أبناءهم يركضون كأنهم إلى نصب
يوفضون فرأينا انثيالهم وسألنا ما بالهم فقيل قد
حضر ناديهم فقيه العرب فاعتراهم لهذا السبب
فقلت لرفيقي ألا نشهد مجمع الحي لنتبين الرشد
من الغي فقالوا لقد أسمعت إذ دعوت ونصحت
وما ألوت ثم نهضنا نبغي الهادي ونؤم النادي
حتى إذا أطللنا عليه استشرفنا الفقيه المنهود
ألفيت الفقيه أبا زيد ذا الشغر والبقر والفواقر
وقد اعتم القفداء واشتمل الصماء وقعد
القرفصاء وأعيان الحي به محتفون وأخلاطهم عليه
ملتفون وهو يقول سلوني عن المعضلات
واستوضحوا مني المشكلات فوالذي فطر السماء
وعلم آدم الأسماء إني لفقيه العرب العرباء وأعلم

من تحت الجرباء فصمد له فتى فتيق اللسان جريء الجنان
وقال إني حاضرت فقهاء الدنيا حتى انتخلت منهم قفيا
فإن كنت ممن يرغب عن بنات غير ويرغب في منبر
فاستمع ولتجب لتقابل بما يجب فقال له الله أكبر
سيبين المخبر وينكشف المضمر فاصدع بما تؤمر قال
ما تقول فيمن توضأ ثم لمس ظهر نعله النعل الزوجة
قال انتقض وضوؤه بفعله قال فإن توضأ ثم اتكأه
البرد قال يجدد الوضوء من بعد البرد النوم قال
أيجوز الوضوء مما يقذفه الثعبان قال قد ندب إليه
ولم يوجب عليه إتيان الأذنان قال أيستباح ماء
الضرير قال نعم ويجتنب ماء البصير الضرير جوف
الوادي والبصير الكلب قال أيحل الطوف في الربع
قال نكره ذلك للحدث الشنيع الطوف الغائط

وقال أيجوز [illegible] الرادي في الليل البهيم [illegible]
أيقنت فقال

والربيعُ النهرُ الصغيرُ قال أيجبُ الغُسلُ على مَن أمنى قال
لا ولو ثنّى أمنى نزّل المنيّ يقال منه مَنى وأمنى وامتنى
قال فهل يجب على الجنب غسلُ فروته قال أجل وغسلُ ابنته
الفروةُ جلدةُ الرأس والابنةُ عظمُ المرفق قال فإن
أهمل غسلَ فأسه قال هو كما لو أغفل غسلَ رأسه الفأسُ
العظمُ المشرفُ على نقرة القفا قال ما تقول فيمن تيمّم
ثم رأى روضًا قال بطل تيمّمُه فليتوضّأ الروضُ هنا
جمعُ روضة وهي الصبابةُ التي تبقى في الحوض قال
أيجوز أن يسجد الرجلُ على العذرة قال نعم وليجانب
القذرةَ العذرةُ فناءُ الدار قال فهل له السجودُ
على الخلاف قال لا ولا على أحد أطراف الخلاف الكُمّ
قال فإن سجد على شماله قال لا بأس بفعاله الشمالُ جمعُ
شملة قال فهل يجوز السجودُ على الكراع قال نعم

دون الذراع الكراعُ ما انبسط من الحرّة قال أيصلّي
على رأس الكلب قال نعم كسائر الهضب رأسُ الكلب
ثنيّةٌ معروفة قال ما تقول فيمن صلّى وعانتُه بارزة
قال صلاتُه جائزة العانةُ الجماعةُ من حُمُر الوحش قال فإن
صلّى وعليه صوم قال يعيد ولو صلّى مائة يوم الصوم
ذرقُ النعامة قال فإن حمل جروًا وصلّى
قال هو كما لو حمل باقلّى الجروُ الصغارُ من القثّاء والرمّان
قال أيصحّ صلاةُ حامل القروة قال لا ولو صلّى فوق
المروة القروةُ ميلغةُ الكلب قال فإن قطر على ثوب
المصلّي نجوٌ قال يمضي في صلاته ولا غرو والنجوُ السحابُ
الذي قد هراق ماءه قال أيجوز أن يؤمّ الرجالَ مقنّع
قال نعم ومدرّع المقنّعُ لابسُ المغفر والمدرّعُ لابسُ
الدرع قال فإن أمّهم من في يده وقف قال يعيدون ولو

أيتمّ ألف الوقف بسواد من العاج أو الذبل وأراد به أنه
لا يجوز للرجال الائتمام بالنساء قال فإن أمّهم من فخذه
بادية قال صلوته وصلوتهم ماضية الفخذ العشيرة
والبادية يسكنون البدو وبلغنا عن بعض أهل اللغة تكبير
الخاء من هذه الفخذ ليحصل الفرق بينها وبين الفخذ من
الأعضاء قال فإن أمّهم الثور الأجم قال صلوا خلفه
الأجم الثور السيد والأجم الذي لا رمح معه قال
أيدخل القصر في صلوة الشاهد قال لا والغائب الشاهد
صلوة الشاهد صلوة المغرب سميت بذلك لأن انتهاءها عند
طلوع النجم الذي النجم يسمى الشاهد قال أيجوز للمجذور أن
يفطر في شهر رمضان قال ما رخّص فيه إلا للصبيان المجذور
المجنون وهو أيضا المعذر قال فهل للمعرّس أن يأكل فيه
قال نعم مثله فيها المعرّس المسافر الذي ينزل من آخر الليل

ليتسحّر ثم يتخلّل قال فإن أفطر فيه العماة قال لا أنكر
عليهم الولاة العراة الذين يأخذهم العرواء وهي الحمى
برعدة قال فإن أكل الصائم بعدما أصبح قال يسوّغ
له وأصلح أصبح أي ليستصبح بالمصباح قال فإن عمد
لأن أكل ليلا قال فليستمر للقضاء ذيلا الليل وله الجاري
ويقال وله أكره أن قال فإن أكل قبل أن تغيب البيضاء
قال يلزمه القضاء والبيضاء من أسماء الشمس قال فإن
استشار الصائم الكبد قال أفطر ومن أحل الصيد الكبد
الغني وهو استشارة لي ليتبيّن غاه قال فهل يفطر بالجلح الطائح
قال نعم لا بطائح المطائح الطائح الحمى الصالب قال فإن
ضحكت المرأة في صومها قال بطل صومها والضحك ههنا
الحيضة ومنه قوله تعالى فضحكت فبشرناها بإسحق
قال فإن أظهر الجدري على ضرتها قال فلتفطر إن آذى

منضرتها القصرة اصل الابهام واصل الثنتي ايضا قال
فما يجب في جناية مصباح قال حقتان يا صاح المصباح الناقة
التي تصبح في المبرك قال فان ملك عشر خناجر قال يخرج
شاتين ولا يشاجر الخناجر النوق الغزار الواحدة خنجر
وخنجور قال فان سمح للساعي بجمة قال يا بشرى له يوم
يناجيه الساعي جابي الصدقة والجمة خيار المال قال
أيلحق حملة الاوزار من الزكوة جزء قال نعم اذا كانوا
غزاة الاوزار السلاح وغزاة جمع غاز قال ايجوز
للحاج أن يعتم قال لا ولا أن يختمر الاعتمار لبس العمارة
بفتح العين وهي العمامة والاختمار لبس الخمار قال فهل له
ان يقتل الشجاع قال نعم كما يقتل السباع الشجاع
الحية قال فان قتل زمارة في الحرم قال عليه بدنة
من النعم الزمارة النعامة واسم صوتها الزمار قال

فان رمى ساق حر فجدله قال يخرج شاة بدله ساق
حر ذكر القماري قال فان قتل ام عوف بعد الاحرام قال
يتصدق بقبضة من الطعام ام عوف الجرادة قال ايجب
على الحاج استصحاب القارب قال نعم ليسقوهم الى
المشارب الحاج اسم للجمع والواحد القارب طالب الماء
بالليل قال ما تقول في الحرام بعد السبت قال قد حل في ذلك
الوقت الحرام المحرم والسبت حلق الرأس وحل من
تحليل الحج قال ما تقول في بيع الكميت قال حرام كبيع الميت
الكميت الخمر قال ايجوز بيع الخل بلحم الجمل قال لا ولا بلحم الجمل
الخل ابن المخاض ولا يحل بيع اللحم بالحيوان سواء كان من
جنسه او من غير جنسه قال ايحل بيع الهدية قال لا ولا
بيع السبية الهدية بالتشديد ما يهدى الى الكعبة
والسبية الخمر ويقال ايضا منه هدية بتسكين الدال

وبتخفيف الباء. قال: ما تقول في بيع العقيقة؟ قال: محظور
على الحقيقة. ما تذبح عن المولود في اليوم السابع من ولادته
قال: أيجوز بيع الداعي على الراعي؟ قال: لا، ولا على الراعي
الداعي بقية اللبن في الضرع، والساعي جابي الصدقات
وقد مضى تفسيره. قال: أيباع الصقر بالتمر؟ قال: لا، وما لك
الحلو ولا مر. الصقر الدبس. قال: أيحل أن تنهى المسلم سلب
الملمات؟ قال: نعم، ويورث عنه إذا مات. السلب لحاء
الشجر، وهو أيضا خوص الثمام. قال: فهل يجوز أن يباع
الشافع؟ قال: ما يجوز من دافع. الشافع الشاة التي
معها سخلها. قال: أيباع الإبريق على بني الأصفر؟ قال: بلى،
كبيع المغفر. الإبريق السيف الصقيل الكثير الماء، وبنو
الأصفر الروم. قال: أيجوز أن يبيع الرجل صفيه؟ قال: لا
ولا لكن ليبع صفيته. الصفية الولد على الكبر والصغر

الناقة الغزيرة الدر. قال: فإن اشترى عبدا فبان بأمه
جراح؟ قال: ما يفرد. جناح الأم مجمع الدماغ. قال:
أتثبت الشفعة للشريك في بيع الصحراء؟ قال: لا، ولا
للشريك في الصغراء. الصحراء الأتان التي يمازج بياضها
غبرة. قال: أيحل أن يحمي ماء البير الخلاء؟ قال: إن كان
في الغلاء فلا يحمي ليمنع ذا الخلاء الكلأ. قال: ما تقول في جبنة
الكافر؟ قال: حل للمقيم والمسافر. الكافر البحر، وجبنته
السمك الطافي فوق مائه. قال: أيجوز أن نضحي بالحول؟ قال:
هو أجدر بالقبول. الحول جمع حائل، وهي الناقة التي
لم تحمل. قال: فهل يضحى بالطالق؟ قال: نعم، ويجزي منها الطالق
الطالق الناقة ترسل ترعى حيث شاءت. قال: فإن ضحى
قبل ظهور الغزالة؟ قال: فلحم شاة بلا محالة. الغزالة
الشمس. وقال بعضهم يقال طلعت الغزالة، ولا يقال غربت

قال أيحل للكسب بالطرق قال هو كالغماد بلا فرق الطرق
الضرب بالحصا وهو من افعال الكهنة قال أيسلّم القائم
على القاعد قال محظور على آباء القاعد التي تقعد
عن الحيض او عن الازواج قال اينام الخائف تحت الرقيع
قال احبب به في البقيع الرقيع السماء البقيع بقيع المدينة
قال أيمنع الذمي من قبل العجوز قال مباح ضمه في العجوز
لا يجوز العجوز الخمر وقتلها مزجها قال أيجوز ان يشغل الرجل
عن عمارة ابيه قال ما يحق للجاهل ولا لنبيه العمارة القبيلة
قال ما تقول في التهود قال مفتاح التزهد التهود التوبة
منه قوله انا هدنا اليك قال ما تقول في صبر البلية قال
اعظم به من خطيئة الصبر الحبس والبلية الناقة التي
تحبس عند قبر صاحبها فلا تسقى ولا تعلف الى ان تموت
وكانت الجاهلية تزعم ان صاحبها يحشر عليها قال

ايحل ضرب السفير قال نعم والحمل على المستقبر السفير
ما تساقط من ورق الشجر والمستقبر الجمل التمير وهو
ايضا الجمل الذي يعرف اللاقح من الحائل قال ايعزر
الرجل اباه قال يفعله البر ولا يأباه التعزير التعظيم
والنصر والتوقير قال ما تقول فيمن افقر اخاه قال
حبذا ما يتوخاه الافقار اعارة ناقة يركب فقارها قال
فان اعرى ولده قال يا حسن ما اعتمده اعراه اعطاه
ثمرة نخلة عاما قال فان اصلى مملوكه النار قال لا اثم
عليه ولا عار المملوك العجين الذي قد اجيد عجنه حتى
فتي قال أيجوز للمرأة ان تصرم بعلها قال ما حظر الحد
وبعلها البعل النخل التي تشرب بعروقه من الارض
قال فهل تتوجب المرأة على الحجل قال اجل الحجل
مشوه لحمها الغنى قال فما تقول فيمن نحت اثلة اخيه

قال اثم ولو اذن له فيه تحت اثلمة اذا اغتابه وقدح
في عرضه قال ايحجر الحاكم على صاحب الثور قال نعم ليامن
غايلة الجد الثور المجنون قال فهل له ان يضرب على يد
اليتيم قال نعم الى ان يستقيم يقال ضرب على يده اذا
حجر عليه قال فهل يجوز ان يتخذ له ربضا قال لا ولو
كان له رضى الربض الزوجة قال فمتى يبيع بدن
السفيه قال حين يكون له الحظ فيه البدن الدرع القصيرة
قال فهل يجوز ان يبتاع له حشا قال نعم اذا لم يكن مغشى
الحش النخل المجتمع قال ايجوز ان يكون الحاكم ظالما قال
نعم اذا كان عالما الظالم الذي يشرب اللبن قبل ان
يروب ويخرج زبده قال ايستقضي من ليست له بصيرة
قال نعم اذا حسنت منه البصيرة البصيرة ههنا
الترس قال فان تعامى من العقل قال ذاك عنوان الفضل

قال فان كان له نخل جبار قال لا انكار له والاجبار الزهو
البسر الملون والجبار النخل الذي فات اليد طولا و
ضده القاعد قال ايجوز ان يكون الشاهد مريبا قال نعم
اذا كان اديبا والمريب الذي يكثر عنده اللبن الرائب
قال فلو بان انه لاط قال هو كالمحتاط لاط الحوض اذا
طينه قال فان غمز عليه انه غربل قال ترد شهادته ولا تقبل
غربل اي قتل قال فان وضح انه مائن قال هو وصف لمن زان
المائن الذي يعول ويكفي المؤونة من مان يمون قال فما يجب على
عابد الحق قال يحلف بالله الخالق العابد ههنا الجاحد و
الحق ههنا الدين قال ما تقول فيمن فقأ عين بلبل عامدا
قال تفقأ عينه قولا واحدا البلبل الرجل الخفيف قال
فان جرح قطاة امراة فماتت قال النفس بالنفس اذا فاتت
القطاة ما بين الوركين قال فان القى الحامل حبشا من ضربه

قال ليكفر بالاعتاق عن ذنبه الحبشي الجنين الملقى ميتا
قال ما يجب على المختفي في الشرع قال القطع لاقامة الردع
المختفي نابش القبور قال فما يصنع بمن سرق اساود الدار
قال يقطع اذ ساوى ربع دينار الاساود الادوات المنيعة
كالاجانة والقدر والجفنة قال فان سرق ثمينا من ذهب
قال لا قطع كما لو غصب الثمين الثمن كما يقال في النصف
نصيف وفي السدس سديس قال فان بان على المرأة السرق
قال لا حرج عليها ولا فرق السرق الحرير الابيض قال
أيعقد نكاح من لم تشهده القواري قال لا والخالق الباري
القواري الشهود لانهم يقرون الاشياء اي يتبعونها
قال ما تقول في عروس بانت بليلة حرة ثم ردت على حافرتها
بسحرة قال يجب لها نصف الصداق ولا يلزمها عدة الطلاق
يقال بانت العروس بليلة حرة اذا امتنعت على زوجها فان

افتضها قيل بانت بليلة شيباء والرد في الحافرة بمعنى
الرجوع في الطريق الاول وكنى به عن طلاقها وردها الى اهلها
فقال له السائل لله درك من بحر لا يغضغض ما المانح و
حبر لا يبلغ مدحه المادح ثم اطرق اطراق الحيي وارتم
ارتمام العيي فقال له ابو زيد بدا منى فالى متى والى متى فقال
انه لم تبق في كنانتي مرماة ولا بعد اشراق صبحك مماراة فبالله
اي ابن ارض انت فما احسن ما اثنيت فانشد بلسان ذلق وصوت
انا في العالم مثله ولا لاهل العلم قبله غير اني كل يوم بين تغويس
والغربة لدا ازلي حل بطرني لم تطلبه ثم قال اللهم كما جعلتنا
ممن هدى وهدي فاجعلنا ممن يهدي ويهدى فساق
الى القوم ذودا مع قينة وسالوه ان يزور منهم القينة لعل القينة
تنهض بمنتهم العقد ويزجي لامة والذود قال الحرث بن
همام فاغتر صنته وقلت له عمدي بك سفيها فمتى صرت

منبهًا فطفق يجول ثم أنشأ يقول

لبستُ لكلّ زمانٍ لبوسا ... ولابستُ صرفيه نعمى وبوسا

وعاشرتُ كلَّ جليسٍ بما ... يلائمه لأروقَ الجليسا

فعند الرواة أديرُ الكلام ... وبين السقاة أديرُ الكؤوسا

وطورًا بوعظي أسيلُ الدموع ... وطورًا بلهوي أسرُّ النفوسا

وأقوي المسامعَ إمّا نطقتُ ... بيانًا يقودُ الحرونَ الشموسا

وإن شئتُ أرعفتُ كفَّ اليراع ... فساقطَ درًّا يحلّي الطروسا

وكم مشكلٍ حكّ لبسًا خفاه ... فصرتُ بكشفي شموسا

وكم مُلَحٍ لي خلبنَ العقول ... وأشأرنَ في كلّ قلبٍ رسيسا

وعذراءَ أهديتُ بها فانثنى ... عليها الشآ طليقًا حبيسا

على أنني من زماني خُصصتُ ... بكيدٍ ولا كيدَ فرعونَ موسى

يسعّرُ لي كلَّ يومٍ وغًى ... أطامنُ لظاها وطيسا

ويطرقني بالخطوب التي ... تدينُ الغوى وتشيبُ الرؤوسا

ويدني إليَّ البعيدَ البغيض ... ويبعدُ عني القريبَ الأنيسا

ولولا اختصاصي بهمّته أخلافه ... لما كان حظّي منه خسيسا

فقلتُ له خفّض الأحزانَ ولا تلمِ الزمانَ واشكرْ لمن نفّلك عن مذهب إبليس إلى مذهب إدريس فقال دعِ العنادَ ولا تهتكِ الإسنادَ وامضِ بنا إلى مسجد يثرب فعسى أن نرحضَ بالمزار درنَ الأوزار فقلتُ هيهات أن أسير أو أفقه النقير فقال تالله لقد أعجبتَ دمًا وطلبتَ إذ طلبتَ أمًا نهاك ما ينفي النفس ويبقي اللبس فلما أوضح لي المعمّى وكشف عن الغبي شددنا الأكوار وسرنا وسار ولم أزل في مسامرته مدةَ مسايرته فيما أبانني طعمَ المنفذ ولهدتُ معه بعدَ الشقة حتى إذا دخلنا مدينةَ الرسول وفزنا بالزيارة بالسول أسلمَ وأعرقتُ وغرّبَ وشرّقتُ

المقامة الثالثة والثلاثون

أخبر الحرث بن همام قال عاهدت الله مذ يفعت ألا

أؤخر الصلوة ما استطعت فكنت مع جوب الفلوات

ولهو الخلوات أراعي أوقات الصلوات وأحاذر من مأثم

الفوات وإذا رافقت في رحلة أو حللت بمصر أو حلة

هجرت بصوت الداعي إليها وصليت خلف من يحافظ

عليها فاتفق حين حللت تفليس أن صليت مع مفاليس

فلما قضينا الصلوة وأزمعنا الانفلات برز شيخ بادي

اللقوة بالي الكسوة والقوة فقال عزمت على من خلق

من طينة الحرية وارتضع لبان العصبية ونشأ في

حجر الحمية إلا ما تكلف لي لبثة واستمع مني نفثة

ثم له الخيار من بعد وبيده البذل والرد فعقد له

القوم الحبى ورسوا أمثال الربى فلما آنس حسن

إنصاتهم ورزانة حصاتهم قال يا أولي الأبصار الرامقة

والبصائر الرائقة أما يغني عن الخبر العيان وينبي

عن النار الدخان داء واضح وشيب لائح وضعف

فادح وفقر بائح والباطن ففاضح ولقد كنت

والله ممن ملك ومال وولي وآل ورفد ونال ووصل

وصال فلم تزل الجوائح تسحت والنوائب تنحت حتى

اليد صفر والوكر قفر والشعار ضر وطعم العيش

مر والصبية يتضاغون من الطوى ويتمنون مصاصة

النوى ولم أقم هذا المقام الشائن ولم أكشف لكم الدفائن

إلا بعد ما شقيت لقيت وشبت مما لقيت فليتني لم أكن

بقيت ثم تأوه تأوه الأسيف وأنشد بصوت ضعيف

أشكو إلى الرحمن سبحانه تقلب الدهر وعدوانه

وحادثاً قرعت مروتي وقوضت مجدي وبنيانه

واهتصرت عودي وبا وبل من تهتصر الأحداث أغصانه

وامحلت ربعي حتى خلت من ربعي المحل جرذانه

وغادرني حائرا بائرا اكابد الفقر واشجانه

من بعد ما كنت لحازوة بسحب في النعماء اردانه

يضرم للسارين نيرانه وينهب العافين عقبانه

يغبط العافون اوانه ويحمد السارون نيرانه

فاصبح الان كمن لم يكن اغاثه الدهر الذي غانه

وازور من كان له زائرا وعاف عافي العرف عرفانه

فهل فتى يجبر ما قد برى من ضر شيخ دهره خانه

فيفرج الهم الذي همه ويصلح الشان الذي شانه

قال الراوي فصبت الجماعة الى ان تستثبته لتستخبر

خباياه وتستنقص حقيقته فقالت له قد عرفنا

قدر زنبتك ودرأينا در مزنتك فعرفنا دوحة شعبتك

واحسر اللثام عن فينيك فاعرض اعراض من منى

بالاعتاب او بشر بالتباب وجعل يلعن الضرورات

ويتأفف من تغيض المروات ثم انشد بلفظ صادع وجنان خادع

لعمرك ما كل فرع يدل جناه اللذيذ على اصله

فكم من حلا جنى نوتي به ولا تسأل الشهد عن نحله

وميز اذا ما اعتصرت الكروم سلافة عصرك من خله

لتغلى وترخص عن خبرة وتشرى كلا شى مثله

فيقبح بالفطن اللوذعي دخول الغميزة في عقله

قال فادهى القوم بذكائه وتغلغلهم بحسن ادابه

مع دمائه واستخفهم الافتنان بادبه والامتعاض

لهم فما زال به حتى اثروه بخبايا الخبن وخفايا الثبن

فقالوا له اعلم انك شرعت على ركبته بكثبة وتعرضت

لحلبته خلية فخذ هذه الصبابة وهبها لاحظاء

ولا اصابة منزل فلم منزلة الكثر وشفع قبوله

بالشكر ثم تولى بحزن شقه ويتهيب بالخبط طرقه

قال المخبر بهذه الحكاية فصودر لي أنه مجيل الحلية متصنع في مشيته فنهضت أسلك منهاجه وأقفو أدراجه وهو يلحظني شزرا ويوسعني هجرا حتى إذا خلا الطريق وأمكن التحقيق نظر إلي نظر من هش وبش وما حص بعد ما غش وقال إني إخالك أخا غربة ورائد صحبة فهل لك في رفيق يرفق بك ويرفق وينفق عليك وينفق فقلت له لو أتاني الرفيق لواتاني التوفيق فتعال لي فقد وجدت فاغتبط واشكر من فارتبط ثم ضحك مليا وتمثل لي بشرا سويا فإذا هو شيخنا السروجي لا قلبة بجسمه ولا شبهة في وسمه ففرحت بلقيته وكذبت لقوته وهممت بملامته على سوء مقامته فسخا فاه وأنشد قبل أن حياه

ظهرت برث لكيما يقال فقير يزجي الزمان المزجي

وأظهرت للناس أن قد فلجت وكم باب قلبي به فانفرج

فلولا الرثاثة لم يرث لي ولولا الفالج لم ألف فلج

ثم قال إنه لم يبق لي بهذه الأرض مرتع ولا في أهلها مطمع فإن كنت الرفيق فالطريق الطريق فسرنا منها متجردين وترافقنا عامين متجردين وكنت على أن أصحبه ما عشت فأبى الدهر المشت

المقامة الرابعة والثلثون

حكى الحارث بن همام قال لما جبت البيد إلى زبيد صحبني غلام كنت ربيته إلى أن بلغ أشده وثقفته حتى كمل رشده وكان قد أنس بأخلاقي وخبر محالب وفاقي فلم يكن يتخطى مرامي ولا يخطئ في المرامي لا جرم أن قربه الناطق بصفوي وأخلصته لحضري وسفري فأوى به الدهر المبيد حين ضمنا زبيد فلما شالت نعامتهم وسكنت

ناميتُ بقيتُ عاماً لا أُسيغُ طعاماً ولا أُريغُ غلاماً

حتى أجاءتني شوائبُ الوحدة ومتاعبُ العزومة و

العجمة الى أن أعتاض عن الدرّ الخزف وأرتاد من مو

يد الأمر عوض فقصدت من يبيع العبيد بسوق

زبيد وقلت أبغي عبداً يعجب إذا قلّب ويحمد إذا جرّب

ولكن من جنس جنسه لا كياسه وأخرجه إلى السوق

ويلاد جهد في الإفلاس فاهتزّ منهم لمطلبي ودبّ وبذل أعن صيلته

عن كثب ثمّ دارت الحالة دورها ونقلت كورها وحورها

وما جرم وعودهم وعد ولاح لها رعد فلما رابت النخاسين

ناسين أو متناسين علمت أن ليس كلّ من خلق يفري وأن لن

يحكّ جلدي مثل ظفري فرقصت مذهب التفويض وبرزت

إلى السوق بالصفر والبيض لأني لا أستعرض الغلمان

وأستعرض الغلمان لا ثمان إذا عارضني رجل قد اختطم

بلثام وقبض على زند غلام وقال

من يشتري منّي غلاماً صنعا في خلقه وخلقه قد برعا

بكلّ ما يرضاه مضطلعا يشفيك إن قال وإن قلت دعا

وإن تصبك عثرة يقل لعا وإن تشمه السعي في النار سعى

وإن تناجيه ولو يوماً وعى وإن تقنعه بطلف قنعا

ولم يحل للكيس الذي قد جمعا ما فاه قطّ كاذباً ولا ادّعى

ولا الجار خطمعاً حين دعا ولا ابتغى التجار بسرّ أودعا

وطالما أبدع فيما صنعا وفاق في النظم وفي النثر معا

والله لولا أسبكل عيش صدعا وصبية أضحوا عراة جوّعا

ما بعته بملك كسرى أجمعا قال فلما تأملت خلقه

القويم وجبهته الصميم خلته من ولدان جنة النعيم

وقلت ما هذا بشراً إن هذا إلا ملك كريم ثم ا

ستنطقته عن اسمه لا لرغبة في علمه بل لأنظر أبن

فصاحته من صباحته وكيف لهجته من بهجته فلم ينطق
بحلوة ولا مرة ولا فاه فوهة ابن أبي حرة فاضربت عنه
صفحاً وقلت قبحاً للعي وشقحاً فغاظني الضحك وانجذ
ثم أنغض رأسه وأنشد
يا من تلهب غيظة إن لم أبح باسمي له ما كالذي من يصف
إن كان لا يرضيك إلا كشفه فاصخ لها أنا يوسف
ولقد كشفت لك الغطاء فإن تكن فطناً عرفت وما إخالك تعرف
قال فسرى عني بشعره واستبى لبي بسحره حتى ذهلت
عن التحقيق وأنسيت قصة يوسف الصديق ولم يكن
لي همة إلا مساومة مولاه فيه واستطلاع طلع الثمن
لأواقيه وكنت أحسب أنه سيستطرد شزراً إلي ويغلي
البيعة على ما حلق إلى حيث حلقت ولا أعلق بما أعلقت
بل قال إن العبد إذا نزر ثمنه وخفت مؤونته تبرك به

مولاه ونجح عليه هواه وإني لأوثر تحبيب هذا الغلام
إليك بأن أخفف ثمنه عليك فزن مائتي درهم إن شئت
واشكر لي ما حبيت فنقدته المبلغ في الحال كما ينقد في
الرخيص الحلال ولم يخطر لي ببالي أن كل رخيص غالي
فلما تحتمت الصفقة وحقت الفرقة هملت عينا الغلام
ولا همول دمع الغمام ثم أقبل على صاحبه باللوم وقال
لحاك الله هل مثلي يباع لكيما تشبع الكرش الجياع
وهل في شرعة الإنصاف أني أكلف خطة الابتطاع
وأن أبلى بروع بعد روع ومثلي حين يبلى لا يراع
أما جربتني فخبرت مني نصائح لم يمازجها خداع
وكم أرصدتني شركاً لصيد فعدت وفي حبائلي السباع
ونطت بي المصاعب فاستقادت مطاوعة وكان بها امتناع
وأي كريهة لم أبل فيها وغنم لم يكن لي فيه باع

وما ابدت لي الايام جرمًا ۝ فينكشف في مصارمتي القناع

ولم تعثر بحمد الله مني ۝ على عيب يكلم او يذاع

فأنى ساغ عندك نبذ عهدي ۝ كما نبذت نواتها الصناع

ولم سمحت يداك بامتهاني ۝ وان اشرى كما يشرى المتاع

وهلا صنت عرضي عنه صونى ۝ حديثك يوم جنبنا الوداع

وقلت لمن يساوم في هذا ۝ سكاب ما تعار ولا تباع

فما انا دون ذلك الطرف لكن ۝ طباعك دون ما تلك الطباع

على اني سانشد يوم بيعي ۝ اضاعوني واي فتى اضاعوا

قال فلما وعى الشيخ ابياته وعقل عنا غاياته تنفس

الصعداء وبكى حتى ابكى البعداء ثم قال لاهل هذا

الغلام محل وليس لي ولا مرية عن افلاذ كبدي ولولا الخلو

مراحي وخبو مصباحي لما درج عن عشي الى ان تشيع

نعشي وقد رأيت ما رزأت به من لوعة البين والموت

هذين لمن تمهل لك في تسلية قلبه كربه بان تعاهدني على الاقالة

فبيعني لمن تنقلت والا تستقلني اذا انقلبت فيغ الاثار

المستقاة لمروية عن التناقص من آفاك ادما ثبعت اقاله

الله تعالى عثرته قال الحارث بن همام فوعدته وعدا

ابرزه الحياء وفي القلب اشيا فاستدنى جنيذ الغلام اليه

وقبل ما بين عينيه وانشد والدمع يرفض من جفنيه

خفض فديتك النفس ما تلاقي ۝ من برحاء الوجد والاشفاق

فما تطول مدة الفراق ۝ ولا تني ركائب التلاقي تحن عن عوارض الخلاف

ثم قال للرئيس دونك موقع المولى وشمر ذيله وولى

فلبث الغلام في زفير وعويل ريثما يقطع مدى ميل فلما

استفاق وكفكف دمعه المهراق قال اتدري لم اعولت

وعلام عولت فقلت اظن فراق مولاك هو الذي ابكاك فقال

انك لفي واد انا في واد ولكم بين مجد ومرادهم انشد

لم أبكِ واللهِ على إلفٍ نزحْ ۔ ولا على فوتِ نعيمٍ وفرحْ
وإنّما مدمعُ أجفاني سفحْ ۔ على غبيٍّ لحظُه حين طمحْ
ورّطه حتى تغنّى وافتضحْ ۔ وضيّعَ المعشوقةَ البيضَ الوضحْ
وبكّ لمّا ناجنك هابيل الملحْ ۔ يا بني حرٍّ وبني لم يبحْ
إن كان في يوسفَ معنًى فوضحْ ۔ قال فتمثّلت مقالةً في مرآة
المداعب معرض الملاعب فتصلّبت تصلّب المحقّ وتبرّأ من
طينته الرقّ فجلنا في مخاصمةٍ اتصلت بملاكمةٍ وأفضت
إلى محاكمةٍ فلمّا أوضحنا للقاضي الصورة وتلونا عليه السورة
قال ألا إنّ من أنذر فقد أعذر ومن حذّر كمن بشّر ومن
بصّر فما قصّر وإنّ فيما شرحتماه لدليلًا على أنّ هذا الغلام
قد نبّهك فما ادّعويت ونصح لك فما وعيت فاستر ذا [illegible]
واكتمه ولُم نفسك ولا تلمه وحاذر من إعلانه والطمع
في لينه فإنّه غرّ الأديم غير معرّض للتقويم

وقد كان لبوة احضرة أمس قبيل أفول الشمس فاعترف
بأنّه فرع النبي أنشأه وأن لا ولد له سواه فقلت
للقاضي أو تعرف أباه أخزاه الله فقال وهل يجهل البوبد
الذي جرحه جبار وعند كلّ قاضٍ له الغبار والغبار
فضرفت حينئذٍ وحوقلت وأفقت ولكن حين فات الوقت
وأيقنت أنّ لئامه كان شرك مكيدته وبيت قصيدته
فنكّست طرفي بالبهت وآليت ألا أعامل مثليهما ما بقيت ولم أدر
أيّما وقع أخبر صفقتي وافتضاحي بين رفقتي فقال لي
القاضي حين رأى امتعاضي وحرّ ارتماضي يا هذا أما ذهب
من مالك ما وعظك ولا العزم إليك من أيقظك فاتّعظ بما نابك
وكاتم أصحابك ما أصابك وتوكّل أبدًا ما دهمك لينفي الذكرى
داهمك وتخلّق بخلق من ابتلي فصبر وتجلّد له العبر
فاعتبر قال فودّعته لابسًا ثوب الخجل والحزن بيا جبا



ذيل الغبن والغبن، ونويت مكاشفة أبي زيد بالهجر ومصارمته
يد الدهر، فجعلت أتنكب عن ذراه، وأتجنب أن أراه، إلى
أن غشيني في طريق ضيق، فحياني تحية شيق، ثم أردف
على أن عبست وما بسمت، فقال: ما بالك متناجيًا بالنفك على
الفك؟ فقلت: أنسيت أنك احتلت لختلك، وفعلت فعلتك
التي فعلت؟ فاضطرب متهازئًا، ثم أنشد متلافيًا:

يا من بدا منه صدود وخوص وتجهم
وغدا بريئًا ملاكًا من دهى لم يسم
ويقول كل حر يباع كما يباع الأدهم
ثم افتقر فما أنا فيه بدع عاحتال بوهم تغرّ
قد باعت الأسباط قبلي يوسفًا وهم هداة وأقسم بالتي تسري إليها المسلم
والطائفين بها ومن تغشى النواصي شيم ما تمت ذاك الموقف المخزي وعندك درهم
فاعذر لحاك وكف عنه ملام من لا يفهم

ثم قال: أما معاذري
فقد لاحت، وأما دراهمك فقد طاحت، فإن كان اقشعرارك
مني وازورارك عني لفرط شفقتك على غبن نفسك، فلست

بمن يلسع مرتين ويوطى على جمرتين، وإن كنت طويت كشحك
وأطعت شحك لتستنقذ ما علق بأظفاري، فليبك على عقلك
البواكي. قال الحرث بن همام: فاضطرني بلفظه الخالب وسحره
الغالب إلى أن عدت له صفيًا وبه حفيًا، ونبذت فعلته ظهريًا
وإن كان شيئًا فريًا، وذكرت ما ضاعه من الدريهمات
نسيًا منسيًا، وعاهدت الله أن لا أعامل بعده إنسيًا.

المقامة الخامسة والثلثون

روى الحرث بن همام قال: مررت في تطوافي بشيراز على نادٍ
يستوقف المجتاز، ولو كان على أوفاز، فلم أستطع تعديه،
وأخطأت قدمي تخطيه، فعجت إليه لأسبك سرّ جوهره،
وأنظر كيف ثمره من زهره، فإذا أهله أفراد، والعائج
إليهم مفاد، وبينما نحن في فكاهة أطرب من الأغاريد، وأعجب

من حلب العناقيد اذا احتف بنا ذو طمرين قد كان يناهز
العمرين فحيا بلسان طليق وابان ابانة منطيق ثم تخطى
حبوة المنتدين وقال ليجعلنا اللهم من المهتدين
فازدراه القوم لطمريه ونسوا ان المرء باصغريه ولغذوا
بتداعيهم فصل الخطاب ويعتدون عجمهم من العطاب
وهو لا ينبض بكلمة ولا يبين عن سمة الى ان سبر قرائحهم
وخبر شائلهم وراجحهم فخبب ليخرج دفائنهم واستنبط
كنائنهم قال يا قوم لو علمتم ان وراء الفدام صفو
المدام لما احتقرتم ذا الاخلاق ولعلمتم ما له من خلاق
ثم تفجر من ينابيع الادب والنكت النخب ما جلب به
بدائع العجب ليتوجب ان يكتب بذوب الذهب فلما خلب
الالباب كل خلب وقلب اليه كل قلب تحلحل ليرحل وتاهب
ليذهب فتعلقت الجماعة بذيله وعاقت سرب سبيله وقالت

لئن قد ارينا وسمه فذاك ورب نبا من تفجار فخبرنا عن
فيصلك ومحتدك فقمصه صموت من اعجم ثم اعول حتى رحم وقال
الرامى فلما رايت شوب ابي زيد روبه واسلوبه المالوف
وصوبنا ما قلت الشيخ على سمو محتاه وسهولة ريّاه
فاذا هموا اياه فكلمه سرهم كما تكلم الداء الدخال وستزف
مكرم وان لم يكن بخبل حتى اذا نزع عن اعواله وقد عرق
عثوري على حالة رمتني بعبر مضحاك وان بلبان متباك
لبئس تغفر الله واعتولته   من فرطات ابعك طهيه
يا قوم كم من عاتق عانس   ممدوحة الاوصاف في الانديه
قتلتها لا ابتغي وارثا   يطلب مني قودا او ديه
وكلما استدنيت بي قتلها   لحلن بالقتل على الاقضيه
ولم ازل اغنى في غيها   وقتلها الابكار مستقربيه
حتى ثناني الشيب لما بدا   في مفرقي عن ذلكم المعصيه

فلم أرق مذ شاب فودي دما من عاتق يوما ولا مصطبيه

فيغسل الهم بصابونه والقلب من أفكاره المضنيه

وبعثني مني لشأنه الذي يضوع رياه مع الأدعيه

ولئن يكفيني لتجهيزها على الرضا بالدون أرآمايه

والبدر أوفى على دريه وعارض ثغر السما مصحيه

فهل معين لي على نقلها مصحوبة بالغيبة الملاهيه

قال فلم يبق في الجماعة الا من نديت له كفه وأتاح البر

عرفه فلما تجمعت بعينيه وكملت طيبة لخذ يثني عليهم

بصالح وشمر عن ساق سارح فتبعته لأتعرف ربيته

حذيره من قبل نفع ثان أخرى فكان ومثل قدامي مثاله

حرامي فاز ذلك مني وقال أفهمه عني

قتل مثلي باصطحاح مزج المدام ليس قبلي بلهذم أحجام

إنني عشت من البكر بنت الكرم لا البكر من بنات الكرام

ولتجهيزها إلى الكاس والطاس قيامي والتي نمى وتغامي

فتعلم ما قلت وتحكم في التراضي لم شئت في الملام

ثم قال أنا ابن عهيد وأنت بعيد وبيننا عهد بعيد ثم

ودعني وانطلق وزودني نظرة من ذي علق

المقامة السادسة والثلاثون

أخبر الحرث بن همام قال أنخت على ملطية مطية البين وحقيبتي

ملء من العين فجعلت حبر أي يد العيث بها عطاي

أن أنوره حوارد الفرح وأتصيد شوارد المدح فلم يفتني

بها منظر ولا مسمع ولا خلا مني ملعب ولا مرتع حتى

إذا لم يبق لي فيها مأرب ولا في الثواء بها مرغب عمدت

لإنفاق الذهب في ابتياع الأهب فلما أكملت الزاد لحد

وتهيأ الظعن منها أو كدت رأيت فئة رهط قد سبأوا

مَجْنُوَّةٌ وأربابُها أدبونٌ ودماثتهم قيد الألحاظ وفكاهتهم
حلوة الألفاظ فنحوتهم طلبا لمنادمتهم لا لمدامتهم
وشغفا بممازجتهم لا بانتجاعهم فلما انتظمت عاشرهم
وأصبحت معاشرهم ألفيتهم أبناء علات وأفلاذ ملات
إلا أن لحمة الأدب قد ألفت شملهم ألفة النسب
وساوت بينهم في الرتب حتى لاحوا مثل كواكب
الجوزاء وبدوا كالجملة المتناسبة الأجزاء فابتهجت
بالاهتداء إليهم ولعهدت الطالع الذي أطلعني
عليهم وطفقت أنفض بقدحي مع قداحهم وأستشفي
ببراحهم لا براحهم حتى أدتنا شجون المفاوضة
إلى التحاجي بالمقايضة كقولك إذا عنيت بها الكراث
ما مثل قولك النوم فإن فانشأنا نجلو لها السها والقمر
ونجني الشوك والثمر وبينا نحن ننشر القسب والرث

وننثل السمين والغث طلع علينا شيخ قد ذهب
حبره وسبره وبقي خبره وسبره فمثل مثول من يسمع
وينظر ويلتقط ما ننثر إلى أن نفضت الكياس وحصحص
البأس فقال لي لجيال القرائح والكداء المانح والمانح
جمع أذياله وولى نافرا وقال ما كل سوداء تمرة
ولا كل صهباء خمرة فاعتلقنا به اعتلاق الحرباء بالأعواد
وضربنا دونه وجهته بالأسداد وقلنا له إن دواء الشوق
لن يحاص وإلا وجب القصاص وإنما القصاص القصاص فلا
نطمع في أن تخرج وتشتري الفستق وتسرح فلوى عنانه
للجعائم وجثم بمكانه راضعا وقال أما إذا استنبتموني
بالبحث فسأحكم حكم سليمان في الحرث اعلموا يا ذوي الشمائل
الأدبية والشمول الذهبية أن وضع الأحجية
لامتحان الألمعية ولاستخراج الخبيئة الخفية وشرطها

ان تكون ذلك مماثلة حقيقية و الفاظ مصنوعة و
لطيفة ادبية فمتى نافرت هذا النمط صار من السقط
ولم تدخل السفط ولم اركم حافظتم على هذه الحدود
ولا ميزتم بين المعبوك والمردود فقلنا له صدقت
وبالحق نطقت فكل لنا من لبابك و افض علينا من عبابك
فقال افعل لئلا يرتاب المبطلون ويتطوا الى الظنون
ثم قابل ناظرة القوم وقال
يا من سما بذكائه في الفضل واري الزناد ماذا يماثل تولج عن امد
ثم ضحك الى الثاني وانشد يا ذا الذي فاق فضلا ولم يدنس بشين
ما مثل قول المحاجي ظهر اصابته عين ثم لحظ الثالث
وانشا يقول يا من نتائج فكره مثل النجوم الجارية
ما مثل قولك للذي حاجيت صادف جارية ثم اطلع
الى الرابع وقال يا مستنبط الغامض من لغز واضمار

الا اكشف لي ما مثل اهمل حلية بين تهذيب وعجل
ثم التفت لفتة الى السادس وقال
يا من يقصر عن مداه خطى مجاريه وتضعف ما مثل قولك للذي اضحى يجاذبك اكفف الكف
ثم خلج السابع بحاجبه وقال يا من له فطنة تجلت ورتبة في الذكاء جلت
بين لي ما ذلك ذا بيان ما مثل قولي الثقيل افلت ثم استنصت الثامن وانشد
يا من حدائق فضله مطلولة الازهار غضه ما مثل قولك للمحاجي بني الحي العناد وفضه
ثم حدج التاسع ببصره وقال يا من يشار اليه في الغلب الذكي وفي البراعه
اوضح لنا ما مثل قولك للمحاجي در جماعه قال الراوي
فلما انتهى الي هز منكبي وقال يا من له النكت التي يسجي
الخصوم بها وبكت انت المبين فقل لنا ما مثل قولي خال نكت
ثم قال قد امهلتكم وان شئتم ان اعللكم عللتكم فالجانا
لهب الغلل الى استسقاء العلل فقال لسنا كمن يستاثر
على نديمه ولا ممن يتمنت في اديمه ثم كر على اولك انشد

يا من إذا أشكل المعمى جلته أفكاره الدقيقة

إن قال يوماً لك أحجي تلك ما مثله حقيقة

ثم ثنى جيده الى الثاني فقال يا من بدا بيانه عن فضله مبينا

ما ذا امثال قولهم حمار وحش بيننا ثم أوحى الى الثالث

بلحظه وقال يا من غدا في فضله وذكائه كالأصمعي

ما مثل قولك للذي حاجيت انفق تنتفع ثم حملق الى

الرابع وقال يا من إذا ما عويص دجا أنار ظلامه

ما ذا يماثل قولي ليستنبش نجح ملامه ثم أومض الى

الخامس وانشأ يقول يا من تنزه فكره عن أن يروى أو يلكى

ما مثل قولك للذي أضحى يحاجي غط هلكى ثم أقبل

على السادس وقال يا أخا الفطنة التي بان فيها كماله

ساد بالليل مدة لي شيء مثاله ثم نحى بصره الى السابع

وقال يا من تجلى بفهم أقام في الناس سوقه

لكل البيان فبين ما مثال لعيب عزوقه ثم قصد الثامن

وأنشد يقول يا من نبوه ادرك في الفضل غاية كل ذروه

ما مثل قولك اعط ابن بقا يلوح بغير عروه ثم انثنى

الى التاسع وقال يا من حوى حسن الدراية والبيان بغير شك

ما مثل قولك للمحاجي ذي الذكاء النور ملكي ثم قبض بجمعه

على يد العاشر وقال يا من سما بشعوب فطنته في المشكلات وبركه

ما ذا امثال صغير حجفله بعينه بيننا تابعهم به فقال

الحارث بن همام فلما اطربنا بما نمقه وطالبنا بكشف

معماه قلنا والله لسنا من خيل هذا الميدان ولا لنا حل

هذه العقد يدان فإن آثرت مننت وإن كتمت تممت

فظل يشاور نفسه ويقلب بين قدحيه حتى قال

بل الماء عليه فاقبل بلا بديهة ثم أخذ في تفسير

صقليه الاذكار وانتزع معه الاذهان حتى اصبح

الابهام لنور دين الشمس ولأكمام كأن لم تغن بالأمس ولما تمم
بالمعنى سبيل عن المغنى فتنفس كما تنفس الثكول ثم أنشأ يقول
كل شعب لي شعب وبه ربعي رحب غير أني بسروج
مستهام القلب صب هي أرضي البكر والجو الذي منه المهب
وإلى روضتها الغناء دون الروض أصبو ما حلا لي بعدها حلو
ولا اعذوذب عذب قال الراوي قلت لأصحابي هذا
أبو زيد السروجي الذي ملح الأحاجي وجعلت أصف
لهم حسن توشيئه وانقياد الكلام لمشيئته ثم التفت
فإذا به قد طمر وفات بما قمر فعجبنا مما صنع ولم ندر
أين سكع وصقع

تفسير ما في الأحاجي المرموزة من المصحفات

أما جوع أيد براح فمثله طوابين وأما ظمأ أصابته غبن
فمثله مطاعين ولي ما ضاف وخائرة فمثله الغني

صلة وأما تناول ألف دينار فمثله كالبية وأما أهمل
حلبة فمثله الغاشية وأما الكف الكفف فمثله مهمه
وأما الشفيق أفلت فمثله الأحظاد وأما ما لمختار
فضة فمثله أبارقة الترالرقة من أسماء الفضة
وقد نطق بها النبي صلى الله عليه وآله وسلم في الرقة ربع العشر
وأما دون جماعة فمثله طائفية أما خالي أسكت فمثله
خالصة لأنك إذا ناديت مضافا إلى نفسك جاز لك حذف
الياء وإثباتها ساكنة ومتحركة وقد حذف ههنا حرف
حرف النداء كما حذفه في أصل الأحجية وصه بمعنى اسكت
وأما خذ نكك فمثله ها نيك وأما حمار وحش ربنا فمثله
فرا دين الترالفرا حمار الوحش ومنه الخبر كل الصيد
في جوف الفرا وأما قو لما أنفق تمتع فمثله متنعم الترالأمر
من كان بعون من وحضارع وتمتنت لقم وأما

استنشق ريح مدامه فمثله دحراح مكان واسع الزر الأحمر
من شم الرائحة دخ وأما غط هلكى فمثله صنبور
لأن البور هم الهلكى وفي القرآن وكنتم قوما بورا ولعا
سادر بالليل فدة فمثله سرلعين وأما الحبيب فرقة
فمثله مقلاع الزاء الأمر من وعى مثل بعوا للاع الجرو
يقال فلان لاع لاع إذا كان جبانا جزوعا وأما أعط
ابريقا بلوح لغير عروة فمثله اسكوب الزاء أوس العطاء
والدم منه أس والكوب الإبريق لغير عروة وأما المتور
ملكى فمثله اللآلي الزاء اللألأ على قرن الفناء ومو ثور
الوحش وأما صفير محفلة فمثله مكاشفة الزاء المكاء
الصفير قال الله تعالى وما كان صلوتهم عند البيت
إلا مكاء وتصدية والأصل في المكاء المد ولكنه قصر
في هذه الأحجية كما حذف همزة الفراغي الحجبة وكلا الوزين

من قصر الممدود وحذف الهمزة من المهموز جائز للضرورة

المقامة السابعة والثلاثون

حكى الحارث بن همام قال أصعدت إلى صعدة وأنا ذو
شطاط يحكي الصعدة واشتداد يبذ به ابن صعدة
فلما رأيت قصرها ورعيت خضرتها سألت تجار
الرواة عما يحبو من السراة ومحاول الخيرات لا تخذه
جذوة في الظلمات ونجدة في الظلامات فنعت إلى بعضهم
قاض رحيب الباع خصيب الرباع تميمي النسب والطباع
فلم أزل أتقرب إليه بالإلمام وأتشوف عليه بالإجمام
حتى صرت صفي صحوته وسكن نشوته وكنت مع استنارة
شهابه وانتشاق زنده أشهد مشاجر الخصوم وأشعر بين
المعصوم منهم والموصوم فبينما القاضي جالس للإسجال

فبينا المحفل بالحفل والغيطال اذ دخل عليه شيخ بالي الرياش بادي
الارتعاش فاستنصر الحفل بنصر نفثاته ثم زعم ان له
خصما غير منصف فلم يكن الا كقصود شرارة او وحي اشارة
حتى احضر غلاما كانه ضرغام فقال الشيخ ايد الله
القاضي وعصمه من التغاضي ان ابني هذا كالقلم الردي
والسيف الصدي يجهل اوصاف الانصاف ويتضع عن
اخلاق الاحلاف ان افدته اجيم ولئن اغربت اعجم وان اذكيت
لهبه ومني شوبه مع اني كفلته مذ دب الى ان
شب وكنت له الطف من ربي ورب فاكبر القاضي ما شكى اليه
واطرق يرمق حوالي بيته ثم قال اشهد ان العقوق احد
الثكلين ولرب عقيم اقر للعين فقال الغلام وقد اغضبه
هذا الكلام والذي نصب القضاة للعدل وملكهم
اعنة الفصل والفضل انه ما دعا قط الا امنت

ولا ادعى الا امنت ولا التجى الا الجهت ولا اوى الا الفرث
بيد انه كمن يبغي بيض الانوق ويطلب الطيران من النوق
فقال له القاضي وبم اغتبك وامتخط عنك فقال
انه مذ صفر من المال ومني بالامحال يسومني ان الظ
بالسؤال واستمطر سحائب النوال لينغض شربه الذي غاض
وينجبر عن حالته ما انهاض وقد كان حين اخذني بالدرس
وعلمني ادب النفس اشرب قلبي ان الحرص متعبة
والطمع معتبة والشره منحمة والمسالة ملامة
ثم انشد من فلق فيه وتحت قوافيه

ارض بادنى العيش واشكر عليه ... شكر من القل كثير لديه
وجانب الحرص الذي لم يزل ... يحط قدر المنزاقي اليه
وحام عن عرضك واستبقه ... كما يحامي الليث عن لبدتيه
واصبر على ما نابك من فاقة ... صبر اولي العزم واغضض عليه

وإن يرق ماء المحيا ولو خولك المسؤول ما في يديه

فالحر من إن قذيت عينه لغنى فذى جفنيه عن ناظريه

ومن إذا أخلق ديباجه لم ير أن يخلق ديباجتيه

قال فعبس الشيخ واكفهر وأبدى على ابنه وهر

وقال صه يا عقوق يا من هو الشجى والشرق ويلك

أتعلم أمك البضاع وظئرك الإرضاع لقد تحككت

العقرب بالأفعى واستنت الفصال حتى القرعى ثم

كأنه ندم على ما فرط من فيه وحرقة المغيظ على تلافيه

فرنا إليه بعين عاطف وثنى عليه جناح ملاطف وقال

له ويك يا بني لئن من أمر بالقناعة وزجر عن

الضراعة هم أرباب البضاعة وأولو المكسبة والصناعة

وأما أولو الضرورات فقد استثني بهم في المحظورات

وهبك جهلت أنا ويك لم يبلغك ما قيل السنة التي

عارض أباه فيما قال وحاجاه وهو

لا تقعدن على ضر ومسغبة لكي يقال عزيز النفس مصطبر

وانظر بعينيك هل أرض معطلة من النبات كأرض حفها الشجر

فعد عما تشير الأغبياء به فأي فضل لعود ما له ثمر

وارحل ركابك عن ربع ظمئت به إلى الجناب الذي يهمي به المطر

واستنزل الري من در السحاب فإن بلت يداك به فليهنك الظفر

وإن رددت فما في الرد منقصة عليك قد رد موسى قبل والخضر

قال فلما رأى القاضي تنافي قول الفتى وفعله وتحليه

بما ليس من أهله نظر إليه بعين غضبى مرة وقبسيا

أخرى ثم قال أف لمن يعظ ما يقول ويتلون

كما يتلون الغول فقال الغلام والذي جعلك مفتاحا

للحق وفتاحا بين الخلق لقد أنست مذ أبست وصدق

ذهني مذ صدئت على أنه ابن أبابة الفتح والعطاء الشرح

وهل يغني حريز عن باللمى اذا استطعم يقول كما فقال

له القاضي قد جمع الخواطي سهم صائب وما كل برق

خالب ولا كل مخبر البروق اذا شيم ولا تشهد الا بما علمت فلما

تبين للشيخ ان القاضي قد غضب للكرام واعظم تخجيل

جميع من آم علم انه سينقص كلمته ويخطي الرومية

فما كذب ان نصب شبكته وشمر في الحرب تكتكته

وانشا يقول يا ايها القاضي الذي علمه

وحلمه ارجح من رضوى قد ادعى هذا على جملة

ان ليس في الدنيا لهم جدوى وما درى انك من معشر عطا

عطاؤهم كالمن والسلوى فجد بما يشبه منك جنى يا

بما افتهى من كلب العدى وانثني جذلان اثني بما

اوليت من جدوى ومن عدوى قال فهش القاضي

لقوله واجزل من طوله ثم لفت وجهه الى الغلام تحلل

لئن اسمعهم الملام وقال له اذا اثبت بربطك عنك وخطأ

وهيك قد انجلى بجدك ما بهم ولا تحنث عهدا قبل عجم

اناك وما ياتيك من مطاو عن ابيك فانك لن صدقت تعقه

خاف بكر منى ما تحققه فسقط الفتى في يده ولاذ

بعفو والده ثم نهض بجده وتبعه الشيخ يتشد

من ضبابة اوطانه لزمه فلبعضد القاضي في ضعف

سماحة ازرى بمن قبله وعدله انعم من بعده

قال الراوي فحرت بين غريب الشيخ وتنكيره الى

ان العروق تطيره فناجيت النفس باتباعه لو الي باعه

لعلي اظهر على اسراره واعرف شجرة ناره فتبذقت

الغلق ولز طلقت حين انطلق ولم يزل يخطو واعقب

ونبعد واقترب الى ان تراءى الشخصان حتى التقارف

على الخلصان فابتني حينئذ الاهتشاش ورفع الادغاش

وقال من كاد اخاه فلا عاش فعرفت حينئذ انه السروجي
بلا محالة والاحول حالة وبادرت اليه لاصافحه
ولأستعرف سانحه وبارحه فقال دونك ابن اخيك البر
ثم تركني ومر فلم يجد الغنى لبرافيه ثم فر كما فر فعدت

المقامة الثامنة والثلثون

حكى الحارث بن همام قال حبب الي مذ سعت قدمي ونفث
قلمي ان اتخذ الادب شرعة والاقتباس منه نجعة
وكنت انقب عن اخباره وخزنة اسراره فاذا الفيت
منهم بغية الملتمس وجذوة المقتبس شددت
يدي بغرزه واستنزلت منه زكاة كنزه على اني
لم الق كالسروجي في غزارة السحب ووضع الهناء
مواضع النقب الا انه كان اسير من المثل واسرع

من القمر في النقل وكنت لهوى ملاقاته واستحسان
مقاماته ارغب في الاغتراب واستخف به السفر الذي
هو قطعة من العذاب فلما طوحني الى مرو ولا غرو
بشرني بمراه زجر الطير والفال الذي هو بريد الخير
فلم ازل انشده في المحافل وعند تلقي الرواحل فلا
اجد عنه مخبرا ولا الفي له اثرا ولا عثيرا حتى غلب
الياس الطمع وانزوى التاميل وانقمع فاني لذات
يوم بحضرة والي مرو وكان ممن جمع الفضل والسرو
اذ طلع ابو زيد في خلق ملفاق وخلق ملاق فحيا
الوالي تحية المحتاج اذا لقي رب التاج ثم قال له
اعلم وقيت الذم وكفيت الهم ان من عذقت به الاعمال
اعتلقت بيده الامال ومن رفعت له الدرجات رفعت اليه
الحاجات وان السعيد من اذا قدر وواتاه القدر

أدى زكاة النعم كما وقى زكاة النَّعم والتزم لأهل الحرم
كما يلتزم لأهل الحرم وقد أصبحت بحمد الله عميد مصرك
وعماد عصرك ترجى الركائب إلى حرمك وترجى الرغائب
من كرمك وتنزل المطالب بساحتك وتستنزل الراحة
من راحتك وكان فضل الله عليك عظيما ثم إني شيخ
ترب بعد الإتراب وعدم الإعشاب حين شاب فقصدك
من محلة نازحة وحالة رازحة أملا من بحرك دفعة
ومن جاهك رفعة والتأميل أفضل وسائل السائل
ونائل النائل فاعجب إلى ما يجب عليك وأحسن كما أحسن الله
إليك وإياك أن تلوي عذارك عمن ازدارك وأم دارك
أو تنقبض عن أخلاق عمن اجتاحك وامتار سماحك فوالله
ما مجد من جمد ولا رشد من حشد بل اللبيب من إذا وجد
جاد وإن بدا بعائدة عاد والكريم من إذا استوهب

الدرهم لم يهب أن يهب ثم أمسك ريثما يختبر أكل غرسه ويحصد
حطيبة نفسه ولحب الوالي لن يعلم كما نطفته ثم
أم لغرض محنته فلما طال ترقبه لاستخبار زنده وانتشاق
فرنده والتبس على أبي زيد سر صمته عن ارتجال صلته فوغر
غضبا وأنشد مغضبا وقال

لا تحقرن أبيت اللعن ذا أدب ... لأن بدا خلق السربال سبروتا
ولا تضع لأخي التأميل حرمته ... أكان ذا اللبس أم كان سكيتا
وانفح بعرفك من وافاك مختبطا ... وانعش بعونك من ألفيته منكوتا
فخير مال الفتى مال أشاد له ... ذكرا تناقله الركبان أو صيتا
وما على المنتحي جدوى موهبة ... غبن ولو كان ما أعطاه ياقوتا
لولا المروءة ضاق العذر عن فطن ... إذا اشرأب إلى ما جاوز القوتا
لكنه لابتناء المجد جد ومن ... يحب السماح ثنى نحو الغنى ليتا
وما تنشق عرف الشكر ذو كرم ... إلا وأزرى بنشر المسك مفتوتا

والحمدُ والبخلُ لم يُقضَ اجتماعُهما حتى لقد خِيلَ ضبًّا ودُلهونا

والسمحُ في الناسِ محبوبٌ خلائقُه والجامدُ الكفِّ ما ينفكُّ ممقوتا

وللشحيحِ على أموالِه عِلَلٌ يوسعُه أبدًا ذمًّا وتلبينا

فجُد بما جمعت كفاك من نشبٍ حتى يُرى مجتدي جدواك ممنونا

وخُذ نصيبك منه قبل رائعةٍ من الزمان تُريك العود منحوتا

فالدهرُ أنكدُ من أن تستمرَّ به حالٌ تكرّهتَ تلك الحالَ أم شِيتا

فقال له الوالي تالله لقد أحسنتَ فأنّى ولِدَ الرجال أنت

فنظر إليه عن عُرُضٍ ثم أنشد وهو مُغضٍ

لا تسألِ المرءَ مَن أبوه ورُزْ خِلالَه ثم صِلْه أو فاصرِمْ

فما يَشينُ السُّلافَ حين حلا مذاقُها كونُها ابنةَ الحِصرِمْ

قال فقرّبه الوالي لبيانه الفاتن حتى أحلّه مقعد الخائن ثم فرض له من سيب نيله ما آذن بطول ذيله وقِصَر ليله فنهض عنه برُدنٍ ملآنَ وقلبٍ جذلانَ و

وشيّعتُه حاذيًا حذوه وقافيًا خطوه حتى إذا خرج من بابه وفصل عن غابه قلت له هُنّئتَ بما أوتيتَ ومُلّيتَ ما أوليتَ فأسفر وجهُه وتلألأ وولّى الشكرَ لله تعالى ثم خطر يختال وأنشد ارتجالا

مَن يكن نالَ في الحماقة أمرًا أو سما قدرُه لطيبِ الأصولِ

فبفضلي انتفعتُ لا بفضولي وبقولي ارتفعتُ لا بقبولي

ثم قال تعسًا لمن جدب مرعى الأدب وطوبى لمن جدّ فيه ودأب ثم ودّعني وذهب وأودع القلب اللهب

المقامة التاسعة والثلاثون

حدث الحارث بن همام قال لهجتُ مذ اخضرّ إزاري وبقل عِذاري بأن أجوب البراري على ظهور المهاري أنجد طورًا وأسلك تارةً غورًا إلى أن فلَيتُ المعالم والمجاهل وبلوتُ المنازل والمناهل وأحفيتُ السنابك والمناسم

وأنضيت السوابق والرواسم فلما مللت الإصحار وشحّ
لي أرب بصحار، ملت إلى اعتبار البحار واختبار
الفلك السيار، فنقلت إليه أساودي واستصحبت
زادي ومزاودي، ثم ركبت فيه ركوب حاذر نادر وعاذل
لنفسه وعاذر، فلما شرعنا في القلعة ورفعنا الشرع
للسرعة، سمعنا من شاطئ المرسى حين جنح الليل
وأغسى هاتفًا يقول يا أهل ذا الفلك القويم المزجى
في البحر العظيم، بتقدير العزيز العليم، هل أدلكم على تجارة
تنجيكم من عذاب أليم، فقلنا له أفدنا أيها
الدليل، أرشدنا كما يرشد الخليل الخليل، فقال استحملوا
ابن سبيل، زاده في زبيل، وظله غير ثقيل، وما يبتغي
سوى مقيل، فأجمعنا على الجنوح إليه، ألا نبخل بالماعون
عليه، فلما استوى على الفلك قال أعوذ بمالك الملك من

دواعي الهلك، ثم قال أنا روينا في الأخبار المنقولة عن
الأحبار، أن الله تعالى ما أخذ على الجهال أن يتعلموا حتى أخذ
على العلماء أن يعلموا، وإن معي لعوذة من الأنبياء مأخوذة
وعندي لكم نصيحة براهينها صحيحة، وما وسعني
الكتمان، ولا من شيمي الحرمان، فأنصتوا لمقالي، وتفهموا
أعلموا إيما تعلمون، وعلموا أنه صاح صيحة المباهي
وقال أتدرون ما هي، هي والله حرز السفر عند مسيرهم
في البحر، والجنة من الغم إذا جاش موج اليم، وبها
استعصم نوح من يوم الطوفان، ونجا ومن معه من الحيوان
على ما صدعت به آي القرآن، ثم قرأ بعد أساطير تلاها
وزخارف جلاها، وقال اركبوا فيها بسم الله مجريها
ومرسيها، ثم تنفس تنفس المغرمين، أو عباد الله المكرمين
ثم قال أما أنا فقد قمت فيكم مقام المبلغين، ونصحت لكم نصح

المبلغين

المبالغين رب لكن بكم محجة الراشدين فاشهد اللهم
وانت خير الشاهدين قال الحرث بن همام فعجبت
الصولته بالملاوة فاعجبنا ببيانه البادي الطلاوة
وانس من جرسته معرفة عين عينه ومخبرة انسه فقلت
له بالذي سخر البحر اللجي الست شيخنا السروجي
فقال بلى وعزة من علا فهل يخفى ابن جلا فاحمدت حينئذ
السفر وسري عن نفسي اذ سفر ووجدت بلقيانه
وجد المثري بعقيانه واستبشرت بمناجاته استبشار
الغريق بنجاته ولم نزل في البر والجو صحو والبحر
رهو والعيش صفو والزمان لهو حتى عصفت الجنوب
وعسعس الجنوب ونسي السفر ما كان وجاءهم الموج
من كل مكان فملنا لهذا الحدث الثائر الى احدى الجزائر
لنريح ونستريح ريثما توافي الريح فتمادى اعتياص المسير

حتى نفد الزاد غير اليسير فقال لي ابو زيد انه لن يحرز
جنى العود بالقعود فهل لك في استثارة السعود
بالصعود فقلت اني لك لاتبع من ظلك واطوع من
نعلك فنهدنا الى الجزيرة على ضعفنا من المرير لنركض في
امترا المربع وما فينا من يملك فتيلا ولا يهتدي فيها سبيلا
فلم نزل نجوس خلالها ونتفيأ ظلالها حتى افضينا الى
قصر مشيد له باب من حديد ودونه زمرة من عبيد
فحاسسناهم لنتخذهم سلما الى الارتقاء وارشية للاستقاء
فالفينا كلا منهم كئيبا حسيرا حتى خلناه كسيرا او
اسيرا في ملكه كسيره وكربه اسيره فناديناهم ايها الغلمة
ما هذه الغمة فلم يجيبوا النداء ولا فاهوا ببيضاء
ولا سوداء فلما راينا نارهم نار الحباحب وخبرهم كسراب
السباسب قلنا شاهت الوجوه وقبح اللكع ومن يرجوه

فاعتلق بنا خادم قد علته كبرة وعرته عبرة فقال يا قوم
لا توجعونا عتبا ولا تسعونا سبا فانا لفي كرب شامل
وشغل عن الحديث شاغل فقال له ابو زيد نفس خناق
البث وانفث ان قدرت على النفث فانك ستجد مني عرافا
كافيا ووصافا شافيا فقال اعلم ان رب هذا القصر
متوطن هذه البقعة ونشاه جذم الرقعة الا انه لم يخل
من كل الخلوة عن ولد وما زال يستكرم المغارس ويتخير
المغارس النفائس لترشح بنجل عقبته وارث
زلفته بفسيلة فنذرت له النذور وعددت الايام والشهور
فلما آن للنتاج وصيغ له الطوق والتاج عسر
مخاض الوضع حتى خيف على الاصل والفرع فما فينا من يعرف
قرارا ولا يطعم النوم الا غرارا ثم اجهش بالبكاء واعول
وردد الحنين وطول فقال له ابو زيد اسكن

يا هذا استبشر وابشر بالفرج وبشر بنفث عزيمة
الطلق التي انتشر سمعها في الخلق فبادر الغلمة الى
مولاهم مبشرة بانكشاف بلوائهم فلم يكن الا كلا ولا حتى
خرج من هلم بنا اليه فلما دخلنا عليه ومثلنا بين يديه
قال لابي زيد ليهنك منالك ان صدق مقالك ولم يفل فالك
فاستحضر قلما مبريا وزبدا بحريا وزعفرانا قد ديف في ماء
ورد نظيف فما ان رجع النفس حتى احضر ما التمس
فسجد وعفر وسبح واستغفر ثم اخذ القلم فاخترع
وكتب على الزبد بالمزعفر

ايها المجنن اني نصوح لك والنصح من شروط الدين
انت مستعصم بكن كنين وقرار من السكون مكين
ما ترى فيه ما يروعك من الفجاج ولا عدو مبين
فمتى ما برزت منه تحولت الى منزل الاذى والهون

وتراءى لك الشقاء الذي تلقى فتبكي بدمع هتون

فاستدم عيشك الرغيد وحاذر أن تبيع المحقوق بالمظنون

واحذرن من مخادع لك يرقيك ليلقيك في العذاب المهين

ولعمري لقد نصحت ولكن كم نصيح مشبه بظنين

ثم إنه طلس المكمن على غفلة وتفل عليه ما بين تفلة وشد الزبد في خرقة حرير بعد ما ضمخها بعبير وأمر بتعليقها على فخذ الماخض وأن لا تعلق بها يد حائض فلم يكن إلا كفواق شارب أو فواق حالب حتى اندلق بخص الولد لخصيصى الزبد بقدرة الواحد الصمد فامتلأ القصر حبوراً واستطير عميده وعميدة سروراً وأحاطت الجماعة به يثني عليه وتقبل يديه وتتبرك بابتاس طمره حتى خيل إلي أنه القرني أويس أو الأسدي دبيس ثم انثال عليه من جوائز المجازات وصنائع الصلات

ما قيض له الغنى وبيض وجه المنى ولم يزل ينشابنا الدخل مذ نجح له النجح إلى أن أعطى البحر الأمان وفيني الإبان إلى عمان فاكتنع لي أبو زيد بالتحلة وتأهب للرحلة فلم يبح الوالي حركته بعد تجربة بركته بل أوعز بضمه إلى حزانته وأن تطلق يده في خزانته قال الراوي فلما رأيته قد طال إلى حيث يكسب المال أخذت عليه بالتعنيف وهجنت له مفارقة المألف لا الأليف فقال إليك عني واسمع مني وأنشد

لا تصبون إلى وطن ... فيه تضام وتمتهن

وارحل عن الدار التي ... تعلي الوهاد على القنن

واهرب إلى الكن نغغ ... ولو انه حضنا حضن

وجب البلاد فأيها ... أرضاك فاختره وطن

واربأ بنفسك لن تقيم ... بحيث يغتالك الدمن

ودع التذكر للمعاهد ... والحنين إلى السكن

وَاعْلَمْ بِأَنَّ الحُرَّ فِي أَوْطَانِهِ يَلْقَى الغَبْنَ كَالدُّرِّ فِي الأَصْدَافِ
يُبْتَذَلُ وَيُبْخَسُ فِي الثَّمَنِ ثُمَّ قَالَ حَسْبُكَ مَا سَمِعْتَ فَ
حَبَّذَا أَنْتَ لَوِ اتَّبَعْتَ فَأَوْضَحْتُ لَهُ مَعَاذِيرِي وَقُلْتُ لَهُ كُنْ
عَذِيرِي فَعَذَرَ وَاعْتَذَرَ وَزَوَّدَ حَتَّى لَمْ يَذَرْ ثُمَّ شَيَّعَنِي
تَشْيِيعَ الأَقَارِبِ إِلَى أَنْ رَكِبْتُ فِي القَارِبِ فَوَدَّعْتُهُ
وَأَنَا أَشْكُو الفِرَاقَ وَأَذُمُّهُ وَأَوَدُّ لَوْ هَلَكَ البَيْنُ وَأُمُّهُ

المقامة التبريزية

قَالَ أَزْمَعْتُ التَّبْرِيزَ مِنْ تَبْرِيزَ حِينَ نَبَتْ بِي عَنِ العَزِيزِ
وَخَلَتْ مِنَ المُجِيرِ وَالمُجِيزِ فَبَيْنَا أَنَا فِي إِعْدَادِ الأُهْبَةِ
وَارْتِيَادِ الصُّحْبَةِ لَقِيتُ أَبَا زَيْدٍ السَّرُوجِيَّ مُلْتَفًّا بِكِسَاءٍ
مُحْتَفًّا بِنِسَاءٍ فَسَأَلْتُهُ عَنْ خَطْبِهِ وَإِلَى أَيْنَ يَسْرُبُ
مَعَ سِرْبِهِ فَأَوْمَى إِلَى امْرَأَةٍ مِنْهُنَّ بَاهِرَةِ السُّفُورِ ظَاهِرَةِ

النُّفُورِ وَقَالَ تَزَوَّجْتُ هَذِهِ لِتُؤْنِسَنِي فِي الغُرْبَةِ وَتَرْحَضَ
عَنِّي قَشَفَ العُزْبَةِ فَلَقِيتُ مِنْهَا عَرَقَ القِرْبَةِ تُمَاطِلُنِي
فِي تَقَاضِي حَقِّي وَتُكَلِّفُنِي فِي نَيْلِي فَوْقَ طَوْقِي وَأَنَا مِنْهَا
نِضْوُ وَجًى وَحَلِيفُ شَجْوٍ وَشَجًا وَهَا نَحْنُ قَدْ تَسَاعَيْنَا
إِلَى الحَاكِمِ لِيَضْرِبَ عَلَى يَدِ الظَّالِمِ فَإِنِ انْتَظَمَ بَيْنَنَا الوِفَاقُ
وَإِلَّا فَالطَّلَاقُ وَالانْطِلَاقُ قَالَ فَمِلْتُ إِلَى أَنْ أَخْبُرَ
لِمَنِ الغَلَبُ وَكَيْفَ يَكُونُ المُنْقَلَبُ فَجَعَلْتُ شُغْلِي دَبْرَ
أُذُنِي وَصَحِبْتُهُمَا وَإِنْ كُنْتُ لَا أُعْنَى فَلَمَّا أَنْ حَضَرَا القَاضِي
وَكَانَ مِمَّنْ يَرَى فَضْلَ الإِمْسَاكِ وَيَضِنُّ بِنُفَاثَةِ السِّوَاكِ
جَثَا أَبُو زَيْدٍ بَيْنَ يَدَيْهِ وَقَالَ أَيَّدَ اللهُ القَاضِيَ وَحَبَّبَ
إِلَيْهِ التَّقَاضِيَ إِنَّ مَطِيَّتِي هَذِهِ أَبِيَّةُ القِيَادِ كَثِيرَةُ
الشِّرَادِ مَعَ أَنِّي أَطْوَعُ لَهَا مِنْ بَنَانِهَا وَأَحْنَى عَلَيْهَا مِنْ
جَنَانِهَا فَقَالَ لَهَا القَاضِي وَيْحَكِ أَمَا عَلِمْتِ أَنَّ النُّشُوزَ

يغضب الرب ويوجب الضرب فقالت انه ممن يدور خلف
الدار ويأخذ الجار بالجار فقال له القاضي تباً لك
أتبذر في السباخ وتستفرخ حيث لا افراخ اعزب عني
لا نعم عوفك ولا أمن خوفك فقال ابو زيد انها ومرسل
الرياح لأكذب من سجاح فقالت بل هو ومن طوق الحمامة
وجنح النعامة لأكذب من ابي ثمامة حين مخرق باليمامة
فزفر ابو زيد زفير الشواظ واستشاط استشاطة
المغتاظ وقال لها ويلك يا دفار يا فجار يا غصة البعل
والجار اتعمدين في الخلوة لتعذيبي وتبدين في الحفلة
تكذيبي وقد علمت اني حين بنيت عليك ورنوت اليك الفيتك
أقبح من قردة وايبس من قدة واخشن من ليفة وانتن
من جيفة واثقل من هيضة واقذر من حيضة وابرد
من قرة وابرد من قر واحمق من رجلة واوسع

من دجلة فسترت عوارك ولم ابد عوارك على انه لو حبتك
شيرين بجمالها وزبيدة بمالها وبلقيس بعرشها وبوران بفرشها
والزباء بملكها ورابعة بنسكها وخندف بفخرها والخنساء
بشعرها لأنفت ان تكوني قعيدة رحلي وطروقة فحلي
قال فتذمرت المراة وتنمرت وحسرت عن ساعدها وشمرت
وقالت له يا ألأم من مادر وأشأم من قاشر واجبن من
صافر واطيش من طامر اترميني بشنارك وتفري عرضي
بشفارك وانت تعلم انك احقر من قلامة واعيب من بغلة
ابي دلامة وافضح من حبقة في حلقة واحير من بقة
في حقة وهبك الحسن البصري في فضله ووعظه و
الشعبي في علمه وحفظه والخليل في عروضه ونحوه وجريرا
في غزله ونسيبه وقسا في فصاحته وخطابته وعبد الحميد
في بلاغته وكتابته وابا عمرو في قراءته واعرابه وابن قريب

في رواية عن اعرابية انطقتني لئن ارضاك اما المحابي وحاما
لا والله لا ابو ابا لبابي ولا اعصابا لجرابي فقال لهما القاضي
اذا كانا شتا وطبقة وحداة وبنيقة فانزل بهما الرجاء
الا الله واسلك في سبيل الجحد واما انت فلعلي عن
ثيابه وفرشي اذا انقبت الباب من بابه فقالت المراة
والله ما يحجز عنه لياني الا اذا كساني ولا ارفع له
شراعي دون اشباعي فحلف ابو زيد بالمحرجات الثلث
انه لا يملك سوى اطمار الرثاث فنظر القاضي في قصتهما
نظر الالمعي وافكر فكرة اللوذعي ثم اقبل عليهما
بوجه قد قطبه وعجز قد غلبه وقال الم يكفكما التسافه
في مجلس الحكم والاقدام على هذا الجرم حتى ترقيتما
من فحش المقاذعة الى خبث المخادعة وايم الله لقد
اخطات استكما الحفرة ولم يصب سهمكما الثغرة

فان امير المؤمنين اعز الله ببقائه الدين نصبني لاقضي
بين الخصماء لا لاقضي دين الغرماء فوحق نعمته التي
اهلتني هذا المحل وملكتني العقد والحل لئن لم توضحا
لي جلية خطبكما وخبية خبكما لانددن بكما في الامصار
ولاجعلنكما عبرة لاولي الابصار فاطرق ابو زيد اطراق
الشجاع ثم قال له سماع سماع

انا السروجي وهذي عرسي ... وليس كفو البدر غير الشمس
وما تنائي انسها وانسي ... ولا تنائي ديرها عن قدسي
ولا عدت سقيا ارض غرسي ... لكننا منذ ليال خمس
نصبح في ثوب الطوى ونمسي ... لا نعرف المضغ ولا التحسي
فخبر عن الصبر والتاسي ... وشفنا الفقر اليم المس
فمنا السعيد الجد او المنحس ... هذا المقام لاجتلاب فلسي
والفقر يلجي الحر حين يرسي ... الى التحلي بلباس اللبس

من حالي وهذا ادبي فانظر الى يومي وسل عن امسي
وامر بحيلتي ان انشا او حبسي ففي يديك صحتي ونكسي

فقال له القاضي ليثبت انسك ولتطب نفسك فقد
حق لك ان تغفر خطيئتك وتوفر عطيتك فبارت الرقعة
عند ذلك استطالت واشارت الى الحاضرين وقالت يا اهل

تبريز لكم حاكم اوفى على الحكام تبريزا
ما فيه من عيب سوى انه يوم الندى قسمته ضيزى
قصدته والشيخ يبغي جنى عوده لا زال مهزوزا
فسرح الشيخ وقد نال من جدواه تخصيصا وتمييزا
وردني اخيب من شائم برقا خفى في شهر تموزا
كانه لم يدر اني التي لقنت الشيخ الاراجيزا
واني لو شئت غادرته اشهر من كان في ارض تبريزا

فلما راى القاضي اجتراء جنانها وانصلات لسانها

علم انه قد مني منهما بالداء العياء والداهية الدهياء
وانه متى منح احد الزوجين وصرف الآخر صفر
اليدين كان لمن قضى الدين بالدين او صلى المغرب
ركعتين فقطب وبسر واطرق واسر وحمحم وهمهم
وغمغم ثم التفت يمنة وشامة وتململ كآبة و
ندامة واخذ يذم القضاء ومتاعبه ويعدد شوائبه
ونوائبه ويتافف من طالبه وخاطبه ثم تنفس كالمستنفس
الحزين وانتحب حتى كاد يفتضح بالنحيب وقال ان
هذا الشيء عجيب ءارشق في موقف بسهمين انا اليوم في
غضبين معرض بين الاطيقين لن ارضي الخصمين ومن اين
ومن اين ثم عطف الى حاجبه المنفذ لمآربه وقال
ما هذا يوم حكم وقضاء وفصل وامضاء هذا يوم اغتمام
وهذا يوم راعتزام ام هذا يوم البحران هذا يوم الحزان

هذا يوم عصيب هذا يوم نطاب فيه ولا نصيب
فأرحني عن هذين المهذارين واقطع لسانهما عني بدينارين
ثم فرق الأصحاب وأغلق الباب وأشاع أنه يوم مذموم
وأن القاضي فيه مهموم لئلا يحضره خصوم قال
فأقر الحاجب على دعابته وتباكى لبكائه ثم نقد أبا زيد
وعرسه المتقالين دينارين وقال أشهد أنكما لأحيل المتغالين
لكن احترما مجالس الحكام واجتنبا فيها فحش الكلام فما
كل قاض قاضي تبريز ولا كل وقت تسمع الأراجيز
فقالا له مثلك من حجب وشكرك قد وجب ونهضا
وقد حظيا بدينارين وأصليا قلب القاضي نارين

تفسير ما تضمن هذه المقامة

من ألفاظ اللغوية والأمثال العربية قوله

لقيت منها عرق القربة هذا مثل يضرب لمن لقي شدة
من أمر الذي يزاوله كما أن حامل القربة يلقى جهداً حتى
يعرق وقوله جعلته دبر أذني يعني أطرحته ولم
ألتفت إليه فنبذوه وراء ظهورهم وقوله الكذب من سجاح
يعني التي تنبأت في عهد مسيلمة الكذاب وسارت إليه
لتناظره وتخبره ثم آمنت به ووهبت نفسها له وهما
اسمان مبنيان على الكسر مثل حذام وقطام لكونهما من
الأسماء المعدولة ولاشتقاقه من السجاحة وهي
السهولة ومنه قولهم إذا ملكت فأسجح وقولها
الكذب من أبي ثمامة يعني كنية مسيلمة الكذاب كان
تنبأ باليمامة ومخرق بها إلى أن سار إليه خالد بن الوليد
وقتله وقوله لا أنعم عوفك العوف الحال والعوف
أيضاً الذكر ويدعى للباني على أهله فيقال له أنعم عوفك

وقوله يا دفار يا مجار هذان اسمان معدولان عن دفرة
وفاجرة والدفر النتن وبه سميت الدنيا ام دفر وكلما
سمي بصفة غالبة ثم عدل بها الى فعال بني على الكسر
عند النداء كقولك يا لكاع ويا خباث ويا دفار ويا مجار
ولا يجوز استعماله كذلك الا في النداء او الا في ضرورة الشعر
كقول الحطيئة: اطوف ما اطوف ثم اوي
الى بيت قعيدته لكاع. واما قوله احمق من رجلة
فهي ضرب من الحمض تنبت في مجاري السيل فتجتره فلهذا حمقت
واما قولها يا الأم من مادر فهو رجل من بني هلال
بن عامر كان اتخذ حوضا ليسقي ابله فلما رويت سلح
فيه ومدر به حوضه لئلا ينتفع به احد من بعده واما
قولها اشأم من قاشر فانه فحل كان في بعض قبائل
سعد بن زيد مناة ما طرق ابلا الا ماتت وقيل

في غير النداء

المراد به العام المجدب سمي قاشرا لقشره وجه الارض
من النبات واما قولها اجبن من صافر فقد اختلف في
تفسيره فقال بعضهم عني به كل ما يصفر من الطير
وخص بالجبن لكثرة ما يتقيه من جوارح الجو ومصايد
الارض وقيل انما طائر بعينه اذا جنه الليل تعلق
ببعض الاغصان ولم يزل يصفر طول ليلته خوفا من
ان ينام فيؤخذ وقيل انه الذي يصفر بالمرأة لريبة
فهو يجبن ويثبت صفيره مخافة ان يظهر على امره وقيل
ان المراد به في المثل المصفور به وهو الذي يبذر بالصفير
ليهرب فعلى هذا القول فاعل ههنا بمعنى مفعول
كقوله تعالى من ماء دافق اي مدفوق وكقولهم راحلة بمعنى
مرحولة وهو كثير في كلامهم وقد جاء مفعول بمعنى
فاعل كقوله تعالى حجابا مستورا اي ساترا وقوله تعالى انه

كان وعده فأتيناه وأما قولها أطبيش من طامر فالمراد
به البرغوث وسمي طامر بن طامر لكثرة وثوبه وأما قول القاضي
أراكما شنا وطبقة وجداه وتبدفه فإنه أراد بأن
كلا منهما كفو لصاحبه ومقاوم له ولكل من المثلين
تفسير مختلف فيه أما شن وطبقة فإن العلماء مختلفون
في معنى قولهم وافق شن طبقة فقال الأكثرون إنهما
قبيلتان فشن هو ابن أفصى بن دعمي بن جديلة بن أسد بن
ربيعة بن نزار وطبقة حي من إياد وكانت طبقة لا تطاق
فأوقعت بها شن فانتصفت منها وقال بعضهم كان
شن رجلا من دهاة العرب كان ألزم نفسه ألا يتزوج
إلا بامرأة تلائمه وكان يجوب البلاد في ارتياد طلبته فصا
حبه رجل في بعض أسفاره فلما أخذ منهما السير قال له
شن أتحملني أم أحملك فقال له الرجل يا جاهل وهل

يحمل الراكب الراكب فأمسك عنه وسارا حتى أتيا على زرع فقال له
شن أترى هذا الزرع أكل أم لا فقال له يا جاهل أما تراه
في سنبله فأمسك إلى أن استقبلتهما جنازة فقال له
شن أترى صاحبها حيا فقال له ما رأيت أجهل منك أتراهم
حملوه إلى القبر حيا ثم إنهما وصلا إلى قرية الرجل فصار
به إلى منزله وكانت له بنت تسمى طبقة فأخذ يطرفها
بحديث رفيقه فقالت له ما نطق إلا بالصواب ولا استفهمك
إلا عما يفهم عن مثله أما قوله أتحملني أم أحملك
فإنه أراد أتحدثني أم أحدثك حتى نقطع الطريق
بالحديث وأما قوله أترى هذا الزرع أكل فإنه
أراد هل استسلف أربابه ثمنه وأما استفهامه
عن حياة صاحب الجنازة فإنه أراد هل خلف عقبا
يحيا بذكره أم لا فلما خرج إلى الرجل وحدثه بتأويل

ابنتيه كلاهما فخطبها اليه فزوجه اياها فلما سار الى
قومه وخبروا ما فيها من الدهاء والفطنة قالوا وافق
شن طبقة فسارت مثلا وحكى ان الاصمعي سئل عن
تفسير هذا المثل فقال اظن ان الشن وعاء من ادم
كان قد يبس وتشنن فلما اتخذ له غطاء وافقه فضرب فيه
المثل ولعا حداه وبندقه فانه يقال في المثل المضروب
لمن يفزع بعدوه او يبلى بنظيره حدا احدا وراك بندقه
وكان من اصل حداه باثبات الهاء فرخم في النداء وقيل
اختلف في المراد بهما فقيل هما الطائر المعروف وبندقه
بندقة الرامي وقيل انهما قبيلتان من سعد العشيرة
فاغارت حداه وكانت تنزل بالكوفة على بندقه وكانت
تنزل باليمن فنالت منهم ثم كرت بندقه على حداه فابحت
عليهم وروى بعضهم هذا المثل حدا حدا غير مهموز

على مثال عصا وقفا وزعم انه اسم القبيلة ولعا
قوله لعطاف استكما الحفرة فانه مثل يضرب لمن يخطي
في مفصله ويضع الشيء في غير موضعه اما قوله
طرمح وطلسم فمعنى طلسم كره وجهه ومعنى طرمح اطرق وقوله
لعرنظم وبرطم لي غضب مع تعبس وقوله همهم وغمغم
اي ما بين الكلام وقيل معنى لعرنظم غضب مع كبر
ومعنى برطم غضب مع تعبس

المقامة الحادية والاربعون

حكى الحرث بن همام قال اطعت دواعي التصابي في غلواء
شبابي فلم ازل زير الغيد واذنا للاغاريد الى ان
وافى النذير وولى العيش النضير فنزعت الى رشد
الانتباه وندمت على ما فرطت في جنب الله ثم اخذت

في كسع الهنات بالحسنات وتلافي الهفوات قبل الفوات
فملت عن مغاداة الغادات إلى ملاقاة التقاة وعن
مقاناة القينات إلى مداناة العيابات أهل الديانات
وآليت ألا أصحب إلا من نزع عن الغي وقاد منشره
إلى الطي وإن ألفيت من هو خالع الرسن مديد الوسن
أنأيت داري عن داره وفررت من عره وعاره فلما
ألقتني الغربة بتنيس وأحلتني مسجدها الأنيس
رأيت به ذا حلقة ملتحمة ونظارة مزدحمة
وهو يقول بجأش متين ولسان مبين مسكين ابن آدم
وأي مسكين ركن من الدنيا إلى غير ركين واستعصم
منها بغير مكين وذبح من حبها بغير سكين يكلف
بها لغباوته ويكلب عليها لشقاوته ويعتد فيها
لمفاخرته ولا يدخر منها لآخرته أقسم بمن مرج

البحرين ونور القمرين ورفع قدر الحجرين لو عقل ابن آدم
لما نادم ولو افتكر فيما قدم لبكى الدم ولو ذكر المكافاة
لاستدرك ما فات ولو نظر في المآل لحسن قبح الأعمال
يا عجبا كل العجب لمن يقتحم ذات اللهب في اكتناز
الذهب وخزن النشب لذوي النسب ثم من البدع
العجيب لمن يعظك وخط المشيب ويؤذن شمسك
بالمغيب ألست تُني أن تنيب وتهذب المعيب ثم
اندفع ينشد إنشاد من يرشد بصوت عال وحلق بال

يا ويح من أنذره شيبه وهو على غي الصبي منكمش
يعشو إلى نار الهوى بعدما أصبح من ضعف القوى يرتعش
ويمتطي اللهو ويحتجه أوطأ ما يفترش المفترش
لم يهب الشيب الذي ما رأى نجومه ذو اللب إلا دهش
ولا انتهى عما نهاه النهى عنه ولا بالى بعرض خدش

فذاك ان مات فسحقاً له ولن يعش فهو كمن لم يعش

لا خير في محيا امرئ نشره كنشر ميت بعد عظم نبش

وحبذا امرؤ عرضه طيب يروق حسناً مثل برد رقش

فقل لمن قد شاكه ذنبه هلكت يا مسكين او تنتعش

فاخلص التوبة تطمس بها من الخطايا السود ما قد نقش

وعاشر الناس بخلق رضى ودار من طاش ومن لم يطش

وريش جناح الحر ان حصه زمانه لا كان من لم يرش

وانجد الموتور ظلما فان عجزت عن انجاده فاجهش

وانعش اذا ناداك ذو كبوة عساك في الحشر به تنتعش

وهاك كاس النصح فاشرب وجد بفضلها لكاس على من عطش

قال فلما فرغ من مكالمة وقضى انشاد ابياته نهض

صبي قد شدن واعتدى البدن وقال يا ذوي الحصاة

والانصات الى الوصاة قد وعيتم الانشاد وفهمتم

الارشاد فمن نوى منكم ان يقبل ويصلح المستقبل

فليبرز بتهاي عن نيته ولا يعدل عني بعطيته فوالذي

يعلم الاسرار ويغفر الاصرار ان سريرتي لكما ترون

وان وجهي لمستوجب الصون فاعينوني رزقتم العون

قال فاخذ الشيخ ابنما يعطف عليه القلوب ويبني

له المطلوب حتى انبط حفره واعشوشب قفره

فلما ان ترع الكيس انفصلت بنيتي ووجد نتيش ولم يجلس

للشيخ المقام بعد ما انصاع الغلام فابيث فرع

الابي للذع عاتم تخانج الانكفاء قال الراوي فاخش

الى ان اعجمه واحل من جمه فتبعته وهو يتنذ

في مشيته ولا يتقي رنق مشيته فلما امن المفاجي وامكن

التناجي افضت حديثه الى وسلم في ابان البشاشة على

وقال الا اكل ذكاك ذاك الشويدن نغل لي والمغر المهبش

فقال إنه فتى السروجي ومخرج الدر من اللجي فقلت
أشهد أنك لشجرته ثمرة وشواظ شرره فصدق
كهانتي ولم يخش إبانتي ثم قال هل لك في إنذار البيت
لنتنازع كأس الكميت فقلت له ويحك أتأمرون
الناس بالبر وتنسون أنفسكم فافتر افترار ماحل
من غير ماحل ثم بدا له أن تراجع وقال احفظها
عني وعلى أمره بطرف الراح عنك أسى وروح القلب وابتسم
وقل لمن لامك فيما تدفع عنك الهم قد كذبت
ثم قال أما أنا فسأنطلق إلى حيث أصطبح وأغتبق
وإذا كنت لا تصحب ولا تأبى من طرب فلست لي
برفيق ولا طائلك بطريق فخل سبيلي ونكب ولا
تتقو عني ولا تتعتب ثم ولى مدبرا ولم يعقب
قال الحرث بن همام فبهتّ وجدا عند انطلاقه
ووددت لو لم ألقه

المقامة الثانية والعشرون

حكى الحرث بن همام قال رامت بي مرامي النوى وما يلي
المهوى إلى أن صرت ابن كل تربة وأخا كل غربة إلا
أني لم أكن أقطع واديا ولا أشهد ناديا إلا لاقتباس
الأدب المسلي عن الأشجان المغلي قيمة الإنسان حتى
عرفت لي هذه الشنشنة وتناقلتها عني الألسنة
وصارت أعلق بي من الهوى ببني عذرة والشجاعة
بآل أبي صفرة فلما ألقيت الجران بحلوان واصطفيت
بها الخلان والجيران تخذت أنديتها معهدي وخيمتي
فكانت مغداي ومرواحي فكنت أتعهدها صباحا ومساء وأظهر
فيها على ما سر وساء فبينا أنا في نادٍ محشود ومحفل
مشهود إذ جثم لدينا شيخ عليه هدمان نجيبة

كلفن بلسان ذلق ثم قال يا بدور المحافل وبحور المقاول
وقد تبين الصبح لذي عينين وناب العيان مناب
عدلين فماذا ترون فيما رزن اتحبون العهد ام تاوب
اذ نبذ عهده فقالوا تالله لقد غظت ورمت لنا شططا
فحصحصت فناشدهم الله عما دا اصابهم حتى استوجب
ودهم فقالوا انا كنا نتناضل بالالغاز كما يتناضل
يوم البراز بالنبال لمن شغب من المنضول الحق هذا
الفضل بمرط الفضول فليشكه لسن القوم وحرفهم
يا بنية اللوم والحذ منو يتنصل من هفوته ويتندم
على فوهته ثم مضيون على مواخذته وملبوت
داعي مثابته الى ان قال لهم يا قوم لم الاحتفال
من كرم الطبع فعقد واعن اللذع والقذع ثم قال
هلم الى ان نلغز وتحكم المبرد فسكن عند ذلك

ثم قد منهم واخلص عقدهم ورضوا بما شرط عليهم ولهم
واقترحوا ان يلغز لهم فاحسل ريثما يعقد
المشتع او بسند يسنع ثم قال اسمعوا وقيتم الطيش
ومليتم العيش وانشد ملغزا اي مروحة الخيش
وجارية في سيرها مشمعلة ولكن على اثر المسير قفولها
لها سائق من جنسها يستحثها على انه في الاحتثاث رسيلها
ترى في اوان القيظ تنطف بالندى ويبدو اذا ولى المصيف نحولها
ثم قال وكالكم يا اولي الفضل ومراكز العقل وانشد
ملغزا في حابول النخل وحنتسب الى ام نشا اصله منها
يعانقها وقد كانت نفته من عنها
بهبتو صل الجاني والبلي ولا نبهي ثم قال وكم الخفية
العلم المعنكر الظلم وانشد ملغزا في القلم
ومأموم به عرف الامام كما باهت بصحبته الكرام

لهُ إذ يرتعي طيشانُ صادٍ ويبكي حين يعروه الحُوام

ويُذري حين يَنشَغ دموعًا يرق كما يروق لدى ابتسام

ثم قال وعليكم بالواضحة الدليل الغامضة ما قيل

وأنشد ملغزًا في الميل وما ناكحٍ أختين جهرًا وخفيةً

وليس عليه في النكاح سبيلُ متى يغشَ هذي يغشَ في الحال هذه

ولئن مال بعلٌ لم يجد بميلِ يزيدهما عند المشيب تعهّدا

وبرًّا وهذا في البعول قليلُ ثم قال وعليكم بهذه يا أولي

الألباب بصفاء ثم أنشد ملغزًا في الدولاب

وجافٍ وهو موصولٌ وصولٌ ليس بالجافي

غريقٌ بارزٌ فاعجب له من راسبٍ طافي

يسحّ دموعَ مهضومٍ ويهضم هضمَ متلافِ

ويُخشى منه حدّته ولكن قلبُه صافي

قال فلما ذرّت بالخمس التي نسّق قال يا قوم تدبّروا

ثم رأيكم وضمّ الذيل أو ازدياد من الكيل قال فاستغربت

القوم شهوة الزيادة على ما أشبه نوادر البلاد فقالوا

لئن لم نفز فؤادنا من جذل لنعجمنّا عن إصابة زندك

قال أتممت عشرًا أفمن عندك فاهتزّ اهتزاز من فَلَج

سهمه وأخرج خصمه ثم افتتح النطق بالبسملة

وأنشد ملغزًا في المِرمَلة ومحبوبةٍ معمومةٍ طول عمرها

وما هي تدري ما السرور ولا الغمّ تقرّب لحبّا بالجل حسنها

وكم ولدٍ لو رآه طلقت لأمٍّ وبعد الحبّا ما وطال عهدها

وإبعاد من لم يبخل عهده ظلم إذا قصّر الليل استلذّ وصالها

ولئن طال فالإعراض عن وصلها نعم لها ملبسٌ بادٍ أنيقٌ مبطّن

بما يُردى لكن ما يدري الحكيم كثر عن أنيابه يرعى والشرب

الصغر وأنشد ملغزًا في الظُّفر ومحجوبٍ الشبا أم وقام

يُهنى في العرّ دون الحرّ فاسمع صفته واعجب ثم تجاوز

تحاذر العقرب، وأنشد ملغزًا في طاقة الكبريت

وما مجبورة تُدنى فتُقصى وما منها إذا أفكرت بُدّ

لها رأسان مشتبهان جدًا وكلّ منهما للأخيه ضدّ

تُعذَّب إن هما خُضِبا وتُلغى إذا عَدِما الخضاب ولا تُعدّ

ثم تخمّط تخمّط القرم، وأنشد ملغزًا في حلب الكرم

وما شيء إذا فسدا تحوّل غيّه رشدًا وإن هو راق أوصافًا أثار الشرّ

زكيّ العرق والده ولكن بئس ما ولدا ثم اعتضد عصا

التسيار، وأنشد ملغزًا في الطيّار وذي طيشة شقّه مائل

وما عابه بهما عاقل يُرى أبدًا فوق علّيّة

كما يعتلي الملك العادل يساوي لديه الحصا والنضار

وما يتّقي الحقّ والباطل وأعجب أوصافه إن نظرت

كما ينظر الكيّس الفاضل تراضى الخصوم به حاكمًا

وقد علموا أنه مائل قال فطِنّا لأوكار نيّتهم في أودية

شعر

الموكام ونجول جولان المستهام إلى أن طال الأمد وحصحص

الكمد، فلما رأيتم يزيدون ولا ينسأون، وينقضون النهار بالمنى

قال يا قوم إلام تنظرون، وحتّام تنظرون؟ ألم يأن لكم

لاستخراج الخبي واستسلام الغبي، فقالوا: والله تالله لقد

أعوضت ونصبت الشرك فنقضت، فنحكّمه كيف شئت

وحز الغنم والصيف، فعرض عن كل معمّى فضّا واستخلصها

منهم نضائم فنحج لا قفال، ووسم لا عقال وحاول الإ

جفال، فاعتلق به مدره القوم وقال: لا لبثة بعد اليوم

فاستنسب قبل الانطلاق، وهب لنا منعة الطلاق وأطرق

حتى قلنا مريب، ثم أنشد والدمع مجيب

سروج مطلع شمسي وربع لهوي وأنسي لكن حرمت نعيمي بها و لذّة نفسي

فاعتضت عنها اغترابًا أمرّ يومي وأمسي خالي مغرّ بادحي ولا قرار لعنسي

يومًا بنجد ويومًا بالشأم أضحي وأمسي أزجي الزمان بقوت منغّص مغبّس

ولا ابيت وعندي فلس ومن لي بفلس ومن يعش مثل عيشي باع الحجر بالحجر

ثم انه احتضن خلاصة النقد وبدر ضاربا في الارض

فناشدناه ان يعود واسنينا له الوعود فولّى وابى ان يرجع

المقامة الثالثة والاربعون

اخبر الحارث بن همام قال هفا بي البين المطوّح والسير المبرّح

الى ارض يضل بها الخرّيت وتفرق فيها المصاليت فوجدت

ما يجد الحائر الوحيد ورأيت ما كنت منه احيد الا اني

شجّعت قلبي المزءود ونسأت نضوي المجهود وسرت

سير الضارب بقدحين المستسلم للحين ولم ازل بين

وخد وذميل واجازة ميل بعد ميل الى ان كادت

الشمس تجب والضيا يحتجب فارتعت لاظلال الظلام

واقتحام جيش حام ولم ادر أأكفت الذيل وأربط

ام اعتمد الليل واختبط وبينا انا اقلب العزم وامتخض

الحزم تراءى لي شبح على جمل جنيذ بجبل فتحت حبشته

فخلته مربح وقصدته قصد منتجع فاذا الظن كهانته

والفعلة عيرانة والمربح فدا ادمل بجاده والكحال

بن قادم فجلست عند راسه حتى هبّ من نعاسه فلما ادّهر

سر بجاده ولحنين تمز فاجاه نفر كما ينفر المريب وقال

لعوذ ام الذيب فقلت بل خابط ليل ضل المسلك فاصح

الى قدح لك فقال ليسر عنك همك فرب اخ لم تلده امك

فانسني عند ذلك لشفاقي وسرى الوجيب الى املاقي فقال

عند الصباح يحمد القوم السرى فهل لك كما ارى

فقلت اني لا اطوع لك من حذائك واوفق من غذائك

فصدع بمحبتي وبجح بصحبتي ثم لحسنا مجدين

وادّرعنا مدّ الحين ولم نزل نعاني السرى ونعاصي الكرى

الى ان بلغ الليل غايته ورفع الفجر رايته فلما اسفر الفاضح
ولم يبق الا واضح توسمت رفيق رحلتي وسمير ليلتي فاذا
هو ابو زيد مطلب الناشد ومعلم الراشد فتهادينا تحية
المحبين اذا التقيا بعد البين ثم تباثثنا الاسرار وتنابثنا
الاخبار وبعيري يتخطى من الكلال وراحلته ترتق وتزيف
الرئال فاعجبني لشية جلدها واسترها واشتد لحصيرها وتحذق
ليتسفر جوهرها ولبانها من اين تخيرتها فقال ان لهذه
الناقة خبرا احلى من المذاقة املح من السياقة فان احببت
استماعه فانخ وان لم تشأ فلا تنض فانخت لقوله نضوي
واهدفت للسمع لما يرويه فقال اعلم اني استعرضتها
بحضرموت كابدت في تحصيلها الموت ومازلت اجوب
عليها البلدان واطس بها الظراب الى ان وجدتها عبر
اسفار وعلة قرار لا يلحقها العثار ولا تواهقها

وانها كالهباء فارصدتها للخير والشر وأهلتها
لمحل البر والسر فاتفق لمن نزع من مدة وطال سؤلها
فقدته فاستشعرت له الاسف واستشرفت التلف
ونسيت كل رزء سلف ومكثت ثلاثا لا استطيع
ابتغاثا ولا اطعم النوم الا حثاثا ثم اخذت في استقراء
المسالك وتفقد المسارح والمبارك وانا لا استنشي
منها ريحا ولا ابتغي بابتغائها نجاحا وكلما اذكرت مضاء
ها في السير وانبراءها كالمبارات الطير لا اعني الادكار
ولا يلتهي الافكار فبينما انا في حواء بعض الاحياء اذ
سمعت من شخص متبعد وصوت متنجد من ضلت
له مطية حضرمية وطية جلدها قد وشم وعن كاهلها
قد جشم وزمامها قد ضفر وظهرها كان قد كسر ثم جبر
تبذ المطايا في الماشية ويحبس الناشية وتقطع المسافة

النائبة ونطق إذ ذاك مثلًا ابنتك لا يعتورها الونى ولا
يعترضها الوجى ولا تحوج إلى العصا ولا تعصي فمن عصا
قال أبو زيد فجذبني الصوت إلى الصايت وشرى بي بدر
الغايب فلما أفضيت إليه وسلّمت عليه قلت له سلّم المطيّة
وتسلّم العطيّة فقال وما مطيّتك غفرت خطيئتك فقلت
ناقة جثتها كالهضبة وذروتها كالقبة وحلبها
ملء العلبة وكنت أعطيت بها عشرين حين حلّت
بيبرين فاستزدت الذي أعطى ودريت أنه قد أخطا
قال فأعرض حين سمع صفتي وقال لست بصاحب لقطتي
فأخذت تلابيبه وأصررت على تكذيبه وهممت بتمزيق
جلابيبه وهو يقول يا هذا أما مطيتي بطلبك فاكفف
من غربك وعد عن سبك وإلا فقاضني إلى قاضي هذا
الحي البريء من الغي فإن أوجبها لك فتسلّم ولا تروم إلمامًا

عنك فلا تتكلم فلم أر دواء أقصى ولا إساغ غصتي
إلا الرضى بالحكم ولو لكم فانخرطنا إلى شيخ ركين الهضبة
أنيق العصبة يونس منه سكون الطائر وإن لبس
لا يجابر فانتدبت أتظلم وأنا ألم وصاحبي مسرم
لا يتبرم حتى إذا انبتت كنانتي وفضضت جراب القصص
أبان عن أبرد نعلًا رزينة الوزن محذوفة لمسكل
الحزن وقال هذه التي عرفت وإياها كما وصفت فإن كانت
هي التي أعطي بها عشرين وكان مؤمن المتبصرين فقد كذب
في دعواه وكبر ما افتراه اللهم إلا أن يمد قبل أمده
ويبين مصداق ما قاله فقال الحكم اللهم غفرًا
وجعل يقلب النعل بطنًا وظهرًا وقال أما هذا النعل
فنعلي وأما مطيتك ففي رحلي فانهض لتسلم ناقتك
وافعل الخير بحسب طاقتك فقمت وقلت أقسمت بالبيت العتيق ذي الحرم
والطائفين العاكفين في الحرم

إنّا نعم من البيد بحيّكم وخبر قاضٍ غير كاذب حلمكم

فاسلم ودم دوم النعام والنعم فأجاب من غير روية

ولا عقد نية وقال جُزيتَ عن شكلك خيرًا يا ابن عم

إذ لستُ أستوجب شكرًا إيلامًا شرّ الأنام من إذا استغنى ظلم

ثم من ينبغي فلم يرع الحرم فذلك والكلب سواء في الغنم

ثم إنه تقفى بين يدي من سلم الناقة إلى ولم يحتفز

فجئنا على فرحنا أجرّ ذيل الطرب بنجح الأرب وأقول يا للعجب

قال الحارث بن همام فقلت له تالله لقد أطرفت وبهرت

بما عرفت فناشدتك الله ألك لعقبيا أسحر منك بلاغة

وأحسن للفظ صياغة فقال اللهم نعم فاسمع

وأنعم كنت عزمت حين تحنكت على أن أتخذ ظعينة لتكون

لي معينة فحين تعيّن الخطب وكاد الأمر يستتب

أفكرت في المتخيّر من الوسم المتأثل كيف يقطع البهم

وبتّ ليلتي أناجي القلب المعذب وأقلّب العزم المذبذب

إلى أن أجمعت على أن أسحر وأشاور أول من أبصر

فلما قوّضت الظلمة أطنابها وولّت الشهب أذنابها

غدوت غدوّ المتعرّف ابتكرت ابتكار المتحيّف فانبرى

لي يافع في وجهه سافع فتيمنت بمنظره البهج

وليستفتحن ذا لبّ في التزويج فقال أو تبغي

عوانًا أم بكرًا أتعانيني فقلت لخيرٍ لي فإنهما فقد

التبست البكر العذري فقال إلي التبيين وعليك التخيير

فاسمع أنا أفديك بعد دفن أعاديك أما البكر فالدرة

المخزونة والبيضة المكنونة والثمرة الباكورة

والسلافة المدخرة والروضة الأنف والطوق

الذي لم يُشرف لم يدنسها لامس ولا استغشاها

لابس ولا مارسها عابث ولا وكسها طامث ولها الوجه

الجنيّ والطرف الخفيّ واللسان العيّ والقلب النقي
ثم هي الدمية الملاعبة واللعبة المداعبة والغزيّلة
المغازلة والملحة الكاملة والوشاح الطاهر
القشيب والضجيع الذي يشبّ ولا يشيب وأما الثيّب
فالمطيّة المذلّلة واللهنة المعجّلة والبغية
المسهّلة والطبّة المعلّلة والقرينة المتحبّبة و
الحليلة المتعرّبة والصناع المدبّرة والفطنة المجرّبة
ثم إنها عجالة الراكب وأنشوطة الخاطب وقنعة العاجز
ونهزة المبارز عريكتها ليّنة وعقلتها هيّنة ودخلتها
متبيّنة وخدمتها متزيّنة وأقسم لقد صدقت في
النعتين وجلّيت المذهبين فبأيّهما هام قلبك وعلى أيّهما
قام دربك قال أبو زيد فرأيته جنّة يتّقي بها المراجم
ويدمي منها المحاجم إلا أني قلت له كنت سمعت أن

البكر أشدّ حبًّا وأقلّ خبًّا فقال قد لعمري قيل هذا
ولكن كم قول أذى ومحكّ إنما هي المهرة الأبيّة العنان
والمطيّة البطيئة الإذعان والزندة المتعسّرة الاقـ
تداح والقلعة المستصعبة الافتتاح ثم إن مؤونتها
كبيرة ومعونتها يسيرة وعشرتها صلفة وذات الدلال
منها كلفة ويدها خرقاء وفتنتها صمّاء وعريكتها خشناء
وليلتها ليلاء وفي رياضتها عناء وعلى خبرتها غطاء
وطالما أخزت المباعل وفركت المغازل لحمقة الهازل
وأضرعت العنيق الباذل ثم إنها تقول أنا البرّ والجلس
فاطلب من يطلق ويحبس فقلت له فما ترى في الثيّب
يا أبا الطيّب فقال ويحك أترغب في فضالة المآكل
وثمالة المنهل واللباس المستبذل والوعاء المستعمل
والذوّاقة المتطرّفة والخرّاجة المتصرّفة والوقاح

المتسلّطة والمحتكرة المتسخّطة ثم كلمتها كنت فَرِك
وطالما بغى عليّ فنصرت وشتّان بين اليوم وأمس
وهيهات أين القمر من الشمس ولكن أين الخنّانة البروك
أو الطمّاحة الهلوك فهي الغلّ القمل والجرح الذي
لا يندمل فقلت له فهل ترى لي أن أذهب وأسلك هذا
المذهب فإنني في انتظار الموهب عند ذلك المتأدب
ثم قال ويلك أتتغنّى بالرهبان وأنت أحق فقد استبان
أفّ لك ولأبي زائدك تبًّا لك ولأبي الذي لك أما سمعت
بأن لا رهبانية في الإسلام وأحدثت مناكح نبيك عليه وآله
أزكى السلام ثم أما تعلم أن القرينة الصالحة تزيّن
بيتك وتلبّي صوتك وتغضّ طرفك وتطيّب عرفك وبها
ترى قرّة عينك وريحانة أنفك وفرحة قلبك وذخيرة
يومك وغدك فكيف رغبت عن سنّة المرسلين ومتعة

المتأهلين وشرعة المحصنين ومجلبة المال والبنين
والله لقد شانني فيك ما سمعت منك ثم أعرض إعراض
المغضب ونحا انتزاء العنظب فقلت له قاتلك الله
انطلق متبخترًا أو تبذّ بي متجبرًا أمثالك أظنّك تدّعي
الخبرة لتخلب عمرة وتنتهي عن المهرة فقلت
له قبّح الله ظنّك ولا أشبه فيك ثم رحت عنه مراح
الخزيان وتبت من حرورة الصبيان قال الحارث
بن همام فقلت له أقسم بمن أنبت الأيك لقد أجاد مثالك
وإليك فأغرب في الضحك وطرب طربة المتهكّم ثم قال
أعزّ العيد ولا أنسل فأخذت أستهيب في مدح الأدب
وأفضّل رتبة على نخل النسب وهو يتبرّط على زطر
المتنبل ويغضي عنّي إغضاء المتمهّل فلمّا أفرطت
في العصبية للعصبة الأدبية قال صه واسمع مني وافقه

سيسمى المكثرين

يقولون ان جمال الفتى وزينته لعب راسخ وكلان يغرب

ومن طود سودده شامخ واما الفقير فخير له من الادب

القرص والكامخ واي جمال له لن يقال اديب يعلم او ناسخ

ثم قال سيتضح لكم صدق لهجتي واستنارة حجتي وسرنا

لا نالو جهدا ولا نتفق جهدا حتى اذا انا السير الى

قرية عزب عنها الخير فدخلناها للارتياد وكلانا

منفض من الزاد فلما لم بلغنا المحط والمناخ المختط

اذ لقينا غلام لم يبلغ الحنث وعلى عاتقه ضغث فحياه

ابو زيد تحية المسلم وساله وقفة المتفهم فقال عم تسال

وفقك الله فقال ايباع هاهنا الرطب بالخطب فقال لا والله

قال ولا البلح بالملح قال كلا والله قال ولا الثمر بالسمر

قال هيهات والله قال ولا الدقيق بالمعنى الدقيق فقال

عد عن هذا اصلحك الله واستحلى ابو زيد راجع القوال

واجزل لك الكابل من هذا الجرابث ولحى الغلام بان الشوط

بطين والمنتج شوبطين فقال حسبك يا شيخ فقد

عرفت فنك واستشففت انك تجتلب صبرة والكف

بعد حيرة اما بهذا المكان فلا يشترى الشعر بشعير

ولا النثر بنثارة ولا القصص بقصاصة ولا الر

سالة بغسالة ولا حكمة لقمن بلقمة ولا اخبار الملاحم

بلحمة واما جيل هذا الزمان فما فيهم من يمنح اذا

صيغ له المديح ولا من يجيز اذا نظمت له الاراجيز

ولا من يغيث اذا اطربه الحديث ولا من يمير ولو انه

امير وعندهم ان مثل الاديب كالربع الجديب ان لم

يجد الربع ديمة لم تكن له قيمة ولا دانته بهيمة

وكذا الاديب ان لم يعضده نشب فلدرته نصب

وحرفته حصب ثم انشد نجدو وولى يجد وفغار

فقال لي ابو زيد اعلمت ان الادب بار وولت انصاره
الادبار فبويت لذي بحن البصيرة وسلمت له بحكم
الضرورة فقال دعنا الآن من المصاع وخذ من حديث
القصاع واعلم ان الاسجاع لا تشبع من جاع فما
التدبير فيما يمسك الروح ويطفئ الحروق فقلت الامر
البكر الذي نام بيديك فقال ارى ان ترهن سيفك
ليشبع جوفك وضيفك فناولنيه واتم لا تغلب
لبك بما تلقيه فاحسنت به الظن وقلدته السيف
والرهن فما لبث ان ركب الناقة ورفض الصدق و
الصداقة فمكثت مليا اترقبه ثم نهضت اتعقبه
فكنت كمن ضيع اللبن في الصيف ولم العذر ولا السيف

المقامة الرابعة والاربعون

حكى الحرث بن همام قال عشوت في ليلة داجية الظلم
فاحمة اللمم الى نار تضرم على علم وتخبر عن كرم و
كانت ليلة جون كمامها مزرور وجيبها مزرور ونجمها
مغموم وغيمها مركوم وانا فيها اصرد من عين
الحرباء والعنز الجرباء فلم ازل انص عنسي واقول
طوبى لك يا نفسي الى ان نصر الموقد الى وتبين ارقالي
فانحدر يعدو والجمر يذكي ويبسم ثم انحدر
حييت من خابط ليل بائس هلا بك للاح ضوء النار
الى رحيب الباع رحب الدار مرحب بالطارق المنار
ترحاب جعد الكف بالدينار ليس بمزور عن الزوار
والبعث ام الفتى مجاد اذا اقشعرت زمن الاقطار
وضنت الانواء بالامطار فهو على بوس الزمان الضاري
جم الرماد مرهف الشفار لم يخل لبد ولا افطار

من نجر وار واقتداح نار ثم بلّغني نجاحي

وصافحني براحة اريحي وافادني الى بيت غاصّ

بخزره واعشاره تعوّذ ولا بدر منور ومع ابده فلذور

وباكناره اضياف قد جلبهم جالب وقلبوا في قالب

وهم يجتنون فاكهة الشتاء ويرجون مرح ذوي

الغناء فأخذت مأخذهم في الاصطلاء ووجدتهم

وجد النمل بالطلاء ولما ان سرى الخصر واسرى

الخصر أتينا نحو ابد كالهالات ذورا والروضات

نورا وقد تحزب ياطعة الولائم وجهزت من الغرائب و

اللائم فرفضنا ما فيه أخ البطنة ورأينا الاعطان

سكان الفطنة حتى اذا اكلنا بصاع الحطم ولثغنا

على خطر التخم تعاورنا مشوش الغم ثم بوأنا مقاعد

السمر واخذ كل منا يتسول بلسانه وينشر ما في

و م

صوانه ما عدا شيخا متشيها فوداه مخلولقا برداه فاس

وربض حجرة واوسعنا بحجرة فغاظنا تجنب الملبس مجمعه

المعذور وريبه موتنبا الا انا الينا له القول وخبنا في المبالغة

العول وكلما رمنا ان ينبض كما فضنا او يخيض فيما افضنا

اعرض اعراض العلية عن كلام ذلين وقال ان هذا الا

اساطير الاولين ثم كان الحمية لاجنة والنفس لابيته

ناجته فدلف وازدلف وخلع الصلف وبذل التلافي

ما سلف ثم استرعى سمع السامر واندفع كالسيل الهامر وقال

عندي اعاجيب ارويها بلا كذب عن العيان فكنوني ابا العجب

رأيت يا قوم اقواما غذاؤهم بول العجوز وما اعني ابنة العنب

بول العجوز لبن اللقحة والعجوز ايضا من اسماء الخمر

وكاتبين وما خطت انا ملهم حرفا ولا قرؤوا ما خط في الكتب

الكاتبون الخارزون يقال كتب لسقاء والمزادة اذا خرزتهما

ونابعين عفابا في حيايهم على تلميهم في النبض والبلب

العقاب لرايه وكانت راية النبي صلى الله عليه وسلم تسمى العقاب

ومنتدبين ذوي نبل بدت لهم نبيلة فاثنوا منها الى الهرب

النبيلة الجيفة ومنه نبتك البعير اذا مات وأروح

وعصبة لم تر البيت العتيق وقد حجت جنبا بلا سكل على الركب

معنى حجت جنبا اى غلبت بالحجة مجادلين جاثين على الركب

ونسوة بينما ادلجن من حلب صبحن كاظمة من غيرما سبب

كاظمة في هذا الموضع كاظمة الغيظ

ومدلجين سروا من ارض كاظمة واصبحوا حين لاح الصبح في حلب

وقادرين متى ما صنعتم أن قصروا فيه قالوا الذنب للحطب

وبافعال بلا مس وطاغية مشابهته ولد قبل من العطب

وشايبا غير محتج للمشيب بدا في البدو وموقني التي لم تشب

ومرضعا بلبان لم يغذ فمه راشية في نجاد بين النسب

الطرب

وزائر عادرة حتى اذا حصرت صار في غيره ابهوا كالحرب

وزائر ايضا ومو مغلوك على فرس قد غل ايضا وما ينفك من حرب

وذابد طلق تعتاد راحلة حين نجلا ومو ما سور الحوكب

وجالس قائما شبابا تمويه حطبت بدوا بالتي اوردع من زبب

وحايكا احتذى الكعبين ذا حرى فان عجبتم منكم في الخلق من عجب

وذا انشطاط كصدر الرمح قامته صاحب يمشي على الحدب

وساعيا في جراف لانام بمآ اقراحهم ما كا الظلم والكذب

ومعربا عن مناجاة الرجال له وما له غير شيء الخلق من ارب

وذا ذمام وفت بالعهد ذمته ولا ذمام له في مذهب العرب

وذا فوى ما استبانت قط لبنيه ولبنه حين بين غير محتجب

وساجدا فوق نخل غير ملكه بما انى بل يراه افضل الغرب

وعاذ راح لمام ظل يعذره مع التلطف والمعذور في صخب

وبلدة ما بها المغترف ذا الماء يجري عليها جمى منسرب

الثعلب

وقد بدا دون الخوص القطا شحنت بذلم عيشهم من حلسنا

وكوكبا يتوارى عند رؤيته الانسان حتى بدا في اشنع الحجب

وروثة قومت كالاله خطر ونفس صاحبها بالمال لم تطب

وصحفة من نضار خالص شربت بعد المكاس بقيراط من الذهب

وشخيشا بخشخاش ليدفع ما اظلم من اعاديه فلم يجب

وطالما من بني كلب وفي فمه ثور ولكنه ثور بلا ذنب

وكم راى ناظري فيلا على جمل وقد تورك فوق الخال والقتب

وكم لقيت بعرض البيد منكبا وما اشتكى قط من جد ولا لعب

وكم قد ابصرت لي ان الراعية بالدو ينظر من عينين كالشهب

وكم رأت مقلتي عينين كاملة مما تحمى من الغرب والغسان في طلب

وصار عبا بالقتام غبير لمن علقت كفاه شوكا بمج لاو لم يثب

وكم نزلت بارض لا تحب بها وبعد يوم رايت البسر في القلب

وكم رايت باقطار الفلا طبقا يطير في الجو منصبا الى صبب

وكم مشايخ في الدنيا ابيتهم محلبين من نجوم العطب

وكم بدا لي وحش وهو يشكي بغيا بمنطق ذلق امضى من القضب

وكم دعاني مسنبجي فجاءني وما اخذه وما اخلني بالادب

وكم اتخذت فلوصي تحت جبلة نظل ما تشبع من عجز ومن عرو

وكم نظرت الى عرش ساعته ودمعه مستهل القطر كالسحب

وكم رأيت قميصا ضر صاحبه حتى انثنى واشتكى اعضاه والعصب

وكم ازاره لولا الدهر ائلفه لجف لبد حشيش الشيبة مضطرب

هذا وكم من افانين معجبة عندي وكم تلج ناهي وكم نخب

ولولا شدههم فان العار فيه على من لا يميز بين العود والخشب قال الحارث بن همام فطفقنا

ونتأول معاريضه ونقول له بل هو الخلي بالشجي وهو يقول

ليس هذا بعشك فادرجي الى ان نعير النتاج وانتجكم

لا ارتياح فالفينا اليه المقادة وخطبنا منه الافادة فقال

فقفنا بين الطمع واليأس وقال لا بأس فقال لا تبأس

فعلمنا انه ممن يرغب في الشكر ويرتشي في الحكم وساء ابا
حبشوا الا تعرض للخرم او تختبث بالرغم فاحضر ناقة عيدية
وحلة سعيدية وقال لهم خذوهما حلالا ولا ترزأ اصحابي
ذبالا فقال اشهد انها شنشنة اخزمية وانها حبيبة
حاتمية ثم قابلنا بوجه يشف ونضرة ترف
وقال يا قوم ان الليل قد اجلوذ والنعاس قد استحوذ
فاعمدوا الى المراقد واغتنموا راحة الراقد لتنشئوا
نشاطا وتبعثوا نشاطا فتعودوا الى افق وتستسهلوا كلم
المتعسر فاستصوبنا كل ما رآه وتوسدنا وساد كراه فلما
وسنت من الجفان واغفت الضيفان وثب الى الناقة فحطها
ثم ارتحلها ورحلها وقال مخاطبا لها
سروج يا ناق فسيري وخدي وادلجي واوبي واسئدي
حتى تطا خفاك مرعى الندى تنعمي جنبيه وسعدي

وتأمني من تشمي وتجلي اينه فذلك النوق حتى واجهدي
وافتي اي اديم فدفد تفدافدي وافرشي بالنسخ عند المورد
وان تخطي دون ذلك المقصد فقد حلفت حلفة المجتهد
بحرمة البيت الرفيع العمد لئن احللتني في البلد حللت مني بمحل الولد
قال فعلمت انه السروجي الذي اذا باع اباع واذا املا
الضاع اضاع ولما انبلج صباح اليوم وهب النوام
من النوم اعلمتهم ان الشيخ حين اغفا منهم السبات
طلقهم البنات وركب الناقة وفات فاخذهم من الغم
ما قدم وما حدث ونسوا ما طاب منه بما خبث ثم
افترقنا في كل شعب وذهبنا تحت كل كوكب قال
الشيخ الامام الاجل الاوحد ابو محمد القسم بن علي الحريري رحمه الله
قد فسرت سر كل لغز تحته ولم ابعد على من يقرأه كشفه
وقد بقيت الفاظ لتشتمل عليها هذه المقامة لما

النبس تقبيلها على بعض من يقع البرد فاجبت ايضا جمالها
ليكفي حيرة الشبهة وكلفة الفكرة ووصمة البحث
والمباكة وبالله نعم الاستعانة والتوفيق والقوة
قوله عشون الى النار يعني تنورنها فتقصدونها
فان لم تقصدها قلت عشون عنها كقوله تعالى ومن يعش
عن ذكر الرحمن نقيض له شيطانا اى من يعرض قوله
وكنت اصبر من عير الحرباء والعنز الجرباء هذان مثلان
يضربان لمن يبلغ منه البرد وذلك ان الحرباء تدور
ابدا مع الشمس وتستقبلها بعينها والى هذا اشار ابن الرومي
ما بالها قد حسنت ورقيبها ابدا قبيح قبح الرقباء
ما ذاك الا انها شمس الضحى ابدا يكون رقيبها الحرباء
والعنز الجرباء لا تدفأ في الشتاء لقلة شعرها وذكر
بعضهم ان العنز الجرباء تصحيف المثل الاول قوله

بخروار يعني الجمل المكتنز شحما الكثير مخا قوله
عشارها تخور واعشارها نفور العشار النوق الحوامل
والواحد عشراء وهي التي اتى عليها في الحمل عشرة اشهر
والاعشار البرمة العظيمة كانها شعبت لعظمها يقال
برمة اعشار وجفنة اكسار وثوب اسمال وبرد
اخلاق وحبل ارمام فوصفا الجماعة فيها كالوصف الواحد
قوله وفاكهة الشتاء كنى بها عن النار ومنه قول
بعض المحدثين النار فاكهة الشتاء فمن يرد اكل
الفواكه شاتيا فليصطل ان الفواكه في الشتاء شهية
والنار للمقرور افضل ما كل قوله حوابدها كالهالة
يعني دارات القمر ودارة الشمس تسمى الطفاوة قوله
مشوش الغمر يعني المنديل يقال مش يده بالمنديل اي
مسحها ومنه قول امرئ القيس نمش باعراف الجياد اكفنا

اذا نحن قمنا عن شواء مضهب وقوله تشعبا فؤاده
لما صار من الشيب في لون الاشهب ومنه قول امرء القيس ايضا
قالت الخنساء لما جيتها شاب بعدي راس هذا واشهب
وقوله دبض حجرة يعني ناحية ويقال في المثل لمن يشارك
في الرخاء ويجانب عند البلاء يرتع وسطا ويربض حجرة
وقوله غاية من جمع السامر يعني السمار لان السامر اسم
للجمع كالحاضر اسم للحي النازلين وكالباقر اسم لجماعة
البقر وقال بعض اهل اللغة هو اسم للبقر مع رعاتها
واشتقاق السامر من السمر وهو ظل القمر ماخوذ
من السمر فلما كان غالب احوال السمار انهم يتحدثون
في ظل القمر اشتق لهم اسم منه والى هذا يرجع قولهم لا
اكلمه القمر والسمر وقوله ليس بعشك فادرجي هذا
مثل يضرب لمن يتعاطى ما لا ينبغي له والعش ما يكون في شجر

على الماء

الكلمه

فان كان في حايط او كهف جبل فهو وكن وقال بعضهم العش
في الكن والوكر في الشجر والوكن في الجبل والجدار والافحوص
على وجه الارض وقوله لا ايناس قبل الابساس هذا
مثل ايضا ومعناه ينبغي ان يونس الانسان ثم يكلف و
اصله لمن حالب الناقة يونسها حين يروم حلبها ثم
يبش بها للحلب والابساس ان يقول لها بس بس لتسكن
وتدر وتسمى الناقة التي تدر على الابساس البسوس
وقوله يرغب في الشكم الشكم ما اعطيته على سبيل
المجازاة فان اعطيت مبتديا فهو الشكد وقال الراجز
شكمي عبيد وكذاك شكدي للشر والخير معا عندي
فان طر اذا استذنب ما ذا انبي كالارض مهما ليتوذ عنه يتقي
قوله مناه اباه شوانا يعني المضيف الذي اووا اليه
وثووا عنده وقوله ناقة عبدية قيل انها منسوبة

الى فحل منجب اسمه عبيد وقيل هي منسوبة الى نجد من نجار
يقال لهم عيد بن الآمري على فرق العامري ابن مهرة وكانت
مهرة وعيد تتخذ النجايب ركابا فنسبت اليهما وقوله
حلة سعيدية هي منسوبة الى سعيد بن العاص وكان رسول
الله صلى الله عليه وآله كساه وهو غلام حلة فنسبت جنسها
اليه قوله لا نبرح الا اضنا في زيالها الى ان ترى امم شبا
ولو قال والاصل في النيال ان تحمله الوجه التملة بعينها
وقوله شنشنة اخزمية اشارة الى المثل الذي
ضرب به جد حاتم بن عبد الله بن سعد بن الحشرج بن اخزم
الطائي حين نشأ حاتم وتقيل اخلاق جده اخزم
في الجود فقال شنشنة اعرفها من اخزم وتمثل عقيل
بن علفة حين قال ان بني رملوني بالدم
من يلق آساد الرجال يكلم شنشنة اعرفها من اخزم

من ادعى ان المثل الفهد سهما فيه وقوله الجلوة لي اسرع
في الذهاب وحشلة الخروط وقوله وثبت الى الناقة في
حلها يعني شد عليها الرحل وبين تمييز ان الجلة انها
فاعلة بمعنى مفعولة كقوله تعالى في عيشة راضية
اي مرضية وقوله يتهم بها ذاتي اي مدفوق والراحلة
تقع على الناقة والجمل ودخول الهاء فيها للمبالغة
مثل داهية وراوية وقوله ارتحلها اي ركبها
وفي الحديث ان النبي صلى الله عليه وآله وسلم سجد فركبه الحسن عليه
فابطأ في سجوده فلما قضى صلوته قال ان ابني ارتحلني
فكرهت ان اعجله وقوله رحلها الى ان عجها وانحجها
وجد بها في الرحيل ومنه الخبر تخرج عند اقتراب
الساعة نار من قعر عدن ترحل الناس وقوله فادلجي
وادني وابشري لا ادلاج ان تسير الليل والاسم منه

الدلجة بفتح الدال والادلاج بالتشديد ان تسير
من اخر الليل والاسم منه الدلجة بضم الدال وقيل
ان الدلجة بفتح الدال وضمها بمعنى واحد والتأويب
سير النهار وحده والاساد ان تسير ليلا ونهارا
والنشح ان تشرب دون الري وقوله فاخذتهم ما
قدم وما حدث يقال لكل من يتوالى عليه الهم
ويتلاعب به والدال من حدث تضم في هذا الموضع
وحده ليوافق لفظها لفظ قدم فان افرد حدث
عن قدم وجب فتح الدال من حدث ومثله قولهم
هناني ومراني اذا ادكر مع هناني فاذا افردته وجب
ان تقول امراني الشيء وكذلك رجس نجس فتكسر النون
من نجس وتسكن الجيم منه ليزاوج لفظة رجس فان
افردت قلت نجس بفتح النون والجيم كما قال الله تعالى

انما المشركون نجس وقوله فذهبنا تحت كل كوكب
هذا المثل يضرب لمن يختلف في السفر طرقهم وتتباين سبلهم

المقامة الخامسة والاربعون

حكى الحرث بن همام قال كنت اخذت عن اولي التجارب ان
السفر مرآة الاعاجيب فلم ازل اجوب كل تنوفة
واقتحم كل مخوفة حتى اجتليت كل اطروفة فمن
احسن ما اجتنيته واغرب ما اجتليته اني حضرت قاضي
الرحبة وكان من ارباب الدولة والصولة وقد رافع
اليه بالغ ذات جمال في اسمال فهم الشيخ بالكلام
وتبيان المرام فمنعته الفتاة من الافصاح وحمايته
عن النباح ثم نضت عنها فضلة الوشاح وانشدت
بلسان السليطة الوقاح

يا قاضي الرملة يا ذا الذي في يده التمرة و الجمره

اليك اشكو جور بعلي الذي لم يحجج البيت سوى مره

وليته لما قضى نسكه وخفظها اذ رمى الجمره

كان على راي ابي يوسف في صلتنا الحجة بالعمره

هذا على اني مذ ضمني البيت اعيص له امره

ثم اما الغنة حلوة ترضي و اما فرقة مره

من قبل ان اخلع ثوب الحيا في طاعة الشيخ ابي مره

فقال له القاضي قد سمعت ما عزته اليك فانث عذرك

عليه فجانب ما عرك وحاذر ان تبرك و تعرك فجثا

الشيخ على ثفناته وتحين ينبوع نفثاته وقال

اسمع عداك الذم قول امرئ يوضح فيما رابها عذره

والله ما اعرضت عنها قلى ولا هوى قلبي قضى نذره

وانما الدهر عدا صرفه فابتزنا الدرة و الذره

و

فمن لي بقعر كما جيدها عطل من الجزعة و الشذره

وكنت من قبل ارى في الهوى ودينه راي بني عذره

فمذ نبا الدهر تجنبت الذي يجنب من عف اخذ حذره

وملت عن حرثي لا رغبة عنه ولكن اتقي بذره

فلا تلم زوجي على حالة واعطف عليه واحتمل هذره

قال فاستشاطت المراة من مقاله وانتضت لحجاج جداله

وقالت له أف لك يا من قعقعان يا من هو لا طعام ولا

طعان انضيق بالولد ذرعا ولكل اكولة مرعى لقد

ضل فهمك واخطأ سهمك وسفهت نفسك وشقيت

بك عرسك فقال لها القاضي اما انت فلو جادلت

الخنساء لانثنت عنك خرساء واما هو فان كان

صدق في زعمه ودعواه حديثه فله في هم قلبه

ما يشغله عن ذنبه فاطرقت تنظر ازورارا اولا و

ترجع حوارا حتى قلنا قد راجعها الخفر وحاق بها
الحصر فقال لها الشيخ تعسا لك لمن تحرزين او كتمت
ما عرفت فقالت ويلك هل بعد المسافرة كتم او بقي لنا
على سر ختم وما فينا الا من صدق وهتك صونه
اذ نطق فليتنا لاقينا البكم ولم نلق الحكم ثم انبعث
يوشاحها وتباكت لافتضاحها وجعل القاضي يعجب
من خطبيهما ويحجب بلوم الدهر لهما ويؤنبه ثم لهفر
عن الورق العين وقال ارضيا بهما الاخوين وعاصيا
التنازع بين الرقين فشكراه على حسن السراح وانطلقا
وهما كالماء والراح وطفق القاضي بعد مرجعهما
ينادي نشجهما يثني على ادبهما ويقول هل من عارف بهما
فقال له عين اعوانه وخالصة خلصانه اما الشيخ
فالسروجي المشهور بفضله واما المراة فقعيدة

رحله واما تخالفهما فمكيدة من فعله واحبولة من حبائل
ختله فاحفظ القاضي ما سمع وتلهف كيف خدع
ثم قال للواشي بهما قم فردهما ثم اقتصهما وصدهما
فنهض ينفض مذرويه ثم عاد يضرب اصدريه فقال
له القاضي اظهر ما على ما نبثت ولا تخف ما استحييت
فقال ما زلت استقري الطرق واستنبح الغلق
الى ان ادركتهما مصحرين وقد رما مطي البين فرعتهما
في العلق وكلفتهما بنيل الامل فاشرب قلب الشيخ
ابن تياس وقال الفراد بقراب الكبس وقالت هي بل
العود احمد والفرقد ابدا كمد فلا تبين للشيخ
سقيا لدارها واعزار لعزارها اجمل ذلالها ثم انشا يقول لها
دونك نصحي فاقتفي سبله واغني عن التفصيل بالجملة
طيبي متى تقربي من بخلة وطلقيها بتة بتلة

وحاذر العود إليها ولو سلّمها ناطورٌ كالأبلة

فخبّر ما اللصّ أن أبي بقعةٍ فيها له عملة

ثم قال لي لقد عتبت بما أوتيت فارجع من حيث جئت وقل

لمن يليك لن تبيت اللسان يبتدع وذيلك لا

تعقب جميلك بالأذى فيضيع وشمل المال والحمد منصدع

ولا تستغضب عن نيّ يد سائل عامتي في ضوع اللسان مبتدع

وإن تكن قد سبا نكد حتى خليقته فتلك شيخ اعترين فيخدع

فقال القاضي قاتلك الله ما أحسن شجونه وأملح فنونه

ثم إنه أصحب ابنه برذين وصرّة من العين وقال

له سر حيث من أبيك إلى النفاق إلى أن تنتهي إلى الشيخ و

العتاق فيل أبدهما بهذا الحباء وبيّن لهما انخداعي

للأدباء قال الراوي فلم أر في اغتراب كهذا العجاب

ولا سمعت بمثله من جال وجاب

المقامة السادسة والأربعون

حدث الحارث بن همام قال نزع بي إلى حلب شوق غلب

وطلب ناله من طلب وكنت يومئذ خفيف الحاذ

حثيث النفاذ فأخذت أهبة السير وخففت

نحوها خفوف الطير ولم أزل مذ حللت ربوعها وأوان

رتعت ربيعها أقاني الأيام فيما يبتغي الغرام ويروي

الأوام إلى أن أقصر القلب عن ولوعه وطاطا

غراب البين بعد وقوعه فأغراني البال الخلو و

المرح الحلو بأن أقصد حمص لأصطاف ببقعتها

وأتبين رقاعة أهل رقعتها فأسرعت إليها إسراع

النجم إذا انقض للرجم فحين خيمت برسومها

ووجدت ريح نسيمها لمح طرفي شيخا قد أقبل هربيه

وادبر غبره وعنده عشرة صبيان صنوان وغير
صنوان فطاوعت في قصده الحرص لاختبر به ادباء
حمص فبش الي حين وافيته وحيا باحسن مما
حييته فجلست اليه لابلو جنا نطقه واكتنه
كنه حمقه فما لبث ان اشار بعصيته الى اكبر صبيته
وقال له انشد الابيات العواطل واحذر ان تماطل
فجثا جثوة ليث وانشد من غير ريث

اعدد لحسادك حد السلاح ... واورد الآمل ورد السماح
وصارم اللهو ووصل المها ... واعمل الكوم وسمر الرماح
واسع لادراك محل سما ... عماده لا لادراع المراح
والله ما السودد حسو الطلا ... ولا مرادا لحمد رود رداح
واها لحر صدره واسع ... وهمه ما سر اهل الصلاح
مورده حلو لسواله ... وماله ما ساله مطاح
ما اسمع الآمل ردا ولا ... ماطله والمطل لوم صراح
ولا اطاع اللهو لما دعا ... ولا كسا راحا له كاس راح
سوده اصلاحه سره ... وردعه اهواءه والطماح
وحصل المدح له علمه ... ما مهر العرس مهور الصحاح

فقال له احسنت يا بدر يا راس الدير ثم قال للموم
المشتبه بصنوه ادن يا نور بدر يا قمر الدويرة فدنا ولم
يتباطا حتى حل منه مقعد المتعاطي فقال له اكتب
الابيات العرايس وان لم تكن نفايس فبرى القلم ورقط
ثم احتجر اللوح وخط

فتنتني فجنبتني تجني ... بتجن يفتن غب تجني
شغفتني بجفن ظبي غضيض ... غنج يقتضي تغيض جفني
غشيتني بزينتي فشفتني ... بتزي يشف بين تشفي
فتظنيت تجنبي فتجني ... بتشف تبيني فخيبت ظني
نبتت في غش جيب بزين ... خبيث يبغي تشفي ضغن

وبرزت في بخبتي فثنيتني بمسبح يسبي بفن ففن

فلما نظر الشيخ الى ما حبره ونصّع ما زبره قال له بورك

فيك من طلا كما بورك في لا ولا ثم هتف اقرب قرباه وطرب

فانبرى فتى يحكي نجم دجية او تمثال دمية فقال

له ارقم الابيات الخيفاء وتجنب الخلاف فاخذ القلم

ورقم اسمح فبث السماح زين ولا تخب املا تضيف

ولا تجز رد ذي سؤال فنن ام في السؤال خفف

ولا تظن الدهر يبقي مال ضنين ولو تقشف

واعلم بخفض الكرام بخص وصدهم في العطاء تقشف

ولا تخن عهد ذي وداد ثبت ولا تبغ ما تزيف

فقال له لا شلت يداك ولا كلت مداك ثم نادى يا غشمشم

يا عطر منشم فلباه غلام كالدرة غواص بجوهر فاض

فقال اسطر الابيات المتائيم ولا تكن من المشائيم

فتناول القلم المثقف وكتب ولم يتوقف

زينت زينب بقد يقد وتلاه ويلاه نهد يهد

جندها جيدها وظرف وطرف ناعس تاعس بحد يحد

قدرها قدرها وتاهت وباهت واعتدت واعتدت بجد يجد

فارقتني فارقتني وشطت وسطت ثم جار وجد وجد

فدنت فذبت وجنت وحنت مغضبا يوم بوم بغضا

فطفق الشيخ يتامل ما سطره ويقلب بصره فلما

استحسن خطه واستفصح ضبطه قال لا شلت

عشرك ولا استخبث نشرك ثم اهاب بفتى فتان

يسفر عن ازهار بستان فقال له انشد البيتين المطرفين

المشتبهي الطرفين اللذين اسكنا كل نافث وامنا ان

يعززا بثالث فقال له اسمع لا وقر سمعك ولا هزم

جمعك وانشد من غير تلبث ولا تريث

ثم سمة تخش اثارها واشكر لمن اعطا ولو سمسمه

والمكر مهما اسطعت لا تأته لتقتني السؤدد والمكرمه

فقال احذف باز غلولك واقذف بابا الغلول ثم نادى وضح

يا ابا سين ما يشكل من ذوات السين فنهض ولم يتباطأ

نفس الدواة ورسغ الكف ثابتة سينا ومما ان خطا ربما

وهكذا السين في قسب وناسقة والسغب والبخس واقسر فاقبس قبسا

وفي تنفست بالليل الكلام وفي جبسط وتموس اعذ جرسا

وفي فريس وبرجح فارس تخذ الصواب مني وكن للعلم مقتبسا

فقال له احسنت يا نعيش يا صناجة الجيش ثم قال

ثب يا عنبسة وبين الصادات الملتبسة فوثب وثبة

شبل متئد ثم انشد من غير اتئاد

بالصاد يكتب قد قبصت دراهما باناملي واصخ لتسمع الخبر

وبصقت ابصق والصماخ وصخرة والقص وهو الصدر

واقتص الاثر

وتخصصت مغلقة وهذي رضعت فدارعد فرصة الفريصة للخوف

وقصرت هنة الى حبشت وقد دنا فصح النصارى وهو عيد منتظر

وقرصته والخمر فارصته اذا حذيت اللسان وكل هذا ما بنظر

فقال له رعيا لك يا بني فقد اقررت عيني ثم استنهض

ذا لحية كالبرق ونغثة كالسردق وامره ان يقف

بالمرصاد ويبرد ما اجري فيه على السين والصاد

فنهض بسحب برديه ثم انشد مشيرا بيديه

ان شئت بالسين فاكتب ما ابينه وان تشا فهو بالصادات يكتتب

مغس ومغص ومسطار ومملس وسالغ وصراط الحق والسقب

المغس الوجع المعترض في الجوف وهو مسلك الغبن

والقبص قبص البيضة وقبص الطاير بيض اي افسدها

والمسطار الخمرة المرة ويقال لها المصطارة ايضا

والمملس الذي يسقط من كمكم ولا اشعر بغدو السالغ

وهو

قوله إذا الفعل يوما غم عنك هجاؤه .. إلى آخر الأبيات مع ما فيها من النظر سوقه لمعرفة
ذوات الأربعة كتابة والاستدلال على [illegible] احكامها [illegible] فيما الذي
[illegible] الأفعال [illegible] الحروف الأسماء الغير المتمكنة لكونهما جوامد غير متصرفة
فيهما وإنما في المتمكنة من الأسماء والأفعال تكون إما زائدة أو منقلبة فالزائدة نحو كاتب وكتاب
وضارب وتضارب وحبلى وسلمى والمنقلبة نحو باب وناب وقال وباع والعصا والرحى ودعا و
رمى [illegible] وإنما تقع على المتحرك [illegible] ذوات الأربعة من الأفعال
وضيف [illegible] القابلة وتشمل [illegible] واعلم أن كل ألف وقعت ثالثة وهي منقلبة
إما عن الواو أو الياء وكل ألف وقعت رابعة فصاعدا عند المحققين عن الياء الغير كالف اعطى
[illegible] استغفى [illegible] وإذا صارت رابعة فصاعدا [illegible] فلا يكون في كلامهم مثل اغزوت
والعلة في ذلك أنهم [illegible] الخفة [illegible] أن الياء أخف من الواو
[illegible] العلة [illegible] المضارع [illegible] الماضي [illegible] تقلب [illegible] اغزوت
لأن الواو إذا سكنت وانفتح ما قبلها نحو حوض [illegible]
اللام في المضارع [illegible] الماضي [illegible] اعطوت [illegible]
على المضارع [illegible] الماضي [illegible] الماضي
[illegible] تفعل وتفاعل من هذا النوع [illegible] وفاعل [illegible]
على الفعل [illegible] التثنية [illegible] المعطى المعطيان وفي الجمع معطيات والحجة [illegible] ابن جني
والأول [illegible] معرفة وجوه الاستدلال
اعلم أنه يستدل على تحقيق اللام بثمانية أشياء [illegible] ابن جني وهي المضارع والماضي والمصدر
والصفة [illegible] اسم المفعول والتثنية والجمع والاشتقاق [illegible] والامالة [illegible] اللام
[illegible] الكوت والكسوة [illegible] ذلك
[illegible] دليل [illegible] اللام [illegible]
[illegible] الواو والامالة [illegible] اللفظ الواحد
[illegible] الواو [illegible] ذوات الواو [illegible]
[illegible] وإن كان من [illegible]
[illegible] جاوة وجوة [illegible]
[illegible] الوجوه [illegible]
[illegible] كلامهم [illegible]
كلامهم [illegible] اللام المجهولة [illegible] على الياء لأن اللام
[illegible] أهل اللغة [illegible]
الكتابة [illegible] الوقوف [illegible]

آخر أسنان ذوات الظلف والسقب الغرب والسامغان معرف
وشغر والسوسي ومسلاق عن كل هذا أفصح الكتب
والسامغان جانبا الفم والمسلاق الشديد الصوت
ومنه قوله تعالى سلقوكم بألسنة حداد فقال له الحنث
يا جفنة يا عين بقية ثم نادى يا دغفل يا أبا زنفل
فلباه فتى لحين من بيضة في روضة فقال له ما عقد
هجاء كم أفعال التي آخرها حرف اعتلال فقال اسمع لا صم
صداك ولا سمعت عداك ثم أنشد وما استنشد
إذا الفعل يوما غم عنك هجاؤه فالحق به تاء الخطاب ولا تقف
فإن تر قبل التاء ياء فكتبه بياء وإلا فهو يكتب بالألف
ولا تحسب الفعل الثلاثي والذي تعداه والمهموز في ذاك يختلف
فطرب الشيخ لما أداه ثم عوذه وفداه ثم قال هلم
يا فعفاع يا أفعى البقاع فأقبل فتى لحين من ناد

او كانت من الياء تكتب ياء وان كانت من الواو تكتب الفا والزايدة ضاعدا تكتب
بالياء ... الا من الياء على قول المحققين من النحويين فان وقعت قبلها ياء تكتب الالف وان كان
لفظها ما يقتضي الياء نحو الحيا والدنيا والذنيا وحيي ... ان خطا وانما ... اجل
فانه يكتب بالياء فتحا بين المنقول والمنقول عنه واما يحيى ويرضى فالياء لان الهمز ... ورضي فهما
كل منهما بالفرقين وعلى علامة الكتاب قال الكسائي ونحو الكبرى والذكرى والقطى انما تكتب
بالياء لانه الف ... وهذا توضيح منه لما ينبئ انه لس في كلامهم مثال ... والفتحة من الواو فقلبوا ... مثل
الكبرى بالياء ... المحققون فلا يعنون بذكر ما جرى ... نحو ... زيد
في كتبة الفصحى ... والهمزة في ذلك تختلف كاداه ادبه ما في الهمزة من ذوات الاربعة
نحو ... والشاه وانا ... واستخداء تقول ابت ورات
وبأوت وشاوت وانابت واستكانت ومنهم من يكتب ... وشاى بالياء ... بالتسمية
بيا وشا من ذوات الثلثة ويجوزان ... في الهمزة ... وجزؤ لا تكتب
يكتبها بالالف الواو والياء كما يكتبها كذلك في قرات وبريت وجزوت وهذا سنه على الا انه
لانه قد يختلف في ... وذلك نحو شاء وجاء ... فلا تكتب لها صورة اصلا
وان كانت تكتبها ... الفا نحو جيت وشيت وبوت ... على ان الهمزة المتطرفة
اذا تحرك ما قبلها كتبت على صورة الحرف الذي منه حركة ما قبلها او المنقلب الى ... والهمزة
في الكتابة باب على حياله واحكامه غير احكام حروف ... فقيا ... الا ... تنقيم
وجمع ما كتب بالياء سوى همزة المتطرفة اذا اتصل ضمير المنصوب او المجرور كتب الفا على
اللفظ نحو ... ولعطاك ومعطاهم ... من ... بعد ... الطرف
وهذا الباب اطول من ان يحتمله هذا الموضع ○

الفتى في عين ابن السروجي فقال لما اصدع بما يبين الظاء
من الضاد لتصدع اكباد الاضداد فاهتز بقوله وا
هتز وانشد بصوت لحن ايها السائلي عن الضاد
والظاء لكيلا تضله الالفاظ ان حفظ الظاءات
يغنيك فاسمعها استماع امرء له استيقاظ هي
ظمياء والمظالم والاظلام والظلم والظبى واللحاظ
والعظا والظليم والظبي والشيظ والظل واللظى
والشواظ والتظني واللفظ والنظم والتقريظ والقيظ
والظما واللماظ والحظا والنظير والظئر والجاحظ والنا
ظرون والايقاظ والتشظي والظلف والعظم والظنبوب
والظهر والشظا والشظاظ والاظافير والمظفر
والمحظور والحافظون والاحفاظ والحظيرات والمظنة
والظنة والكاظمون والمغتاظ والوظيفات والمواظب

والكظّة والانتظار والأظّاظ ووظيف وظالع وعظيم

وظهير والغيظ والوعاظ ونظيف والظرف والظلف

والظايم ثم الفظيع ثم الغلاظ وعكاظ والظعن

والمظ والحنظل والقارظان والأوشاظ والظهارات

والظهاير والظهران ثم الظرّان والأرعاظ الظهارات

جمع ظهارة ضد البطانة والظهاير جمع ظهيرة وهو

نصف النهار والظهران جمع ظهار وهو ما ظهر من ريش

السهم الظرّان الحجارة والأرعاظ جمع رعظ وهو مد

خل النصل من السهم وظراب الظراب

والشظف الباهظ والجعظري والجوّاظ

الظرب الروابي الصغار وواحدها ظرب والظرّان الحجارة

المحددة وواحدها ظرر والجعظري المنتفخ بما ليس

عنده والجواظ الفاجر وقيل الأكول المختال والشظف

البوش وسود الحبش والظرابين والحناظب

والعنظب ثم الظيّان والأرعاظ الظرابين جمع

ظربان وهي دابة لا يطاق نتنها ويجمع ايضا على ظرابي

بحذف النون وعلى ظرابى وهو جمع شاذ ولم يجئ الجمع على فعالى

الا ظرابى هذا وحجالى جمع حجل والحناظب ذكور الخنافس

والعنظب ذكر الجراد والظيّان ياسمين البر والأرعاظ

جمع رعظ وهو مدخل النصل في السهم والشناظي

والدلظ والظاب والظبظاب والعنظوان

والجنعاظ الشناظي نواحي الجبل والدلظ الدفع

والظاب الصخب وقد تبدل الباء ميما وقيل ان

الظاب والظام اسمان لسلف الرجل والعنظوان نبت

والظبظاب الداء يقال ما به ظبظاب كما يقال ما به قلبة

والجنعاظ الأحمق وقيل المتسخط عند الطعام

والشناظير والنغاطل والعظلم والبظر بعد
والانعاظ الشناظير جمع شنظير وهو السيء الخلق
والنغاطل تلازم الكلاب والجراد عند السفاد والعظلم
الخطمي وهو نبت معروف ويقال الخطمي بفتح الخاء
فهي هذي سوى النوادر فاحفظها ليقفوا
وافض فيما صرفت منها كما قضيت في اصله لفظ وفاظوا
فقال له الشيخ لعينيك لا يفضض فوك ولا يبسر من يجفوك
فوالله انك مع الصبي الغض لتحفظ من رابض ولجم
من يوم العرض ولقد اوردتك رفغتك رابي وتفقتكم
تثقيف العوالي فاذكروني اذكركم واشكروا لي ولا
تكفرون قال الحارث بن همام فتعجبت لما ابدى من
براعة معجونة برقاعة واظهر من حذاقة ممزوجة
بحماقة ولم يزل بصري فيه يصعد ويصوب ويتعرف

عنه وينقب وانا كمن ينظر في ظلماء او يسري في بهماء
فلما استراث تنبهي واستبان تبلهي حماق الى ان
تبسم وقال لم يبق من يتوسم فيفهم فحوى كلامه
ووجدته ابا زيد عند ابتسامه والحذف الوهم على
تدلي بغتة التوكي وتخبي حرفة الحمقى فكان و
جهه اسفر زادا او اشرب سوادا الا انه انشد

تخير في حمص وهذي الصناعة لا رزق حظوة اهل الرقاعه
فما يصطفي الدهر غير الرقيع ولا يوطن المال الا بقاعه
ولا لاخي اللب من دهره سوى طالع الغير ربط بقاعه

ثم قال ان التعليم اشرف صناعة واربح بضاعة
وانجح شفاعة وافضل براعة وربه ذو امرة
مطاعة وهيبة مشاعة ورعية مطواعة يتسيطر
تسيطر امير ويترتب ترتب وزير ويتحكم تحكم قدير

ويتبسم بلى ملك كبير الا انه بحرو مدفير
ويبتسم بحق شهير وينقلب بحفل صغير وكابن تكبر مثل
حبير فقلت له تالله انك ابن الايام وعلم الاعلام
والساحر اللاعب بالافهام المذلل له سبل الكلام
ثم ازل معتكفا بناديه ومغترفا من سيل واديه الى
ان غابت الايام الغر ونابت الاحداث الغبر ففارقته

المقامة السابعة والاربعون

حدث الحارث بن همام قال انتخيت الى الحجامة وانا بحجر اليمامة
فارشدت الى شيخ يحجم بلطافة ويسفر عن نظافة فبعثت
غلامي لاحضاره وارصدت نفسي لانتظاره وابطا
بعدما انطلق حتى خلته قد ابق او ركب طبقا عن طبق
ثم عاد وقد اخفق مسعاه والكل على خواره فقلت له ويلك

ابطات فقيد وصلود زند فزعم ان الشيخ اشغل من ذات
النحيين وفي حرب كحرب حنين فعجت المشي الى الحجام
فجرت بين اقدام واحجام ثم رايت الا تعنيف على من
يابى التكنيف فلما شهدت حومته وشاهدت سيمته
رايت شيخا هيئته نظيفة وحركته خفيفة وعليه
زحام طارق اطواق ومن الزحام طباق وبين يديه
فتى كالصمصامة منتهم في الحجامة والشيخ يقول
له اراك قد ابرزت راسك قبل ان تبرز قرطاسك وولّيتني
قذالك لم تنقد لي ذالك ولست ممن يبيع نقدا بدين
ولا يطلب اثرا بعد عين فان انت نضحت بالعين حجمت
في الحين وان كنت تبغي الشح اولى وحزن الفلس الادهم
في النفس احلى فاقرا عبس وتولى واعزب عني والا فالغني
والذي حرم صوغ المين كما حرم صيد الحرمين

إني لأفلس من ابن يومين فوقت بسبك بلغتي وانظرني الى بغيتي
فقال له الشيخ ويحك ان مثل الوعد كغرس العود هو بين
ان يدركه العطب او يدرك منه الرطب فادر بني بحاصل
من عود كجني ام احصل منه على ضني ثم ما الثقة
بانك حين تبتعد ستفي بما تعد وقد صار الغدر كالحجل
في حلية هذا الجيل فارحني بالله من الغد بيت ارحل
الى حيث يعوي الذيب فاستوى الغلام لبيه وقد استولى
الخجل عليه وقال والله ما يخيس بالوعد غير الخسيس
الوغد ولا يرد غدير الغدر الا الوضيع الغدر ولو عرفت
من انا لما اسمعتني الخنا لكنك جهلت فقلت وجئت بعجب
ان تسجد بلت وما اقبح الغربة والاقلال واحسن قول
من قال ان الغريب الطويل الذيل ممتهن فكيف حال
غريب ماله قوت لكنه غاب بين الحر موجعة فالمسك

بسحق الكافر حنفوف وطالما اصلى الياقوت جمر غضى
ثم انطفى الجمر والياقوت ياقوت فقال له الشيخ بابوله
ابيك وعولة اهليك انت في موقف فخر يظهر ما حسب
بشمر ام موقف جلد بكشط وفقا بشرط وهبك
كما ادعيت ان لك البيت الحصل بل الحجم فذالك
لا والله ولولا ابك اناف على عبد مناف او خالك دان
عبد المدان فلا تفرى حدث بالرهو ولا تطلب ما لست
له بواجد واذا بهت بابه موجهك لا بجدو وعلى
وبحصولك لا باصولك وبصفاتك لا برفاتك وباعلاقك
لا باعراقك ولا تطع الطمع فيذلك ولا تتبع الهوى
فيضلك ولله القايل لابنه بني استقم فالعود تنمي عروقه
قويما ويغشاه اذا ما التوى التوى ولا تطع الحرص المذل وكن فتى
اذا التهبت احشاؤه بالطوى طوى وعاص الهوى المردي فكم من محلق
الى النجم لما ان اطاع الهوى هوى

واسعف ذوي القربى فيقبح ان يرى على من الى الحجر اللباب انضوى

وحافظ على من الحجر اذ ابا زمان ومن يرعى لذا ما النوى هوى

وان تعتذر فاصفح فلا خير في امرئ اذا اعتلقت اظفاره الشوى شعوى

واياك والشكوى فلم ار اهل شكا بل اهل الجهل الذي ارعى عوى

فقال الغلام للنظارة بالعجيبة والطرفة الغريبة

انف في السماء واست في الماء ولفظ كالصهباء وفعل

كالحصباء ثم اقبل على الشيخ بلسان سليط وغيظ

مستشيط وقال اف لك من صوّاغ باللسان رواغ

عن الاحسان تأمر بالبر وتعق عقوق الهر فان يكن حسبته

لتعينك ثقاف صنعتك فرماك الله بالكساد وانسداد

الحسّاد حتى تبلى بافرغ من حجام ساباط واضيق

رزقا من سم خياط فقال له الشيخ بل سلط الله

عليك تبيّغ الفم وتبيغ الدم حتى تلجأ الى حجام عظيم

ومع

الاشتطاط تقيك الاشتراط كقبل المشراط كثير الضراط

والمخاط قال فلما تبين الفتى انه يتلكّأ الى عجز مصمت

ويزاول ليستفتح باب مصمت اضرب عن رجع الكلام

واحتفز للقيام وعلم الشيخ انه فات الامر بما اتمحّع

الغلام فجنح الى سلمه وبذل الزيد عن تحكمه ولا ابتغى اجرا

على حجمه وابى الغلام الا التشنيع بدابيه والهرب من لقابه

وما زالا في عجاج وسباب ولزاز وجذاب الى ان ضج الفتى

من الشقاق وتلا زدنه سورة الانشقاق فاقول حينئذ

لفارة حيرته وانغطاط عرضه وطمره ولحظ الشيخ

يعتذر من فرطاته ويتخبّص من عثراته وهو لا يصغى

الى اعتذاره ولا يغض عن استعباره الى ان قال له فداك

عمك وعداك ما يغمك اما تشام الاعوال اما تعرف الغمال

اما سمعت تمام افاك الخذ بقول من قال

أخمد بحلمك ما يذكيه ذو سفهٍ من نار غيظك واصفح ان جنى جانِ
فالحلم افضل ما ازدان اللبيب به والاخذ بالعفو احلى ما جنى جانِ

فقال له الغلام أما انك لو ظهرت على عيشي المنكد لعذرت في دمعي المنهمر ولكن كان على الاملس ما لاقى الدبر ثم انه نزع الى الاستحياء فاقلع عن البكاء وفاء الى الارعواء وقال للشيخ قد صرفت الى ما لتهتيت فارفع غطا او هبت فقال هيهات شغلت شعابي جدواي فبتم انظر بارق سولي ثم انه نهض يستقري الصفوف ويستجدي الوقوف وانشد في ضمن ما يطوف

أقسم بالبيت الحرام الذي تهوي اليه الزمر المحرمه
لو ان عيشي غض يوما لما ابيت في المشرط والمحجمه
ولا ارتضت نفسي التي لم تزل تسمو الى المجد بهذي السمه
ولا اشتكى هذا الفتى غلظة مني ولا شاكته مني حمه
لكن صروف الدهر غادرتني كخابط في الليلة المظلمه
واضطرني الفقر الى موقف من دونه خوض اللظى المضرمه
فهل فتى يدركه رقة علي او تعطفه مرحمه

قال الحارث بن همام فكنت اول من اوى لبلواه ورثى لشكواه فنفحته بدرهمين وقلت له الا لاذا امين فابتهج بالزورة جناه وتفاءل بهما الغناه ولم يزل الناس ينهال عليه وينثال لديه حتى آل ذا عيشة خضراء وحقيبة بجراء فاذ دهاه الفرح عند ذلك وهنا نفسه هنالك وقال هذا ربع انت بذرته وحلبت لك شطره فهلم للتقسم ولا تحتشم فتقاسماه بينهما شق الابلمه ونهضا متفقي الكلمه ولما انتظم عقد الاصطلاح وهم الشيخ بالرواح فقلت له قد نبوّغ دهمي ونقلت اليك قدمي فهل لك في ان تحميني وتكشف ما دهمني فصوب طرفه

فتى وصعد ثم ازدلف الي وانشد

كيف رايت خدعتي وختلي ... وما جرى بيني وبين سخلي

حتى انثنت عابرة الخصل ... ترعى رياض الخصب بعد المحل

بالله يا مهجة قلبي قل لي ... هل ابصرت عيناك قط مثلي

يفتح بالرقية كل قفل ... ويستبي بالسحر كل عقل

ويمزج الجد بماء الهزل ... ان يكن الاسكندري قبلي

فالطل قد يبدو امام الوبل ... والفضل للوابل لا للطل

قال فنبهتني ارجوزته عليه وارتني انه شيخنا المختار

اليه فقرعته على الابتذال والتخاوف وبادرت رد الفاعر

عما سمع ولم يبال بما قرع وقال كل اجتداء يجتدي

الجامع الوقع ثم فارقني مفارقة المطال واشبه كغرسي

زمان قال القسم بن علي اعلم ادام الله تعالى نعمته فقد وضحت

هذه المقامات بضعة عشر مثلا من امثال العرب فمن

منها ما خلته بالتبس على من يقتبس اما قوله ابطأ

فند فهو مولى عايشة بنت سعد بن ابي وقاص وكانت

بعثته بالمدينة ليقتبس لها نارا فقصد مصر

واقام بها سنة ثم جاءها بعد السنة فجاء يشتد ومعه

جمر فتبدد دحمته فقال تعست العجلة واما

ذات النحيين فهي امراة من تيم الله بن ثعلبة حضرت

سوق عكاظ ومعها نحيا سمن فاستخلى بها خوات

بن جبير الانصاري ليبتاع منها ففتح احدهما

وذاقه ودفعه اليها فامسكته باحدى يديها وفتح

الاخر وذاقه ودفعه اليها فامسكته بيدها الاخرى

ثم غشيها وهي لا تقدر على الدفع عن نفسها لحفظها

فم النحيين وشحها على السمن فلما قام عنها قالت

لا هناك فضرب بها المثل فيمن شغل وهي في هذا المثال

مفعولة لانها شغلت اكثر الامثال التي على افعل يأتي من فعل الفاعل واما قوله انفه في السماء واسته في الماء يضرب هذا المثل لمن يتكبر مقالا ويصغر فعالا واما قوله افرغ من حجام ساباط فذكر انه كان حجاما ملازما بساباط المدائن يحجم الجند بدانق نسيئة ومر عليه زمن لا يقربه فيه احد فكان يبرز امه عند تمادي عطلته فيحجمها لكيلا يبرع بالبطالة فما زال يحجمها حتى نزف دمها وماتت واما قوله تشكو الى غير مصمت فهو مثل يضرب لمن لا يكترث لشان صاحبه ولا يبالي باستمرار شكايته لانه لو اشكاه لصمت وامسك عن الكلام ومنه قول الراجز يخاطب جملا له انك لا تشكو الى مصمت فاصبر على الحمل الثقيل او مت ونحو هذا المثل كالا على الاملس ما لاقى الدبر واما قوله شغلت شعابي

وقد تمت هذه المقامة ايضا

جدواي فالمراد به ليس يفضل عني ما اصرفه الى غيري والشعاب النواحي واحدها شعب وقوله كل الحذاء يحتذي الحافي الوقع معناه لان المجهود يقنع بما يجد والوقع ان تصيب الحجارة القدم فتوهنها واما البعير الموقع فهو الذي تكثر آثار الدبر بظهره

المقامة الثامنة والاربعون وتعرف بالحرامية

روى الحرث بن همام عن ابي زيد السروجي قال ما زلت مذ رحلت عنسي وارتحلت عن عرسي وغرسي احن الى عيان البصرة حنين المظلوم الى النصرة لما اجمع عليه ارباب الدراية واصحاب الرواية من خصائص معالمها وعلمائها وماثر مشاهدها وشهدائها واسال الله تعالى ان يوطيني ثراها لافوز بمراها وان يمطيني قراها لاقتري قراها

فلمّا احلّنيها الحظّ وسرّح لي فيها اللحظ شعر

رأيتُ بها ما يملأ العينَ قرّةً ... ويُسلي عن الأوطان كلَّ غريبِ

فغلّستُ في بعض الأيام حين نصل خضاب الظلام

وهتف أبو المنذر بالنوّام لأخطو في خططها

وأقضي الوطر من توسّطها فأدّاني الاختيار وتنقّل الإلهام

والانصلات في سككها الى محلّة موسومة بالاحتفال

منسوبة الى بني حرام ذات مساجد مشهودة وحياض

مورودة ومبانٍ وثيقة ومغانٍ أنيقة وخصائص

أثيرة ومزايا كثيرة

بها ما شئت من دين ودنيا ... وجيرانٍ تنافوا في المعاني

فمشغوفٌ بآيات المثاني ... ومفتونٌ برنّات المثاني

وكم من قارئٍ فيها وقارٍ ... أضرّا بالجفون وبالجفانِ

ومضطلعٍ بتلخيص المعاني ... ومطّلعٍ الى تخليص عانِ

وكم من معلمٍ للعلم فيها ... ونادٍ للندى حلو المجاني

ومغنًى ما يزال يغنّ فيه ... أغاريد الغواني والأغاني

فصل إن شئت فيها من يصلّي ... وإمّا شئت فادنُ من الدنانِ

ودونك صحبة الأكياس فيها ... أو الكاسات منطلق العنانِ

فقال فبينما أنا أنفض طرقها وأستشفّ رونقها

إذ لمحت عند دلوك براحِ وأظلال الرواحِ مسجدًا

مشتهرًا بإطرابه مزدحمًا بأطايبه وقد لجّ

أهله في ذكر حروف البدل وجروا في حلبة الجدل فعجت

نحوهم لا لاقتباس نحوهم فلم يك

إلا كقبسة العجلان حتى ارتفعت الأصوات بالأذان

ثم ردف التأذين بروز الإمام فأُغمدت ظبى الكلام

وحُلّت الحبى للقيام وشغلنا بالمفروض عن استمداد

العفو بالسجود عن لبسة اللجوج فلما قُضي الفرض

وكاد الجمع ينفضّ انبرى من الجماعة كهلٌ حلو البراعة

لذمع السمت الحسن ذلاقة اللسن وفصاحة اللسن

وقال يا جيرتي الذين اصطفيتهم على اعضاد شجري

وجعلت خطتهم دار هجرتي واتخذتهم كرشي وعيبتي

واعددتهم لمحضري وغيبتي اما تعلمون ان لبوس

الصدق ابهى الملابس الفاخرة وان فضوح الدنيا اهون

من فضوح الاخرة وان الدين امحاض النصيحة والارشاد

عنوان العقيدة الصحيحة وان المستشار

مؤتمن والمسترشد بالنصح قمن وان اخاك هو الذي عذلك

لا الذي عذرك وصديقك من صدقك لا من صدقك

فقال له الحاضرون ايها الخل الودود والحبر المودود

ما سر كلامك الملغز وما شرح خطابك المعجز والذي

تنجيه منا النجوم لو عجز والذي حبانا بالمحبة لك وجعلنا

من صفوة احبتك ما نألوك نصحا ولا ندخر عنك نصحا

فقال جزيتم خيرا ووقيتم ضيرا فانكم ممن لا يشقى

بهم جليس ولا يصدر عنهم تلبيس ولا يخيب فيهم مظنون

ولا يطوى دونهم مكنون وسابثكم ما حاك في صدري

واستفتيكم فيما عيل له صبري اعلموا اني كنت عقدت

صلوات الزهد وصدوق الجد لخلصت مع الله نية

العقد فاعطيته صفقة العهد على ان لا اشيد

مداما ولا اعاقر ندامى ولا احتسي قهوة ولا اكتسي

نشوة فسولت لي النفس المضلة والشهوة المذلة

ان انادم الاحباب واعاطي الاكواب واضيع الوقار

وارتضع العقار وانتظم في سلك الكمات وانسيت

التوبة كالميت ثم لم اقتنع بما نكثته المرء في طاعة

ابي مرة حتى عكفت على الخندريس في يوم الخميس وبت

صريع الصهباء في الليلة الغراء وها انا بايدي الكآبة

لو نقض الجناية تأنّى لكنا أمنّا لوصل المدامة تغريب ما
للإشفاق من نقض الميثاق معترف بالإسراف في عتب
فيا قوم هل كفارة تعرفونها تباعد عن ذنبي وتدني إلى ربي
قال أبو زيد فلما حلّ أنشوطة تغنيه وقضى الوطر
من لتشكّيه بثّ ناجتني نفسي يا أبا زيد هذه نهزة
صيد فشمّر عن يدٍ وأيدٍ فانتصبت من مجثمي انتصاب
الشهم وانخرطت من الصف انخراط السهم وقلت
فاسمعها أجيبة عن نفثتها أيها الأروع الذي فاق مجداً وسؤددا
والذي يبتغي الرشاد ليغدو به غداً لم يعد عندي علاج ما أنت منه مسهّدا
أنا من كان يرتجى في اللبس والهدى كنت ذا ثروة بها وطعام مسوّدا
مربعي مألف الضيوف ومالي لمن سدى لست أكدى باللهى وأغنى العرض بالجدا
لا أبالي بمنفس طاح في البذل والندى أوقد النار بالبقاع إذا الناس أخمدا
وبراني الموكلون ظلماً ومنصدا لم يشم بارقي صيد فانثنى طاوي الصدى

بزّ دهري الزمان فابتزّ قدح زندي فأصلدا طالما ساعد الزمان فأصبحت جحدا
فمقضى الله لن يغيّر ما كان عوّدا بؤس الروم إذ رضينا بصغر نكدا
فاستباحوا حريم من صار فوقي موجدا وحووا كل ما أشتته بمالي وكابدا
فنظرت في البلاد طريداً أمرّها الحجى النار بعدما كنت من قبل منجدا
وكمى بي خصاصة أتمنى لها الردى والبلاء الذي يحل الأسى به جددا لن ترى
أشتياً ما بنيت التي أسّ وطالما لتعقدا فاستبن محنتي ومدّ إلى نصرتي يدا
وأجرني من الزمان فقد جار واعتدى واعتني على فكاكي ابني من يد العدا
تنج بذا الجحيم الذي تم همّ نمّ رجدا وبه تقبل الجنايات ممن قد تمردا
وهو كفارة لمن زاغ من بعدما اهتدى ولئن ثمت منشداً أغلقته فمرشدا
فاقبل النصح والهداية واشكر هدي وأسمع الآن بالذي قد بيّنت أجدا
قال أبو زيد فلما أتممت هذه رمتني ويومئذ المسئول صدق
كلفني إغراء الغرم إلى الكرم بمواساتي ورغبة الكلف بحمل
الكلف في مواساتي فوضح لي على الحادثة ونضح لي بالعداء

الوافرة فانقلبت الى وكري فرحا بنجح مكري وقد حصلت
من صوغ المكيدة على شوغ الزبيدة ووصلت من حوك
العصبية على درك العصيدة قال الحارث بن همام فقلت
له سبحان من ابدعك فما اعظم خدعك فاستغرب
في الضحك ثم انشد غير مرتبك

عش بالخداع فانت في دهر بنوه كأسد بيشه
وادر قناة المكر حتى تستدير رحا المعيشه
وصد النسور فان تعذر صيدها فاقنع بريشه
واجن الثمار فان تفتك فرض نفسك بالحشيشه
وارح فؤادك ان نبا دهر من الفكر المطيشه
فتغاير الاحداث يؤذن باستحالة كل عيشه

المقامة التاسعة والاربعون

حكى الحارث بن همام قال بلغني ان ابا زيد السروجي حين ناهز
القبضة وابتز قيد الهرم النهضة احضر ابنه بعد
ما استحاش ذهنه وقال له يا بني انه قد دنا الارتحال
من الفناء والاكتحال بمرود الفناء وانت بحمد الله ولي
عهدي وكبش الكتيبة الساسانية من بعدي ومثلك
لا تقرع له العصا ولا ينبه بطرق الحصا ولكن قد
نيط بي الادكار وجعل صيقلة للافكار واني
اوصيك بما لم يوص به شيث الانباط ولا يعقوب الاسباط
فاحفظ وصيتي وجانب معصيتي واحتذ مثالي واقتد
امثالي فانك ان اتبعت رشدي واستصبحت بصبحي
طاب جناك وطال انتعاشك وامرع جنابك وارتفع
دخانك وان تناسيت سورتي ونبذت مشورتي قل
رماد اثافيك وزهد اهلك من رهطك فيك يا بني اني

لا بنسبه جربت حقائق الامور وبلوت تصاريف الدهور فرأيت
المرء بنشبه والتمحص عن مكسبه لا عن حسبه وكنت
سمعت ان المعايش امارة وتجارة وزراعة وصناعة فما
رست هذه الاربع لانظر ايها اوفق وانفع فما حمدت منها
معيشة ولا استرغدت فيها عيشة اما فرص الولايات
وخلس الامارات فكاضغاث الاحلام والفيء المنتسخ بالظلام
وناهيك غصة بمرارة الفطام واما بضائع التجارات
فعرضة للمخاطرات وطعمة للغارات وما اشبهها بالطيور
الطيارات واما اتخاذ الضياع والتصدي للازدراع
فمنهكة للاعراض وقيود عائقة عن الانتهاض
وقلما خلا ربها من اذلال او رزق روح بال واما الحرف
او الصناعات فغير فاضلة عن الاقوات ولا نافقة
في جميع الاوقات ومعظمها معصوب بشبيبة الحياة

ولم ار ما هو بارد المغنم لذيذ المطعم وافي المكسب
صافي المشرب الا الحرفة التي وضع ساسان اساسها
ونوع اجناسها واضرم في الخافقين نارها واوضح لبني
غبراء منارها فشهدت وقائعها معلما والتحفت بها ملتحفا
الى حيثما اذ كانت المتجر الذي لا يبور والمنهل الذي
لا يغور والمصباح الذي يعشو اليه الجمهور ويستصبح
به العمي والعور وكان اهلها اعز قبيل واسعد جيل
لا يرهقهم مس حيف ولا يقلقهم سل سيف ولا يخشون
حمة لاسع ولا يدينون لدان ولا شاسع ولا يرهبون
من برق ورعد ولا يحفلون بمن قام وقعد وانديتهم منزهة
وقلوبهم مرفهة وطعمهم معجلة واوقاتهم محجلة
اينما سقطوا لقطوا وحيثما انخرطوا خرطوا لا يتخذون
اوطانا ولا يتقون سلطانا ولا يمتازون عمن تغدو خماصا

وتروح بطانا فقال له ابنه يا أبت لقد صدقت فيما نطقت
ولكنك ما نفعت فبين لي كيف أقتطف ومن أين تؤكل
الكتف فقال له يا بني إن الارتكاض بابها والنشاط
جلبابها والفطنة مصباحها والقحة سلاحها فكن أجول
من قطرب وأسرى من جندب وأنشط من ظبي مقمر وأبسط
من ذئب متنمر واقدح زند جدك بجدك واقرع باب
رزقك بكدك وجب كل فج وخض كل لج وانتجع كل
روض وأدل دلوك إلى كل حوض ولا تسأم الطلب ولا تمل
الدأب فقد كان مكتوبا على عصا شيخنا ساسان من طلب
جلب ومن جال نال وإياك والكسل فإنه عنوان النحوس
ولبوس ذوي البؤس ومفتاح المتربة ولقاح المتعبة
وشيمة العجزة الجهلة وشنشنة الوكلة التكلة
وما اشتار العسل من اختار الكسل ولا ملأ الراحة

الراحة

من استوطأ وعليك بالإقدام ولو على الضرغام فإن جراءة
الجنان تنطق اللسان وتطلق العنان وبها تدرك
الحظوة وتملك الثروة كما أن الجبن صنو الكسل و
سبب الفشل ومبطأة للعمل ومخيبة للأمل ولهذا
قيل في المثل من جسر أيسر ومن هاب خاب ثم إياك
يا بني ببكور أبي زاجر وجراءة أبي الحارث وختل أبي
جعدة وحرص أبي عقبة ونشاط أبي وثاب ومكر أبي
الحصين وصبر أبي أيوب وتلطف أبي غزوان وحزامة
أبي قترة وتلون أبي براقش واخلب بصنوع اللسان
واخدع بسحر البيان وارتد السوق قبل الجلب وامتر
الضرع قبل الحلب وسائل الركبان قبل المنتجع ومهد
لجنبك قبل المضطجع واتخذ بصيرتك للعاقبة
وأنعم نظرك في العاقبة فما فاز من صدق ثم ثمط

تبسّمه وعن الفطن فراسته أبطأ في بسمته وكن يا بني
خفيف الكلّ قليل الدلّ اغبابا عن الخلل وتعامر الوبل
بالطلّ وعظّم وقع الخير واشكر على اليسير ولا تقنط
عند الردّ ولا تستبعد نفح الصلد ولا تيأس من روح الله
انه لا ييأس من روح الله الا القوم الكافرون وإذا خيّرت
بين درّة موعودة وذرّة منقودة فمل الى النقد وفضّل
اليوم على الغد فانّ للتأخير آفات وللعزائم بدوات
وللعدات معقبات وبينها وبين الانجاز عقبات وعليك
بصبر أولي العزم ورفق ذوي الحزم ومجانبة خرق
المنشط وتخلّق بخلق السبط وقيّد الدرهم بالربط و
شبّ لبذله بالضبط ولا تجعل يدك مغلولة الى عنقك
ولا تبسطها كلّ البسط ومتى نبا بك بلد ونابك فيه
كمد فبتّ منه كما حطّ املك واسرح عنه جملك وخبّ

البلاد ما حملك ولا تستثقل الرحلة ولا تكرهنّ النقلة
فإنّ علماء العشر تعتّبوا وأشياخ اجمعوا على انّ الحركة
بركة والطراوة سفتجة وزروا على من زعم انّ الغربة
كربة والنقلة مثلة وقالوا هي تعلّة من اقتنع
بالرذيلة ورضي بالحشف وسوء الكيلة فإذا أزمعت
الاغتراب وأعددت له العصا والجراب فتخيّر
الرفيق المسعد قبل أن تصعد فإنّ الجار قبل الدار
والرفيق قبل الطريق خذها اليك وصيّة لم يوصها قبلي أحد
عن احاوية خلاصات المعاني والزبد محّضتها انتفح من
محض النصيحة والجهد فاعمل بأمثلتها عمل اللبيب الارشد
حتى يقول الناس هذا الشبل من ذاك الاسد ثم
قال له يا بنيّ قد أوصيت واستقصيت فإن اقتديت
فوا اهالك وإن اعتديت فأصلحك والله خليفتي عليك

وارجو الا تخلف ظني فيك فقال له ابنه يا ابت لا وضع عرشك ولا رفع نعشك فلقد قلت سدادا وعلمت رشدا ونحلت نحلة الوالد للولد ولئن امهلت بعدك ولا ذقت فقدك فلاتادبن بادابك الصالحة ولاقتدين باثارك الواضحة حتى يقال ما اشبه الليلة بالبارحة والغادية بالرائحة فاهتز ابو زيد لجوابه وابتسم وقال من اشبه اباه فما ظلم قال الحرث بن همام فاخبرت ان بني ساسان حين سمعوا هذه الوصايا الحسان فضلوها على وصايا لقمان وحفظوها كما تحفظ ام القرآن حتى انهم ليرونها الى الان اولى ما لقنوا الصبيان وانفع لهم من نحلة العقيان

المقامة الخمسون وهي تعرف بالبصرية

حكى الحرث بن همام قال اشعرت في بعض الايام هما برح بي

لبيت بغارة وراح على شعارة وكنت سمعت ان غشيان مجالس الذكر يسرو غواشي الفكر فلم ار لاطفاء ما بي من الجمرة الا قصد الجامع بالبصرة وكان اذ ذاك ماهول المساند مشفوه الموارد يجتنى من رياضه ازاهير الكلام ويسمع في ارجائه صرير الاقلام فانطلقت اليه غير وان ولا لاو على شان فلما وطئت حصاه واستشرفت اقصاه تراءى لي ذو اطمار بالية فوق صخرة عالية وقد عصبت به عصب الحصى عديد منهم ولابدي ولبدهم فابتدرت قصده ثم رددت وراءه ورجوت ان اجد شفاء عنده فلم ازل انتقل في المراكز واتخطى الاكابر والاصاغر الى ان جلست تجاهه بحيث امنت اشتباهه فاذا هو شيخنا السروجي لا ريب فيه ولا لبس يخفيه

فلسنا بمرأى تميمي وارفضت كينته ومعنى وخبر إلى
وبصر بمكاني قال يا أهل البصرة رعاكم الله ووقيكم
وقوّى تقاكم فما أضوع ريّاكم وأفضل حرّاكم بلدكم
أوفى البلاد طهرة وأزكاها فطرة وأفسحها رقعة
وأمرعها نجعة وأقومها قبلة وأوسعها دجلة
وأكثرها أنهارا ونخلة وأحسنها تفصيلا وجملة
دهليز البلد الحرام وقبالة الباب والمقام وأحد
جناحي الدنيا والمصر المؤسس على التقوى لم يتدنس
ببيوت النيران ولا طيف فيه بالأوثان ولا سجد على
أرضه لغير الرحمن ذو المشاهد المشهودة والمساجد
المقصودة والمعالم المشهورة والمقابر المزورة
والآثار المحمودة والخطط المحدودة به يلتقي الفلك
والركاب والحيتان والضباب والحادي والملاح

والقانص والفلاح والناشب والرامح والسارح و
السابح ولكم المد الفائض والجزر الغائض وأما
أنتم فمن لا يختلف في خصائصهم اثنان ولا ينكرها ذو شنآن
دهماؤكم أطوع رعية لسلطان وأشكرهم لإحسان
وزهادكم أورع الخليقة وأحسنهم طريقة على الحقيقة
وعالمكم علامة كل زمان والحجة في كل أوان ومنكم
من استنبط علم النحو ووضعه والذي ابتدع ميزان
الشعر واخترعه وما من فخر إلا ولكم فيه اليد الطولى
والقدح المعلّى وأنتم أحق به وأولى ثم أنتم أكثر أهل
مصر مؤذنين وأحسنهم في النسك قوانين وبكم اقتدي
في التعريف وعرف التسبيح في الشهر الشريف ولكم إذا قرّت
المضاجع وهجع الهاجع تذكار يوقظ النائم وينبه
القائم وما ابتسم ثغر فجر ولا بزغ نجم في بحر ولاح

الا ولنا اذنيكم بالاسحار دويّ كدويّ الريح في الجاد وبهذا
عنكم صدع النقل بخبر النبي صلعم والرجز قبل وبيّن
انّ دويكم بالاسحار كدويّ النحل بالاسحار فبشرى لكم
ببشارة المصطفى وانا المصركم وان كان قد عفا ولم يبق
منه الا اشفائم انحرف لسانه وخطم بيانه حتى
خرج بالابصار وزغ بالاقتصاد تنفس تنفس من قيد
لقود او ضيّقت به براثن اسد ثم قال اما بعد انتم
يا اهل البصرة فما منكم الا العلم المعروف وعزيز المعرفة
والمعروف واما انا فمن عرفني فانا ذاك وشرّ المعارف
من اذاك ومن لم يثبت عرفني فساصدقه صفتي انا
الذي انجد واتهم وايمن واشام واصحر وابحر
وادلج واسحر نشأت بسروج وربيت على السروج
ثم ولجت المضايق وفتحت المغالق وشهدت المعارك

ولنت العرائك واذللت الشوامس وارغمت المعاطس
واذبت الجوامد وامعت الجلامد سلوا عني المشارق
والمغارب والمناسم والغوارب والمحافل والجحافل
والقبائل والقنابل واستوضحوا خبري من نقلة الاخبار
ورواة الاسمار وحداة الركبان وحذاق الكهان
لتعلموا كم فج سلكت وحجاب هتكت ومهلكة اقتحمت
وملحمة الحمت وكم الباب خدعت وبدع ابتدعت وفرص
اختلست واسد افترست وكم مغلق غادرته لغي وكم من
ليث خرجت بالرقى وحجر سحرته حتى انصدع واستنبطت
زلاله بالخدع ولكن فرط ما فرط والغصن رطيب والفود
غربيب وبرد الشباب قشيب فاما الآن فقد استشنّ
الاديم وتاوّد القويم واستنار الليل البهيم فليس
الا الندم ان نفع وترقيع الخرق البالي قد اتسع وكنت

وحبيث في الآثار المسندة والأخبار المستفيضة أن لكم من الله تعالى في كل يوم نظرة ولن سلاح الناس كلهم الحديد وسلاحكم الأدعية فقصدتكم أنضي الرواحل وأطوي المراحل حتى حللت هذا المقام فيكم ولا منّة لي عليكم إذ ما سعيت إلا في حاجتي ولا تعبت إلا لأربي العيني ولست أبغي أعطياتكم بل استنداء أدعيتكم ولا أسألكم أموالكم بل استنزال سؤالكم فادعوا الله تعالى بتوفيقي للمتاب والإعداد للمآب فإنه رفيع الدرجات مجيب الدعوات وهو الذي يقبل التوبة عن عباده ويعفو عن السيئات ثم أنشد

لَيستغفر الله من ذنوب أفرطت فيهن واعتديت

كم خضت بحر الضلال جهلاً وخضت في الغي واعتديت

وكم أطعت الهوى اغتراراً وفلتة عقله وافتريت

وكم خلعت العذار ركضاً إلى المعاصي وما ونيت

وكم تناهيت في التخطي إلى الخطايا وما انتهيت

فليتني كنت قبل هذا نسياً ولم أجن ما جنيت

فالموت للمجرمين خير من المساعي التي سعيت

يا رب عفواً فأنت أهل للعفو عني وإن عصيت

قال الراوي فطفقت الجماعة يمدونه بالدعاء وهو يقلب وجهه في السماء إلى أن دمعت أجفانه وبدا رجفانه فصاح الله أكبر بانت أمارة الاستجابة وانجابت غياية الاسترابة فجزيتم يا أهل البصرة جزاء من هدى من الحيرة فلم يبق في القوم إلا من سُرّ لسروره ورضخ له بميسوره فقبل عفوهم وأقبل يطرف في شكرهم ثم انحدر من الصخرة يؤم شاطئ البصرة واعتقبته إلى حيث تخالينا وأمنّا التجسس والنجي علينا فقلت له لقد أغربت في هذه النوبة فما إبلاغك في التوبة فقال أقسم بعلام الخفيات وغفار الخطيئات إن شأني لعجاب وإن ركبي لمجاب فقلت زدني إيضاحاً زادك الله صلاحاً فقال وأبيك

لقد قمت فيهم مقام المريب الخادع ثم انقلبت بقلب المنيب
الخاشع فطوبى لمن صغت قلوبهم إليه وويل لمن باءوا
بدعوته عليهم ثم ودّعني وانطلق وأودعني القلق فلم
أزل أعاني الفكر وأتسوّف الحيرة ما ذكرته وكلما استنشيت
مُخبرة من الركبان وجوّابة البلدان كنت كمن خابط عشواء
أو نادى صخرة صمّاء إلى أن لقيت بعد تراخي الأمد وأوفى الكمد
ركبًا قافلين من سفر فقلت لهم هل من مغرّبة خبر
فقالوا إن عندنا لخبرًا أغرب من العنقاء وأعجب من نظر
الزرقاء فسألتهم إيضاح ما قالوا ولم يبخلوا إلى ما كالوا
فحكوا أنهم ألمّوا بسروج بعد أن فارقها العلوج فرأوا
أبا زيد المعروف قد لبس الصوف وصار بها الزاهد
الموصوف فقلت أتعنون ذا المقامات فقالوا إنه الآن
ذو الكرامات فحفزني إليه النزاع ورأيتها فرصة الانتفاع

تحدّرن من المآقي وزفراتي يتصعّدن من التراقي
كانت هذه خاتمة التلاقي قال الشيخ الإمام
الأجل الرئيس أبو محمد القسم بن علي بن محمد الحريري
رحمه الله رضي عنه هذا آخر المقامات التي
أنشأتها بالاغترار وأمليتها بلسان الاضطرار
لما ألجئت إلى أن أصدقتها للهيئة اعراض
ناديت عليها في سوق الاعتراض هذا مع
معرفتي بأنها من سقط المتاع ومما يجب
أن لا يباع ولا يبتاع ولو عشيني نور التوفيق
وتطرّفت لنفسي نظر الشفيق لسترت
عواري الذي لم يزل مستورًا ولكن كان
ذلك في الكتاب مسطورًا وأنا أستغفر الله
تعالى مما أودعتها من أباطيل اللغو

وأضاليل اللهو وأستر شكك الآن ما يعصمهم
من السهو ويحظى بالعفو إنه هو أهل
التقوى وأهل المغفرة وولي الخيرات
في الدنيا والآخرة

فرغ من كتبته وتحريره في وقت [illegible] حامداً الله ومصلياً
على نبيه وآله بيد [illegible] محمد [illegible] بعد الاثنين [illegible] خلون
من [illegible]
[illegible]
على يد [illegible] الضعيف [illegible]
وغفر له [illegible]
على [illegible] محمد [illegible]

فكم من خطوط باقيات لوائح ... وكاتبها تحت التراب رميم

[illegible] كه ای [illegible] شیر [illegible] کند اظهار



